فن المقـــالـة

الأستاذ الدكتور
طلعت صبح السيد

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه ، واستن بسنته إلى يوم الدين.

وبعد :

فهذه دراسة وافية عن (فن المقالة دراسة موضوعية وفنية) وهى دراسة وافية تستقصى ثلاثة جوانب :

- الجانب التاريخى .
- الجانب الموضوعى .
- الجانب الفنى .

بمعنى أن الدراسة تتناول تاريخ المقالة منذ أن وجدت ، ثم تعرض لموضوعاتها بأنواعها المختلفة ، ثم تتناول خصائص هذا الفن الأدبى فى كل نوع منها .

ولعل هذه الكثرة الكثيرة من الدراسات التى دارت حول فن المقالة كانت السبب المباشر فى اختيارنا له موضوعا لهذه الدراسة ، فأخذنا نستقصى بواكير هذا الفن ، ونفصل القول فى نشأته وتطوره ، وأنواعه ، وخصائصه الفنية ، وما كان له من تأثير أو تأثر ، ثم

وضعنا تصورا لمستقبل هذا الفن على حسب ما تراءى لنا من ماضيه وحاضره على السواء.

وقد حاولنا أن نفصل القول حول تحليل بعض النصوص الواردة ، وأن نقف على كل صغيرة وكبيرة فيها ، على ضوء العوامل السابقة التى تضمنتها الدراسة ، وذلك لنبين التيارات المختلفة التى تنازعت هذا الفن ، وما حدث فيه من تأثير بأدبنا العربى القديم ، أو بالأدب الأوروبى ، وبخاصة فى عصر نهضتنا الحاضرة التى ساير فيها أدبنا العربى الآداب العالمية ، وهذا بلا شك جانب له أهميته فى الكشف عن نواحى الأصالة فى أدبنا العربى ، ثم فى الكشف من ناحية أخرى عن طبيعة التجديد واتجاهه .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الأستاذ الدكتور/ طلعت صبح السيد

المنصورة

رجب ١٤٢٥هـ

سبتمبر ٢٠٠٤م

مدخل تمهيدى

التحرير الأدبى

التحرير الأدبى : هو فن الكتابة الصحيحة ، وبه وحده يتمكن الكاتب أى كاتب من الصياغة المحكمة التى تؤدى المعنى المراد التعبير عنه .

ولسنا فى حاجة إلى الإبانة عما يحققه التحرير الأدبى من فوائد للدارسين والباحثين ، إنه ينمى ملكاتهم ، ويمكنهم من التعبير عن أفكارهم ، حتى يستطيعوا أن يخلدوا علومهم لمن بعدهم ، وقديما قالوا : "الأمم التى ليس لها كتاب قليلة العلوم والآداب " .

والتحرير الأدبى هو الذى يعين الأديب من الأدباء على تأليف القطعة الأدبية وفق فنون الكتابة الإبداعية المختلفة ، كالشعر ، والقصة القصيرة ، والقصة الطويلة ، والرواية ، والمقالة ، والمسرحية ، والسيرة الذاتية ، وما إلى ذلك .

اللغة والفكر

علاقة التفكير باللغة :

لقد خلق الله الإنسان فى أحسن صورة ، وميزه بملكة هائلة وهى العقل الذى به يفكر ويتدبر ويتأمل ، ويفاضل ، ويحاور ويناقش ، ويصدر قراراته ، وإرشاداته ، وما إلى ذلك .

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى مزية العقل فقال :

(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) [١] .

وقال تعالى :

(كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) [٢] .

وقال تعالى :

(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) [٣] .

وقال تعالى :

(قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون) [٤] .

وقال تعالى :

---

(١) البقرة : ٢١٩ .

(٢) البقرة : ٢٤٢ .

(٣) آل عمران : ١٩٠، ١٩١ .

(٤) الأنعام : ٥٠ .

(بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نـــزل إليهم ولعلهم يتفكرون) [١].

وقال تعالى :

(لـو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) [٢] .

والحـق أن العلاقة بين التفكير واللغة علاقة جوهرية ، وذات تأثير متبادل ، فاللغة هى التى تشكل الفكر ، والفكر هو الذى يصوغ اللغـة ، بل إن شئت فقل إن الإنسان الذى يفكر بلغـة صامتـة لها ألفاظهـا ، وتـراكيبها ، وأسـاليبها ، والشخص الذى يفكر إنما هو يحـاور نفسـه وكأنـه يحاور شخصا آخر ، ولعله لهذا نالت هذه العلاقـة اهـتماما كبيرا لدى الباحثين ، وازدادت هـذه الأهمية فى وقت متأخر من عصرنا الحاضر[٣] .

والـذى لا شـك فيه أن الإنسان العاقل إنما يكتسب إدراكاته الأولـية عـن طـريق الرموز التى تلقاها فى نشأته الأولى ، وهذه الرموز هى بلا شك الألفاظ واللغة .

وحـين ينضج الإنسان ، ويمارس عملية التفكير ، فإنه يدير هـذه العمليات العقلية فى قالب لغوى ، وهذا يعنى أن عملية التفكير

---

(١) النحل : ٤٤ .

(٢) الحشر : ٢١ .

(٣) انظر : اللسان والإنسان ، د/ حسن ظاظا ص ٦٩ ومابعدها . الإسكندرية ١٩٧١ م .

تتــركب من العملية الذهنية ، ومن عناصر اللغة التى تمثل الأدوات التى يتعامل فيها العقل .

وهــذا يدعــونا بشكل أو بآخر إلى أن نقول إنهما يمتزجان ، ويؤثر كل منهما فى الآخر .

وعلــى هــذا فالشــخص الــذى لديه معرفة واسعة باللغة ، وأساليب التعبير بها تكون إدراكاته قوية ونشيطة ، وعلى العكس من ذلــك تكــون الإدراكــات الذهنية للشخص الذى لا باع له فى اللغة محدودة .

اللغة العربية هي أفضل اللغات وأوسعها

الإنسان فرد فى المجتمع منذ أن هبط آدم وحواء إلى الأرض وكونا نواة المجتمع الإنسانى ، ومن هنا يمكن القول إن الإنسان خلق اجتماعـيا ، ولا يمكن التصور أنه يعيش فى معزل عن بنى جنسه ، فهـو عضـو فـى المجـتمع الإنسانى ، يشارك أفراده معتقداتهم ، وقيمهم، وسلوكهم .

وقد منح الله سبحانه الإنسان موهبة كبرى ، بها يتعرف على الجـوانب المهمـة والمتعددة فى حياته ، تلك الموهبة هى اللغة التى يتحدثها ويكتبها ، والتى تحتل الجزء الأكبر من نشاطه اليومى على الإطلاق ، وقد اكتسب الإنسان هذه اللغة منذ طفولته ، فكان لها أهم دور فـى حـياته ، وصـارت الوسـيلة الأولى لاتصاله مع أفراد المجتمع.

واللغـة التى نتحدثها أو نكتبها هى وسيلة الاتصال بين أفراد المجـتمع ، وعن طريق اللغة يتم هذا الاتصال سلوكيا كان أم فكريا أو وجدانـيا . قال تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ...) [١].

وعـن طـريق اللغة يعبر الإنسان عن تجاربه ، ويستفيد من تجـارب الآخـرين ، وعـن طـريقها يتصل الإنسان ببنى جنسه ،

---

(١) الحجرات : آية ١٣ .

وينصهر الفرد فى المجتمع حتى يصير المجتمع كلا متجانسا ، وعن طـريقها كذلك يتصل الفرد بتراثه فى الماضى ، وهكذا حتى يصبح كل جيل متصلا بغيره من الأجيال .

واللغـة العـربية هـى أقـدم لغة عرفها الإنسان على وجه الأرض، لأنهـا لغـة أهل الجنة ، وكانت لسان آدم عليه السلام فى الجـنة ،فقد علم الله سبحانه آدم لغة يتحدث بها هو وبنوه فكانت تلك اللغة العربية .

قال تعالى :

(وعلـم آدم الأسـماء كلهـا ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) (١) .

وقد جاءت بذلك روايات كثيرة ، وفسر ابن عباس رضى الله عـنه هـذه الآيـات بأن الله سبحانه وتـعالى علم آدم أسماء الناس والـدواب وغيـرها (٢) . وقـال ابن كثير فى تفسيره : " هى هذه الأسـماء التـى يـتعارف بها الناس من إنسان ، ودواب ، وسماء ، وأرض ، وسـهل ، وبحر ، وخيل ، وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها " (٣) .

---

(١) البقرة : آية ٣١ .

(٢) انظر المزهر للسيوطى : ١ / ٣٠ .

(٣) الجزء الأول ص ٧٣ . المكتبة التجارية بالقاهرة .

واللغـــة العربية هى أمتن اللغات ، وأوضحها بيانا ، وأزلقها لســـانا ، ومن ثم اختارها الله سبحانه وتعالى لأشرف رسله ، وخاتم أنبـــيائه ، وخيرته من خلقه ، وصفوته من بريته ، وجعلها لغة أهل ســـمائه وســـكان جنته ، وأنزل بها كتابه المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أمـــا عن خصائص اللغة العربية فنحن نقول إن خصائص أى شىء هى ما انفرد به دون غيره من صفات أو مزايا . وصفات كل شـــىء ومـــزاياه إنما تكون بحسبه وبحسب ما يراد له ، وخصائص اللغة حينئذ لا بد أن تكون مزايا وصفات لها من حيث هى لغة سواء كانت فى مفرداتها من حيث التركيب والغزارة مثلا ، أو فى معانيها مـــن حيث الإصابة والدقة ، أو فى العلاقة بين الألفاظ والمعانى من حـــيث الارتباط والتناسب ، أو فى الأساليب من حيث سعة التصرف والقـــدرة علـــى ملاحقـــة وجـــوه المعانى ودرجاتها ، ففى كل هذه الخصائص وتلك الميزات تفردت اللغة العربية وفاقت أخواتها ، فقد ظهـــرت كاملـــة من غير تدرج ، وبقيت حافظة لكيانها حتى إنه لا يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة .

وهذه الخصائص وتلك الميزات هى التى ميزت اللغة العربية وهى التى فضلتها على سائر اللغات ، من حيث إن تلك الخصائص تعـــد تفصـــيلا أو بـــيانا لوجوه التفضيل عند الاحتكام إلى المعايير اللغوية ، وهذا كلام شاع القول به عند القدماء ، فقد أرجع كثير منهم

الفضـــل إلى معايير لغوية ، ومن أرجعه منهم إلـــى معايير نقلية أو دينية لـــم يجحدوا المعايير اللغوية [١] .

وفـــى القرآن الكريم ما يدل على أن لغتنا العربية هى أفضل اللغات وأوسعها . ومن ذلك قول الله تعالى :

(وإنـــه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين)[٢].

فوصف الله سبحانه وتعالى اللغة بأبلغ ما يوصف به الكلام ، وبأبلغ ما توصف به اللغة وهو البيان ، كما وصف الله اللسان الذى نزل به القرآن الكريم بأنه عربى مبين .

و قـــال جـــل ثناؤه " الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان " [٣] .

فقد قدم جل ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرد بإنشـــائه ، وخـــص جـــل ثناؤه اللسان العربى بالبيان ليعلم أن سائر اللغـــات قاصرة عنه وواقعة دونه أى أن وصف الإبانة منصب على اللســـان العربـــى ، فاللســـان العربى يتميز بالإبانـــة أى التوضيح والتمييز التام لما يعبر عنه.

---

(١) انظر : تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ص ١٢ ، والخصائص لابن جنى ١ / ٤٧، والصـــاحبى لابـــن فـــارس ص ١٦ ، والمزهـــر للسيوطى ١ / ٣٢١ ، ومقدمة فقه اللغة للثعالبى، وسر الفصاحة للخفاجى ٤٨ – ٥٧ .

(٢) الشعراء : الآيات ١٩٢– ١٩٥ .

(٣) الرحمن : الآيات ١ – ٤ .

ولا شك أن صفة البيان هذه إنما هي أعظم صفة يمكن أن تتصف بها لغة ما ، لأن الإبانة عما في النفوس وعن الأشياء هي الوظيفة الرئيسية للغة ، وتحقق هذه الصفة في لغة ما يعني كمال هذه اللغة وصلاحيتها لأداء وظيفتها.والعربية هي " اللغة التامة الحروف ، الكاملة الألفاظ ، لم ينقص عنها شيء من الحروف فيشينها نقصانه،ولم يزد فيها شيء فيعيبها زيادته، وإن كان لها فروع أخرى من الحروف فهي راجعة إلى الحروف الأصلية " (١) .

---

(١) صبح الأعشى للقلقشندي : ١ / ١٤٩ ، مطبعة كوستا توماس ، القاهرة .

اللغة وسيلة من وسائل التعبير

قال تعالى :

(وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ...) [١] .

وقال تعالى :

(أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين) [٢] .

وقال تعالى :

(يـــا أيهـــا الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ...) [٣] .

واللغـــة العربية هى روح الأمة العربية وظل حياتها ، وهى تعكس حال تلك الأمة وما هى عليه من تقدم أو تخلف ، ومن خلالها نستطيع أن نقف على درجة العقلية العربيـــة وعواطفها وحظها من الـــثقافة ، لأن اللغة هى الوسيلة التى نسجل بها علومنا ، وندون بها آدابـــنا ، ونكتب تاريخنا ، وهـــى تستوعب نتاج عقولنا فى مختلف نواحى النشاط البشرى .

يـــزاد على ذلك أن اللغة هى أداة الفكر ، وآلة العقل ، وهى من أهم الروابط التى تربط جيلنا الحاضر بالجيل السابق ، وتنقل إليه بوضـــوح الجهـــود التـــى بذلتها الأجيال السابقة فى دعم الحضارة

---

(١) إبراهيم : ٤ .

(٢) الزخرف : ٥٢ .

(٣) الحجرات : ١٣ .

الإنسانية ، وهى بهذا المعنى ضرورة اجتماعية وليست كما يقول البعض أداة تعبير فحسب ؛ لأن حصر لغتنا العربية فى نطاق التعبير والتفاهم فحسب دعوى لا تؤيدها طبيعة لغتنا الراقية التى لها كل ما تقدم من مميزات ، وتزيد على ذلك أنها لغة الدين ، وهذه ميزة تضمن لها البقاء والنماء ، لأن إحياءها إحياء للدين ومحافظة على القرآن الكريم .

وأعتقد أن من أهم مقاييس رقى أمتنا العربية هو مقدار عنايتها بنشر لغتها ، وتذليل صعبها ، والاهتمام بطرق تعليمها ، وعلى أمتنا إن أرادت النهوض أن تلتمسه فى اللغة ، فتوجه العناية إليها ، وتترجم الثقافات الأجنبية إليها .

وأعتقد كذلك أن من واجب الدول العربية العناية باللغة العربية ، والعمل على النهوض بها وبآدابها ، والعناية بتدريس كل فرع من فروعها فى كل مرحلة من مراحل التعليم ، وتشجيع التأليف بها ، والاهتمام بالطرق الخاصة فى تدريسها ، فهى وسيلة ثقافتنا ، ومظهر عقليتنا ، وهى صرح من صروح قوميتنا العربية العتيدة ، فازدهارها لون من ازدهار أهلها وتحضرهم ، وسيادتها وانتشارها إشعار برقى الناطقين بها .

ومن الحقائق المرة أن اللغة العربية عدت عليها العوادى ، فهى لا تزال مهملة على الرغم مما يبذله العاملون فى حقلها ، والقائمون على تدريسها من جهود مضنية فى سبيل رقيها والنهوض

بهــا ، وهى إن كانت تحيا حياة كريمة فى بطون الكتب والمجلدات التى ألفها العلماء فى فروع العلم المختلفة ، إلا أنا إذا تجاوزنا الكتابة إلــى الحــديث والمشافهة نجد الفصحى قد توارت واختفت ، وحلت محلهــا العامــية ، تلــك التى تسلطت على ألسنة الناطقين بالعربية جميعهم .

ولا ريــب أن اللغــة هــى أعظم وسيلة للتعبير عن شخصية الكاتــب ، وتصوير آرائه وأفكاره ومثله العليا التى تؤثر فى نفوس القراء ، وهى أيضا وسيلة جيدة من وسائل التعبير ، فالكاتب يستطيع أن يعبــر باللغــة عمــا يشعر به ، وما يفكر فيه ، وما يرمى إليه ، بأســلوب عذب ، وعبارة رائعة ،وتصوير خلاب . ولكى يدرك أى شــخص ما فى أسلوب غيره من روعة وجمال يجب أن يكون كاتبا بليغا ، قادرا على التعبير والشعور بالجمال .

وحــين يــتمكن الــدارس من الكتابة يمكننا أن نشجعه على التعبيــر عــن أفكــاره بعبارة صحيحة ، ونمرنه على كتابة قصص قصيرة ، أو مقالة فى البداية ، حتى يستطيع فيما بعد التعبير والكتابة بســهولة . ونحن وإن لم ننتظر من الدارس فى المرحلة الأولى من التعلــيم إجــادة التعبيــر والكتابة ، إلا أننا ننتظر من القائمين على تدريســه وتعليمه أن يكثروا من تدريبه على الكتابة واختيار الكلمات والعبارات ، وتلخيص قطعة من القطع ، أو قصة من القصص ، أو

حكايـة مـن الحكايـات ، وتفهيمه علامات الترقيم ، وربط الجمل بعضها ببعض .

ويجـب أن يكلـف المـدرس الدارسين بالكتابة فى موضوع يفهمونه وفى مستواهم ؛ لأن هذا يجعل الفكرة واضحة أمام الدارس، ووضـوح الفكـرة فـى نفسه أمر يسهل عليه أن يعبر عنها شفويا وكتابيا ، وبالتالى إذا كانت الفكرة غامضة ، وفوق مستوى الدارس ، كـان مـن الصـعب عليه التعبير عنها والكتابة فيها . وإن خاطر الدارس وكتب فى هذه الفكرة الغامضة فإن أفكاره ستكون مضطربة، وعبارته ستكون ركيكة ، وأسلوبه سيكون ضعيفا ، وماذا نرجو من كتابة خلت من سلامة الفكرة ، وينقصها حسن العبارة ؟!.

وينبغـى أن نشير كذلك إلى أن القدرة على التعبير تحتاج إلى قـدرات خاصـة ، واستعداد فطرى ، وإلى مهارة وتهذيب وتربية ، وهذا الأخير هو الذى نطالب به القائمين على العملية التعليمية ، فهم مطالـبون بـأن يبعـثوا الذوق الأدبى فى نفوس الدارسين ، بحيث يسـتطيعون التعبيـر عما فى نفوسهم من الآراء والأفكار ، بعبارة عذبة جميلة .

الفصل الأول

مفهوم المقالة وجذورها فى أدبنا العربى

مفهوم المقالة :

لا بد ونحن نستعرض هذا الموضوع أن نتبين المراد من كلمة " المقالة " فى اللغة ، وأن نشير إلى أصل الكلمة فى كلام العرب .

وهناك تعريف معجمى للكلمة ، يتناول موضوع المقالة ، ووسيلة نشرها فقط ، وهناك تعريف آخر يتناول أسلوب المقالة ، وموضوعه ، وطريقة عرضه ، والهدف منه .

والحقيقة أن الكلمة تعود إلى مادة " قال " ومن مصادرها : مقالة ، ومقالا . وأطيب ما يستهل به القول فى ذلك قول الله تبارك وتعالى :

(ومن أصدق من الله قيلا) [١] .

وقوله تعالى :

(ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين) [٢] .

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٢٢ .

(٢) سورة فصلت ، الآية ٣٣ .

وقد وردت تعريفات كثيرة لمعنى القول عند اللغويين ، يقول صاحب القاموس المحيط [١] :

" القــول الكلام ، أو كل لفظ مذل به اللسان تاما أو ناقصا ج أقــول جـــج أقاويل ، أو القول فى الخير ، والقال والقيل والقالة فى الشـــر ، أو القول مصدر ، والقيل والقال اسمان له ، أو قال قولا ، وقيلا ، وقولة ، ومقالة ، ومقالا " .

وجـــاء فـــى لســـــان العرب : (قال يقول قولا وقيلا وقولة ومقالا ومقالة) [٢].

وورد فـــى مخـــتار الصحاح : (قال يقول قولا وقولة ومقالا ومقالـــة . ويقـــال : كثر القيل والقال ، وفى الحديث " نهى عن قيل وقال " وهما اسمان)[٣].

وفـــى المـــنجد : (يقول قولا وقيلا ومقالة : تلفظ " تكلم "... والمقال : مصدر القول ، والمقالة : القول " القطعة من الكتاب " [٤].

وقـــد وردت كلمة (المقالة) أو (المقال) فى شعر كثير من شعراء العرب ، وانظر إن شئت أشعار النابغة الذبيانى فى الاعتذار ، أو أشـــعار شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت ، أو

---

(١) الجزء الرابع ص ٤٢ . دار الجيل .

(٢) لسان العرب : (قول) .

(٣) الرازى ، مختار الصحاح ص ٥٥٦ . دار الفكر طبعة ١٣٩٨ هـ .

(٤) المنجد ص ٦٦٣ – مادة (قول) .

أشـــعار الحطيـــئة التى يخاطب فيها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وعلى هذا فالكلمة شائعة الاستعمال فى القديم وفى الحديث ، كمـــا شاعت فى الأدب العربى شعرا كان أم نثرا ، يضاف إلى ذلك أنهـــا دخلـــت كثيرا من التعبيرات التى نستخدمها ونسمعها كل وقت وكل حين ، فيقال مثلا : (مقالة صدق) و (مقالة حق) ، و(مقالة خير) ، و (مقالة شر) ، و (مقالة سوء) ، و (لكل مقام مقال)، وغير هذا وذاك من المصطلحات والتعبيرات التى شاعت على ألسنة الخاصة والعامة على السواء .

وقـــد وردت تعـــريفات مـــتعددة لكلمة (المقالة) ، وجاءت جمـــيعها تتفق ووجهة نظر الأدباء والنقاد من جهة ، وتتفق من جهة أخـــرى مـــع تطـــور هـــذا الفن ، واختلاف المذاهب فى النظر إلى ميادينه، ومناحى التجديد فيه .

وأيـــا مـــا كان الأمر فنحن لا نستطيع أن نستعرض كل تلك الآراء التى دارت حول تحديد مفهـــوم المقالة ، وما لها من ميادين ، وبخاصة أن كثيرا مـــن هـــذه التعريفات إنما هى عالة على ما ارتآه أدباء الغرب ونقاده [١] .

---

(١) انظر ما قاله فى هذا الشأن العقاد ، وغيره من الكتاب .

جذورهـــا :

والمقالـــة لا بـــد أن تكـــون فى أسلوب جزل رصين ، حتى تصيب بألفاظها وأسلوبها مواقع الشعور عند المتلقين ، ولا بد كذلك أن يكون لصاحبها بصيرة نافذة تجعله ينتخب ألفاظه ، ويختار معانيه ؛ ولعلـــه لهذه الأمور قال الدكتور / زكى نجيب محمود فى كتابه ; (فـــنون الأدب) عن المقال : " إنه فى صميمه قصيدة وجدانية سيقت شعرا " .

والحـــق أنـــه لم يعرف الأدب العربى القديم المقالة بالصورة الفنية التى نعرفها بها فى وقتنا الحاضر ، وإنما كان عندهم فن نثرى كانوا يسمونه (الرسائل) التى تتناول موضوعا بالبحث فى أسلوب عربـــى أصـــيل ، كـــتلك التـــى كان يكتبها الجاحظ ، وأبو حيان التوحـــيدى ، وغيـــرهما ، وكانوا يتناولون فيها نظرات فى معتقدات ومذاهب مختلفة ، أو مشاهدات عامة ، أو قضايا فكرية أو اجتماعية ، وقد يتخطى هذا إلى ما يتصل بالحياة من أمور الخير أو الشر .

أما فى العصر الحديث فقد نشأ المقال مرتبطا مع الصحافة ، واستمد منها حياته ووجوده ، وتلونت موضوعاته بحسب الاتجاهات التى كانت تسود الصحافة العربية .

يؤيد ذلك الدكتور / عز الدين إسماعيل فيقول :

" كلمـــة المقالـــة من حيث دلالتها الفنية تعد محدثة فى أدبنا العربـــى . والحق إن تـــاريخ المقالة عندنا يرتبط بتاريخ الصحافة ،

وهو تاريخ يرجع بنا إلى الوراء أكثر من قرن ونصف قرن بكثير . وبذلك يكون المقال قد دخل فى حياتنا الأدبية بعد أن أخذ فى الآداب الأوربية وضعه الحديث " [٢] .

ونستطيع أن نخلص من اضطراب أقوال الدرسين واختلافهم إلى أن المقال يطلق فى عصرنا الحديث على الموضوع المكتوب بأسلوب أدبى ، ويوضح فكرة من الأفكار ، أو مسألة من المسائل ، يشرحها الكاتب ، ويشفعها بالأدلة والبراهين ، ويعرضها فى الصورة الملائمة التى تتفق ورأيه ومذهبه ، حتى إذا استوفت حقها ختمها الكاتب بالخاتمة المناسبة .

والمقالة الأدبية منها ما يخدم القضايا الفكرية ، والاتجاهات الأدبية ، وقضايا الأدب فى القديم وفى الجديد ، ومنها ما يتخطى كل ذلك إلى تصوير أمور الحياة بحلوها ومرها ، وهذه هو الفارق بين المقالة والرسالة.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك أن المقالة يخاطب بها الخاصة والعامة ، أما الرسالة فلا يخاطب بها إلا الخاصة [٢].وقد تطول الرسالة فتصل إلى عشرات الصفحات .

---

(١) الأدب وفنونه ص ٢٨٨ .

(٢) انظر : الأدب الحجازى الحديث بين التقليد والتجديد ، د/ إبراهيم الفوزان : ٢/ ٥٩٧، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م .

والمقالـــة وثـيقة الصــلة بالبحث [١] ، وإن اختلفت عنه فى أوصـــافها واتجاهاتهـــا ، ومـــا تتصف به من طول وقصر ، ومـــا تتناوله من موضوعات .

إن المقالـــة كالبحث ، تتناول كافة الموضوعات والأغراض ، وتتعرض لمختلف المشاكل ، إنها تنحو منحى اجتماعيا ، فتهدف إلى تحريـــر الشـــعوب المغلوبة على أمرها ، وتدعو إلى علاج المفاسد الاجتماعية ، والأمراض الخلقية ، كما تدعو إلى الأخذ بأسباب التقدم والرقى ، ورفض التواكل والكسل والتخلف .

وقـــد تتـــناول المقالـــة مـــيدان السياسة ، فتحارب السياسات الجائـــرة، وتقاوم الطغاة الظلمة من الحكام ، وفى المقابل تؤيد وتشد على عضد الحكام الناجحين الصالحين .

وقـــد تـــتخذ المقالة جوانب الجمال فى كتاب من الكتب ، أو أسلوب كاتب من الكتاب موضوعا لها ، فتعمل على إثارة الإعجاب، وبعـــث اللـــذة فـــى نفوس القراء والمستمعين ، وتنبههم إلى جوانب الحسن والحمال فى الكتاب أو الكاتب .

والمقالـــة ليســـت حشـــدا لمعلـــومات من هنا وهناك ، فهى بوضـــعها الفنى الحديث تتميز بالقصر وبالخلو من القيود والزخارف اللفظية ، كما تتميز بأن الصفة العامة اللازمة للأسلوب الذى صيغت

---

(١) انظر : فن البحث والمقال ، د / فخرى الخضراوى ص ١٢ ، ١٣ . مطبعة الرسالة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧١ م.

به هو الوضوح والبساطة ، بحيث يقدم الموضوع إلى القراء بطريقة مشوقة ، وخاتمة المقال لا بد وأن تكون نتيجة طبيعية للمقدمة والعرض ، وأن تكون واضحة صريحة لم تأت بشيء لم يرد له ذكر في المقال .

ومن أبرز كتاب المقالة الشيخ محمد عبده وعبد الله النديم ، وعبد الرحمن الكواكبي ، وقاسم أمين ، وأحمد حسن الزيات ، وأديب إسحاق ، ومصطفى كامل ، والشيخ على يوسف ، وأمين الرافعي ، ومصطفى صادق الرافعي ، وأحمد أمين ، ونازك الملائكة ، وأمينة السعيد ، وسهير القلماوى .

وقد كتب هؤلاء المقالة فى ألوانها السياسية والاجتماعية والأدبية والدينية ، وهذا لا يمنع أن لونا معينا قد غلب على واحد منهم وبرز فيه دون غيره من أنواع المقالة ، كما غلب اللون السياسي على كل من : عبد الله النديم ، ومصطفى كامل ، وكما غلب اللون الاجتماعي على كل من الشيخ محمد عبده ، وعبد الرحمن الكواكبي ، وكما غلب اللون الأدبى على أديب إسحاق ، وكانت كتابة كل منهم ذات أثر رائع فى ميدانها .

وقد اهتمت الصحف والمجلات بنشر المقالات المختلفة [١] ، فاهتمت صحيفة " المؤيد " بنشر مقالات الشيخ على يوسف التى

---

(١) انظر الأدب العربى المعاصر فى مصر د . شوقى ضيف ص ٢٠٦ . دار المعارف بمصر الطبعة الخامسة ، والطبعة السادسة .

تدافـــع عـــن الـــدول الإسلامية وتهتم بقضاياها ، واهتمت جريدة " الجريدة " بمقالات لطفى السيد التى كانت تدعو إلى تحرير الشعوب من الاستبداد ، وكذلك كان حال " المقتطف " .وأخذت المقالة من ثم تنشـــط نشـــاطا ملحـــوظا فبرز فى المقالة السياسية كل من العقاد ، ومحمد حسين هيكل ، وأمين الرافعى ، وطه حسين ، وزكى مبارك، وعبد القادر حمزة ، وابراهيم عبد القادر المازنى .

وأخذ هؤلاء يختلفون فى أفكارهم وفى قضاياهم واحتدم من ثم الصـــراع بيـــنهم نتـــيجة لاختلاف مشربهم السياسى . ولم نلبث أن وجـــدنا كتـــبا للمقـــالات ، كان منها (مطالعات) للعقاد و (فيض الخاطـــر) لأحمـــد أمين و (حصاد الهشيم) للمازنى و(المختار) للبشرى ، ولا شك أن أسلوب هذه الكتب هو مثال للوضوح الناشىء عـــن الدقـــة فى اختيار الكلمات ، وسهولة التراكيب ، فبعد أن كان أســـلوب المقالـــة مقـــيدا بالمحسنات البديعية المتكلفة انطلق من هذه المحسنات وتلك الزخارف ، وجنح إلى البساطة فى التعبير ، وعمق الفكرة ، ثم مال إلى التركيز والموضوعية .

وهكـــذا أخـــذت المقالة تجتذب معظم كتاب العصر ، وأخذت كـــذلك تتســـع لكل الموضوعات التى تتصل بالطبائع الإنسانية ، من خيـــر وشـــر ، وأمـــل ويأس ورجاء ، وبخل وكرم ، وحب وكره ، وغير ذلك ، واتسعت أكثر لتشمل القضايا الاجتماعية ، والسياسية ،

والاقتصـــادية ، والأدبـــية ، والدينية ، كما اتسعت لكل فروع العلم والمعرفة .

ولعلـــه مـــن المناسب هنا أن نقول إن نهضة المقالة فى بلاد الشـــام كانت أقوى من نهضتها فى سائر الدول العربية ؛ ولعل ذلك راجـــع إلـــى ما كان بين بلاد الشام والدول الغربية من اتصال قوى ومباشر .

الفصل الثاني

نشأة فن المقالة وتطوره

سبق أن قلنا إن المقالة لها جذور قديمة العهد ، ترجع إلى ما أنشأه العرب من رسائل ، وخطب ، ومقالات ، وفصول ، فكل هذه كانت نواة فن المقالة .

فالمقالـــة إذن لهـــا جذور ولدت فى ظلال الدولة الإسلامية . ومـــن الثابت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اهتم اهتماما بالغا بالكتابة ، ونهج النهج نفسه الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم .

وعلـــى هـــذا فـــيمكن أن نقول إن فن المقالة مر فى تطوره بمرحلتين مهمتين :

<u>المرحلة الأولى : قديما :</u>

حيث عرف القدماء المقالة ، لكنهـــا عرفت باســـم (الرسالة) أو (الكتاب) مراعاة لطريق وصولها إلى الآخرين ؛ إذ هى مرسلة، أو نظرا لهيئتها إذ هى مكتوبة .

وكانت هذه الألوان الكتابية مقصورة على ضروريات الحياة، ومـــا ذلك إلا لضيق القاعدة التى تتيسر لها الكتابة ، فما أن توفرت لهـــا أســـباب الانتشـــار ، وصـــارت قولا معروضا ومتاحا للعامة

والخاصة ــ وعلى وجه الخصوص بواسطة الصحافة ــ كان ولا بد أن يتغير اسمها لتتحول إلـــى (المقالة) .

ومن هذا اللون القديم : (رسالة التربيع والتدوير) للجاحظ ، تلك التى يعلن فيها سخريته من أحد معاصريه .

يقول فيها :

" كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر ، ويدعى أنه مفرط الطــول ، وكـــان مـــربعا ، وتحســـبه لســـعة جفرته ، واستفاضة خاصرتـــه مربعا " .

فـــإذا مـــا وصلنا إلـــى العصر العباسى وجدنا مظاهر النمو والنضج قد بدت على هذا اللون الكتابى ؛ إذ اتسعت دائرة الرسائل ، وتـــنوعت ما بين : سياسية ، واجتماعية ، ودينية . يضاف إلى ذلك أنهـــا تأثرت بطريقة (ابن العميد) و (القاضى الفاضل) ومن نهج نهجهمـــا ، وتأثـــر بطـــريقتهما ، إذ التـــزموا السجع ، وأكثروا من المحسنات على حساب المعنى .

ومـــن كل ما تقدم يتبين لنا أن فن المقالة له جذوره العربية ، وهذه الجذور قديمة النشأة ، عرفها العرب مع بدء الدولة الإسلامية ، وأخـــذت تـــتطور شيئا فشيئا فى العصر الأموى ، حتى إذا ما جاء العصــــر العباســـى وجدنا كتاب العربية يتقنون هذا اللون الكتابى ،

ويتطورون به ، وإن لم يصلوا به إلى شكل المقالة الفنية فى العصر الحديث [١] .

المرحلة الثانية : فى العصر الحديث :

فـــإذا ما وصلنا إلى العصر الحديث وجدنا فن المقالة يتطور تطـــورا ملحوظا ، ويزدهر ازدهارا يلمسه العامة والخاصة ، وكان مـــن نـــتائج ذلـــك أن تعددت موضوعاته وفنونه ، وكثر كتابه كثرة ملحوظة .

لكن يلاحظ على المقالات التى انتشرت مع بداية هذا العصر ما يلى :

١ــ أن لغتها التى كتبت بها كانت ضعيفة المستوى .

٢ــ ضعف الفكرة المتـــناولة ، بل وتفاهتـــها أحيانا .

٣ــ تـــطول المقالة طولا زائدا لا فائدة مـــن ورائه .

٤ــ سيطرة الســـجع المتكلف على حســـاب المعنى .

وبمـــرور الزمن توفر لهذا الفن من العوامل ما جعله يتطور تطورا سريعا ، ويتنوع بتنوع أحوال الحياة .

وعلى رأس هذه العوامل :

١ ــ الاتصـــال بالأدب الغربى بعد قراءته وترجمته . والحق أنه كان لهذا الاتصال الأثر الكبير فى نهضة جميع الآداب والفنون ،

---

(١) انظر : فى الأدب العربى المعاصر ، د / إبراهيم عوضين : ١ / ص ٩٥ وما بعدها مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٦ م .

واطــلاع العــرب على كل جديد مبتكر فى العلوم ، ووسائط الحياة الحديثة .

والــذى ينبغى أن نذكره هنــا أنــه لــم يكن لعالمنا العربى صــلة بهذه العلوم الحديثة إلا بعد مجىء حملــة نابليــون بونابرت إلــى مصــر (١٢١٣ــ ١٢١٦ هــ) إذ المعروف أن حملة هذا الــرجل قــد مهدت بشكل أو بآخر لانتقال المعارف المستحدثة إلى العالم العربى [١] .

٢ ــ إرسال البعثات إلى أوربا ، فمن المبالغة أن نعد الحملة الفرنســية وحــدها هى السبيل الوحيد الذى أطلع العرب على الجديد المبتكــر فــى العلوم ؛ ذلك لأن المدة الزمنية التــى قضتها الحملة فــى مصر لا تزيد على ثلاث سنوات، ثم إن الإصلاحات التــى أحــدثها الفرنســيون لــم يكــن هدفها الأول هو تنبيه الرأى العام ، وتحريك كوامنــه نحو الرقى والتقدم [٢] .

ومــن هــنا يمكن أن نعد الإصلاح الشامل الذى قام به محمد علــى هو الخطوة الأولى فى سبيل تقدم المجتمع العربى ؛ فلقد عنى هذا الرجل بالبعثات العلمية ، وأنشأ المدارس ، وأرسل الدارسين إلى فرنســا ، وكــان منهم من أسهم فى الدعوة إلى النهضة فيما بعد ، وطالب بإرساء الأسس السليمة لإحياء مجتمع جديد مستنير ، مثل :

---

(١) انظر : الجبرتى " تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار " : ٢ / ٢٣٣ .

(٢) انظر المصدر السابق .

رفاعــة الطهطاوى ، وعلى مبارك ، وغيرهما من زعماء الإصلاح والدعوة إلى المدينة الحديثة .

٣ ــ انتشار المطابع ، وإحياء التراث ، بالعودة إلى عصور ازدهاره ، واتباع منهج أصحابه فى الكتابة ، والتمسك بلغتهم القوية، وأسلوبهم المرسل [١] .

وكان من آثار تأسيس المطابع أن ظهرت الصحف والمجلات اليومــية والدورية منذ وقت مبكر ، فقــد صدرت صحيفة (الوقائع المصــرية) سنة ١٨٣٣ م ، و (الجريدة التجارية والزراعية) سنة ١٨٤٧ م .

والحقيقة أن صحيفة (الوقائع المصرية) لم تكن مجرد نشرة حكومــية ، تطلــع الــناس علــى القوانين والأوامر التنظيمية التى تصــدرها الدولة ، ولكنها كانت صحيفة إصلاح وتهذيب ، وتحضر وثقافة ، فقد عنيت منذ سنة ١٨٤١ م بالمقالات الأدبية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والعلمية ، والاقتصادية .

ويمكنــنا أن نقول إن المقالة ــ وعلى وجه الخصوص المقالة الأدبيــة ــ قد بلغت أوجها ، ووصلت إلى منزلة رفيعة من الإمتاع والجــودة بفضــل ما تيسر لكتابها من عودة إلى التراث ، والتثقف بثقافته ، والوعى بوظيفته ، ومدى ما له من تأثير فى القارئين .

---

(١) انظر : الأدب العربى المعاصر فى مصر ، د / شوقى ضيف ، ص ٣١ . دار المعارف بمصر .

٤ – ظهور الصحف المتنوعة . ذلك لأن الذى يتصل بموضوع المقالة ، وبالمؤثرات التى أثرت فى تنشيط الحركة الأدبية، وتطوير الأساليب الكتابية ، إنما هو قريب الصلة بنشأة الصحافة العربية ، وكثرة عدد الصحف والمجلات المنتشرة فى عالمنا العربى، فلقد تحولت جميعها إلى لسان حال يخاطب الشعب العربى بكل طبقاته ، وفى كل أمر من أمور حياته .

والذى ينبغى أن نذكره فى هذا الصدد هو أن حاكم مصر والسودان محمد على ، أراد أن يقف فى وجه التتريك ، فأمر بأن يكون التعليم باللغة العربية ، ثم أمر كذلك بإنشاء صحيفة لمصر تتحدث عن شئونها ، وتنقل أخبارها ، فكانت هذه الصحيفة هى صحيفة (الوقائع المصرية) [1] ، ومن ثم فهى البداية الحقيقية الأولى لمسيرة الصحافة فى المشرق العربى .

ويمكن اعتبار جريدة (الجوائب) تلك التى أسسها أحمد فارس الشدياق – أول جريدة عربية كبرى كان للمقالة فيها – على اختلاف مناحيها – حظ كبير ، وأصبحت هذه الجريدة تقرأ فى سائر أنحاء العالم [2] .

---

(١) صدر العدد الأول منها فى ١٢ / ٦ / ١٢٢٤ هـ الموافق ٢٠ / ١١ / ١٨٢٨ م .
(٢) انظر : دائرة المعارف الإسلامية ، دار الشعب ، مصر ، مجلد ١١ ص ٢٤٦ .

ثم تـوالى صدور الصحف والمجلات فـى بقية أقطار العالم العربى [١] ، والحق يقال إن بعضها استمر فى الصدور دون عقبات أو عثـرات ، وأن بعضها الآخر قد اعترضته العقبات ، فتوقف بعد سنوات .

والحقـيقة أن الشـام قـد سبق غيره من الأقطار العربية فى إصـدار الصحف ، لحرص الشاميين على التعليم من جهة ، وللأثر الـذى تـركته مدارس التبشير فى الشام من جهة أخرى ، وتبع ذلك إنشاء الصحف والمجلات ، فأقبل الكتاب على مزاولة الكتابة فيها ، فكانوا يحتذون فى فنونهم أساتذتهم الغربيين ، الذين بلغت المقالة فى أدبهم مبلغا جيدا ، ومن هنا كان بدء ازدهار المقالة فى الشام .

وقـد انتقل الشاميون إلى مصر ، وحملوا معهم صحفهم التى أنشأوها ، وأنشأوا صحفا ومجلات أخرى ، وأخذوا ينشرون أدبهم ، فحـذا المصـريون حذوهم ، وبدأ يظهر فيهم كتاب متخصصون فى ميدان المقالة ، لم يلبثوا أن سيطروا على الميدان ، وظهر فيهم نوابغ كـبار كانوا هم أساتذة فن المقالة فى العصر الحديث ، وعلى أيدى هؤلاء بلغت المقالة أعلى مرتبة لها وتربعت على أرفع العروش [٢].

---

(١) انظر : الأدب العربى المعاصر فى مصر ، د / شوقى ضيف ، ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) انظر المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

٥ ــ التوســع فى التعليم ، وصيرورته غاية لنفسه ، ولم يعد يراد به الجيش ، وإنما أصبح يراد به الشعب [١] .

ومعنى هذا أن المواطن العربى قد انتقل فى حياته العقلية نقلة كبيرة ، وخطى خطوات واسعة نحو الامتزاج بالحضارة الأوربية ، وكــان ذلــك ســببا فى أن يتهيأ للتأثر بالآداب الغربية ، وأن ينتقل بالترجمة نقلة دنت من الكمال بما أوتى من قدرة لغوية وأدبية .

وفــى ظــل هــذه الحركة العلمية توافر عدد كبير من كتاب المقالــة الــبارزين ، الــذين اتضحت شخصياتهم الأدبية ، وبرزت اتجاهاتهم الأدبية ، وكل هذا معناه تطور المقالة وازدهارها بشكل لم يســبق لــه نظير ولا مثيل فى تاريخنا الحديث ، وأخذنا نقيم لأنفسنا نهضــة أدبية حقيقية ، وكان عمادنا فى ذلك الاتساع بالتعليم ، حتى نادى بعض مفكرينا بأنه ضرورة ، وأن من الواجب أن يتمتع به كل مصرى ، كما يتمتع بالهواء والماء [٢] .

وهكــذا صــار (فن المقالة) من أكثر الفنون النثرية ذيوعا وانتشارا وتطورا فى العصر الحديث ، بل إننا ليمكننا القول إن أكثر الكــتب انتشارا فى هذا العصر إنما هى الكتب الأدبية التى كانت فى صورة مقالات متنوعة الأغراض والأهداف .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٩ .

ونتـيجة لمـا سبق بدأت النهضة تؤتى ثمارها ، وظهر عدد كبيـر مـن الأدباء والنقاد ، هاجموا الطريقة العثمانية فى الكتابة ، وأخـذوا يعملـون على تحرير كتاباتهم من قيود الصنعة ، ومنهم : لطفـى السـيد ، وطه حسين ، وعباس محمود العقاد ، وغيرهم من الـذين أسسـوا ، وطـوروا سـمات المقالة الفنية حديثا ، ومن هذه السمات والمظاهر :

١ــ التحرر من قيود الصنعة .

٢ــ التعمق فى أحداث المجتمع .

٣ــ الاقتراب من الجماهير .

٤ــ إثارة النزعات التحررية .

٥ــ الاهتمام بالنواحى الدينية ، والاجتماعية ، والأدبية فى المجتمع.

الفصل الثالث

بين المقال الصحفي وفن المقالة

والحقيقة التى لا يمكن إغفالها أن المنابع الأساسية لفن المقالة فـــى الأدب العربـــى الحديث إنما هى الصحف والمجلات الدورية ، ذلـــك لأنها قامت بمهمة التعبير عن المجتمع ، وأبانت عن التيارات الأدبـــية المـــتدافعة فيه ، بل إن النهضة التى شهدها فن المقالة فى النصـــف الأول من القرن العشرين كان مردها إلى اهتمام الصحف والمجـــلات اليومية والدورية بها ، وتخصيصها أعمدة فى صفحاتها لها ، وقد اتخذ جميع الكتاب من هذه الصحف والمجلات وسيلة لنشر إنتاجهم الأدبى ، وآرائهم الجديدة فى الأدب والفن .

لقد استطاعت هـــذه الصحف وتلك المجلات أن تكون مدرسة تثقيفـــية ، ومعرضـــا للفنون الأدبية ، وللدراسات النقدية ، ولعلنا لا نعـــدو الحقيقة إذا قلنـــا إن الأدب الحديث بصفة عامة ، وفن المقالة بصفة خاصة ، قد نشأ وترعرع فى أحضان الصحافة [١] .

ومع أهمية الدور الذى تلعبه الصحافة فى الدراسات الأدبية ، والفنـــية ، والاجتماعـــية ، فإنا نجد أن الصحافة كانت من العوامل الرئيسة فى نشأة فن المقالة ، وفى تطور هذا الفن ونموه وانتشاره ،

---

(١) انظر : الأدب العربى المعاصر فى مصر ، د / شوقى ضيف . ص ٣٦ وما بعدها .

فهـــى التى هيأت ، وساعدت على انتشار هذا الفن الحديث فى وقتنا الحاضـــر ، لا فى الآداب العربية فحسب ، بل وفى الآداب العالمية جمـــيعها ، وإن أردت الصـــواب فقل إنه ليس هناك لون من ألوان الإنـــتاج الأدبى يدين فى رواجه وانتشاره للصحافة مثل فن المقالة ، فالصـــحف هـــى التـــى تقبل على المقالة ، وتتهافت على نشرها ، والمقالـــة هـــى الفـــن الوحيد من بين فنون الأدب الذى يتفاعل مع الصحافة .

فعـــن طـــريق الصحافة وحدها انتشرت المقالات الإصلاحية التـــى كان يكتبها الكتاب الاجتماعيون من مقالات اجتماعية ، ينقدون فـــيها بعض الأحوال التى كانت فى المجتمع ، ويقارنون بين التقاليد الموروثة (تقاليد مجتمعنا الإسلامى) وتقاليد المجتمع الغربى ، التى كـــان يحـــاول الـــبعض ممن يتصلون بأوربا من قريب أو من بعيد محاكاتها وتمثلها .

وعلـــى هـــذا الـــنحو جاءت مقالات معظم الكتاب متحدة فى الغـــرض مـــنها ، وخرجت تستهدف أولا وقبل كل شىء الإصلاح الاجتماعـــى ، ومعالجـــة الأمراض الاجتماعية التى استوطن بعض مـــنها فـــى البيئة العربية ، ومع هذا فنحن نرى تلك المقالات ــ مع اتحادهـــا فى الغرض ــ تختلف بعض الشىء فى طريقة المعالجة ، وفى عرض تلك الأدواء والأمراض والعيوب الاجتماعية .

وثمة حقيقة مهمة وخطيرة ، وهى أن الهدف الإصلاحى الاجتماعى قد استمر فى محاولات الكتاب ، وهذه خطوة على الطريق جعلت الكتاب يدفعون دفعا إلى تحقيق شىء من الأصالة فى ميدان فن المقالة ، وينشدون تطورها ، من خلال الاهتمام بالنواحى الدينية والاجتماعية والأدبية ، ومن رواد هذه المرحلة: (الشيخ محمد عبده) ، و (عبد الله النديم) ، و (الشيخ على يوسف) ، و (مصطفى كامل) ... وغيرهم [1] .

وإذا كان هناك من النقاد العرب من يرى أن فن المقالة لم يرتبط فى ظهوره بالصحف والمجلات [2] ، فهى — أى المقالة — معروفة قبل أن تعرف الصحف ، وقبل أن يخترع فن الطباعة الآلية بقرون طويلة ، ذلك لأن عددا من الأدباء قد اختاره قالبا فنيا منذ عصر اليونان القدماء .

إذا كان كذلك فإن هناك عددا كبيرا من الأدباء والنقاد يرون أن فن المقالة إنما ارتبط فى نشأته بالصحافة ، وأنه رافقها على طريق التطور والازدهار ، متأثرا بالمقال الغربى ، وأنه بدخول الصحافة ديار العرب أخذت تؤثر فى تطور المقال ، وتنقل الأسلوب الكتابى من الترصيع والتزيين والركاكة ، إلى البحث عن الكلمة

---

(١) انظر : النديم الأديب ، د / محمد السعدى فرهود ، ص ٨٣ . المكتبة السعدية ، القاهرة ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م .

(٢) على رأس هؤلاء الدكتور / محمد مندور .

الخفيفة البعيدة عن الإغراب ، والمناسبة للمعنى ، للتخلص من قيود السجع ، ومحاكاة أساليب النثر فى العصور الأولى .

أمـــا أثـــر الصحافة البالغ فى الأسلوب الكتابى ، فهذا أمر لم يتبلور إلا فى كتابات أدباء أوائل القرن العشرين الميلادى ، وإن كان حظ كل منهم يختلف باختلاف موهبته وتثقفه ، وحرصه على أدواته الكتابية .

وفى رأيى أنه على رأس هؤلاء الكتاب المجددين الذين دخلوا بالنثـــر إلى ميادين واسعة من التطوير والتجديد ، أمثال : الدكتور / طه حسين ، والدكتور / محمد حسين هيكل ، والأستاذ / أحمد حسن الـــزيات ، والأستاذ / عباس محمود العقاد ، والأديب / جبران خليل جبـــران ، والأديـــب / إبراهيم عبد القادر المازنى ، والأستاذ / سيد قطـــب ، والأســـتاذ / أحمـــد أمـــين ، والشاعر / ميخائيل نعيمة ، والأديبة/ مى زيادة ، وغيرهم .

فقـــد أفـــادوا جميعا من عودتهم إلى التراث العربى ، فأحيوا جـــيده ، وحاكوا النماذج الممتازة منه ، وأضافوا إلى ذلك ما استجد مـــن الجديد ، ومن ابتكار تمنحه الموهبة الصادقة ، فاجتمع لأكثرهم الطبع الصادق المتدفق ، والإلمام بالقيم الفنية للنص العربى القديم ،

والـثقافة الحديثة الشاملة ، وكل ذلك لا بد أن يدفع إلى إبداع جديد ، يحمل سمة صاحبه ، ويكون بمعزل عن التقليد والتأسى العقيم [1] .

لقـد بلغـت المقالة أوجها ، ووصلت إلى ما وصلت إليه من تطـور بفضـل الصحافة ، ذلك لأن ما كان يكتب فى الصحافة فى الـوطن العربـى لـم يخل من تأثير قريب أو بعيد فى تكوين إنسان القرن العشرين .

ولقد تمثل أثر الصحافة فى تطور المقالة فيما يلى :

١- اتسعت موضوعات المقالة ، فأخذت تتناول الموضوعات الدينية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية .

٢- ظهـر فى المقالة ميل كبير إلى فهم ما تضطرب به حياة الكـتاب مـن أحـداث ومؤثرات ، وما يسعون إليه من تغيير ، ثم الوقـوف عـند حقـيقة الدعـوات الفكرية والاجتماعية التى يعلنها المصلحون منهم .

٣- وصـلت المقالة إلى درجة عالية من الدقة ، والتركيز ، وبـراعة العـرض ، حتى لكأننا أمام فن أدبى جديد غير معهود من قبل .

٤- طـوعت الصحافة لغـة المقالة ، فأصبحت سهلة سليمة الصياغة ، فقام كتابها من ثم بواجبهم فى الإبانة عن وظيفة الأدب ،

---

(١) المقالة فى الأدب السعودى الحديث ، د / محمد العوين : ١ / ٥٠ ، ٥١ . الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .

وتوضـــيح مكانة الأدباء فى المجتمع ، ودورهم فى الرقى به إلى ما يحملونه من قيم ، وما يحلمون به من مثاليات .

٥- اكتملت أنواع المقالة ، وأصبحت تتميز بميزات خاصة، جعلـــت كتابنا يصولون ويجولون فيها ، ويرتقون بها وبغيرها إلـــى مراتب عليا فى استشعار وظيفة الكاتب ، وأداء مـــا عليه مـــن حق تـــجـــاه مجـــتمعه وأمـــته ، فـــكـــان لهم إسهام طيب فـــى المقالة السياســـية، والأدبية ، والدينية ، والعلمية ، والفلسفية ، والخاطرة ، والرسائل ، وعرض الكتب ، وغيرها .

٦- تعـــددت وســـائل نشـــره بين صحيفة ومجلة ، فالمنابع الأساسية للمقالة ــ كما سبق أن قلنا ــ هى الصحف والمجلات ، بل إن النهضـــة التـــى شهدتها المقالة فى القرن العشرين ــ وعلى وجه الخصوص فى النصف الأول منه ــ كان مردها إلى اهتمام الصحف والمجـــلات بها ، وقد اتخذ الكتاب من هذه الصحف وتلك المجلات وسيلة لنشر إنتاجهم الأدبى وآرائهم الجديدة التى نطقت بها مقالاتهم.

ثـــم إن الصـــحافة هى التى هيأت وساعدت على انتشار فن المقالة ، بل وعملت على تطوره ونموه .

٧- تـــنوع أسلوب المقالة بين العلمى والأدبى ، والعلمى المتأدب ، حتى ظهرت المقالة العلمية الموضوعية ، التى تلتزم بالتقسيم المتبع فى الكتابة المقالية عن أى موضوع علمى ، لتكون قضاياه متواصلة،

بحـــيث تكـــون كل قضية نتيجة لما قبلها ، مقدمة لما بعدها ، حتى تنتهى جميعا إلى الغاية المقصودة .

٨- اتســمت المقالـــة بالمـــرونة والاســـتجابة للتيارات السائدة فى المجتمع، وقد تمثل هذا فى فترتين بارزتين :

(أ) الفترة الأولي : فترة الصراع السياسى ، وفيها كثرت المقالات السياســية التـــى تـــواكب الحـــياة ، وما يصطرع فيها من تيارات مضطربة ، يعمد الكاتب فيها إلى إبراز وجهة نظره إزاء الأحداث ، والـــذب عن معتقده السياسى ،أو الدفاع عن حزب أو تيار ، أو نحو ذلك .

(ب) الفتـــرة الثانـــية : فترة انتشار تيارات الإصلاح الاجتماعى ، وفى هذه الفترة كثرت المقالات الاجتماعية التى تعالج أدواء المجتمع وأمراضــــه ، مـــثل الجهل ، والفقر ، والمرض ، والعادات والتقاليد البالية .

٩- ازدهرت المقالة ، واتسعت قاعدتها الجماهيرية ، بحيث لا ترى صـــحيفة تخلـــو من مقالات متعددة تعالج مشكلات المجتمع ، وتعبر عن آماله ، وتصل إلى النتائج التى تدفع الحياة إلى التطور والرقى .

١٠- وإذا كنا نعرف أن كتاب المقالة كانوا صفوة من رجال الأدب والفكـــر ، الـــذين جمعوا بين الثقافتين : العربية الأصيلة ، والغربية الوافدة ، فإننا يمكن أن نقول إن الصحافة - بما كانت تنشره لهؤلاء - قـــد أثـــرت فـــى لغـــة المقالة ، فاتجهت للترسل ، والوضوح ،

والتركيز ، وابتعدت عن أسلوب المقامات ، لأن كاتبا هذا شأنه ليس لديـــه من الوقت ما يمكنه من التفنن فى الترصيع ، كما أن القارىء ليس لديه صبر على قراءة مثل هذه الألوان الكتابية .

لقـــد ارتقى هؤلاء بأسلوب المقالة ، واتجهوا فيها إلى التحليل والتعلـــيل ، ووضوح الفكرة ، ودقة التعبير عنها ، وسلامة العبارة ، وأكبـــر دليل على ذلك هو ما كتبه كل من : الأستاذ / لطفى السيد ، والدكـــتور / طه حسين ، والأستاذ / محمد حسين هيكل ، والأستاذ / عباس محمود العقاد ، وإبراهيم عبد القادر المازنى ، وغيرهم .

١١- جذبت الصحافة الأدباء بشكل أو بآخر ، وأتاحت لهم الفرصة فى نشر ما يكتبون ، حتى أصبحت الصحف مجالا لكتابة المقالات : الأدبية ، والاجتماعية ، والفلسفية ، والدينية ، الأمر الذى ترتب عليه رواج ونشاط فن المقالة ، حتى ظهرت الصحف المتخصصة ، مثل الصـــحف السياسية التى ظهرت بعد انتشار الوعى القومى ، وأخذت تهتم بالمقالات التى تثير الجماهير مثل مقالات : الشيخ محمد عبده ، وعبد الله النديم ، والشيخ على يوسف ، وغيرهم .

وقـــد حرص بعض الأدباء على جمع مقالاتهم فى كتب صار لهـــا دور بـــارز فى النهضة الأدبية والاجتماعية ، ومن هذه الكتب (الفصـــول) للعقاد ، و (حديث الأربعاء) لطه حسين ، و (وحى القلـــم) للرافعـــى ، و (نمـــاذج بشرية) للدكتور محمد مندور .. وغيرها .

هذا هو دور الصحافة فى تطور ورقى فن المقالة . ونحن لو التمســـنا الطـــريق إلـــى واحد من الأدباء الذين عاصروا تطور فن المقالة لنسأله عن ذلك لأجابنا بأن الصحافة قد أسهمت إسهاما فعالا فى نهضة المقالة وازدهارها .

الصحافة ومدارس المقالة فى أدبنا الحديث

سبق أن أشـرنا أن الصحافة كان لهـا ــ مـع بقية عوامل النهضة – إسـهام كبير فـى اكتشاف نموذج المقالة ، بـل وفـى صـنعها ، لدرجة أننا لم نصل إلـى فاتحة هـذا القرن حتـى كان لـنـا مـدارس صـحفية متميـزة ، حمـل كتابها عبء النهوض بالمـقـالات السياسية وغير السياسية ، بل لقد دفعوها أشواطا حتى صارت فنا له أصول وقواعد ، ونظم وتقاليد [١] .

فالصحافة إذن هـى الباعث الأقـوى الذى دعم البناء الأدبى للمقـال ، وأعانـت علـى الابـتكار فـى فنونه وألوانه ، وفتحت صفحاتها لكل نابه فيـه ، وأصبح الجميع يطالعون المقالات الطويلة والقصـيرة فـى مختلف شئون الحياة ، علـى صفحات الصحف مـع اختلافها مـن يومية ، وأسـبوعية ، وشهرية ، وفصليـة ، حتـى صـار للمقالة فـى العصر الحديث مدارس متنوعة فـى اتجاهاتها ، وسـماتها ، وخصائصها .

ونحـن نريـد فـى هـذه الصفحات أن نجمع شتات مدارس المقـالة ــ وإن تداخلت فى الفترات التى عاشتها ، ومعاصرة بعض رجالها لبعض ــ وأن نوضح ما أمكن السمات الغالبة على أصحاب

---

(١) انظر المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، د / السيد مرسى أبو ذكرى ص ٦١ وما بعدها . دار المعارف بمصر ١٩٨١ ــ ١٩٨٢ م .

كـــل مدرســـة ، ومدى ما حققوه فـــى دفع الفن المقالى إلى الأمام : فكرة ومضمونا ، أو موضوعا ، أو لغة وأسلوبا ، وما إلى ذلك .

(أ) المدرسة الأولى :

ويمكـــن أن نسمى مرحلة هذه المدرسة بمرحلة النشأة ، وهى تلـــك المرحلة التى نشأت فيها الصحافة ، وتبدأ هـــذه المرحلة تقريبا مـــــن صدور صحيفة (الوقائع المصرية) عام ١٨٢٨ م ، وتنتهى بقيام الثورة العرابية .

وزعـــيم هذه المدرسة غير مدافع هو " رفاعة الطهطاوى " ، فقـــد حمـــل هذا الرجل على عاتقه مهمة ظهور المقالة [١] والكشف عنها ، وهذا فى الحقيقة شيء ما كانت لتألفه الصحافة المصرية من قبل ، وتبعه فى هذا عبد الله أبو السعود [٢] ، وغيره .

بـــيد أن مـــا يمكـــن ملاحظته على محاولات الطهطاوى أن المقالة التى ظهرت على يديه كانت بدائية فجة ، وكان أسلوبها أقرب إلـــى عصـــر الانحطـــاط ، فهو يزهو بالسجع الغث ، والمحسنات البديعية ، والزخارف المتكلفة الممجوجة [٣] .

---

(١) انظر : أدب المقالة الصحفية فى مصر ، د / عبد اللطيف حمزة : ١ / ١١١ . عالم الفكر ١٩٦٤ م .

(٢) انظر : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، د / السيد مرسى أبو ذكرى ص ٤٨ . دار المعارف ١٩٨١ ــ ١٩٨٢ م . دار نشر الثقافة بالإسكندرية .

(٣) انظر نماذج لذلك فى : الوقائع ، عدد ٦٠٣ . الخميس غرة ربيع الثانى ١٣٥٨ هـــ .

وكانت الشئون السياسية هي الموضوع الأول لمقالات هذه المدرسة ، وإن وجد من الكتاب من تناول بعض الشئون الاجتماعية والتعليمية [١] ، فلقد حملت المقالات لواء الثورة على الفساد ، كما حملت مهمة الدعوة إلى ثورة فكرية [٢] .

وفيما يلي جزء من مقالة بعنوان (الوطنى المزيف) [٣] لأحمد فارس الشدياق ، يقول فيه :

" من الناس من يبالغ فى مدح وطنه ، ويحن إليه حنينه ، فيصف مروجه ورياضه ، وحروجه وحياضه ، ووهاده وجباله ، وتلاعه وتلاله ، وربوعه ودياره ، ونباته وأشجاره ، وبقوله وثماره، ودوحه وأطياره ، وطيب هوائه ، ولذة مائه ... " .

ولا يمكن أن نغفل فى هذه الفترة عوامل النهضة الأخرى ، مثل : إحياء تراثنا القديم ، والاتصال بالحضارة الغربية ، فكل هذه العوامل مجتمعة دفعت فن المقالة دفعات إلى الأمام ، ثم أخذ الوليد ينمو ويتطور ، وتتنوع اتجاهاته ، وأشكاله ، وخصائصه الأخرى .

---

(١) فن المقالة ، محمد يوسف نجم ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) راجع : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، أحمد أمين ص ٥٧ ــ ١٢١ . لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٧ هـ ــ ١٩٤٨ م .

(٣) انظرها فى كتاب : نشأة النثر الحديث وتطوره ؛ عمر الدسوقى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٦ م ص ٥٧ .

(ب) المدرسة الثانية :

وتمــتد هــذه المدرســة حتى الاحتلال الأجنبى لمصر عقب الــثورة العرابية ، ومن أشهر أعلام هذه المدرسة : أديب إسحاق ، ومحمــد عبده ، ومحمد رشيد رضا ، وعبد الله النديم ، وكلهم ممن ارتبط بالصحافة ، وارتبط كذلك بالكفاح الوطنى المصرى .

ويطلق الأستاذ عمر الدسوقى على هذه المدرسة اسم مدرسة (جمال الدين الأفغانى) [1] ، لأن أعلام هذه المدرسة قد تتلمذوا على يديه ، وتأثروا بدعواته الإصلاحية والفكرية .

وأصبحوا دعاة لها ، وليست من شك فى أن الأفغانى كان له دور كبيــر فى قيام ثورة فكرية فى مصر ، والدور نفسه قام به كل مــن : عبد الله النديم ، ومحمد عبده ، فلقد شاركوا جميعا فى إشعال الروح الوطنية ، والدينية ، والأدبية فى مصر ، ودعوا إلى الاقتباس من الغرب ، وقد كان لرروادهم الذين تأثروا بهم دور كبير الشأن فى الدعوة إلى التجديد فى مصر .

وهــناك بون واسع بين مقالات هذه المدرسة والمدرسة التى تســبقها، فلقــد بــث أبناء هذه المدرسة فى المقالة والسياسية الحياة والقــوة ، فكانت مقالاتهم السياسية على سبيل المثال هى أقوى شىء هوجم به الاحتلال الأجنبى فى مصر .

---

(١) المصدر السابق : ١ / ٦٠ .

وعمــوما فــإن هذه المدرسة قد خطت بهذه المقالة خطوات طيبة من حيث : الموضوع ، والفكرة ، والأسلوب ، والأداء الفنى ، نعــم إنها لم تبلغ بالمقالة حد الكمال ، لكنها ارتقت بها عن سابقتها ، وخطت بها خطوات واسعة .

(ج) المدرسة الثالثة :

وأبناء هذه المدرسة عاشوا فترة من حياتهم فى ظل الاحتلال، ورأوا مــا رأوا مــن سياساته الاستعمارية ، من تعطيل للصحف ، وإذلال الشــعب وامــتهانه ، ونفــى زعمائــه أمثال : محمد عبده ، وغيره، فكان ولا بد أن يتأثروا برصيد الكفاح الوطنى الذى سبقهم ، وبالدعوات التحررية والإصلاحية التى نادى بها الأفغانى وغيره من المصلحين الذين كانوا شعلة وطنية متقدة ، وكانوا خطباء مفوهين ، وكتابا سياسيين لا يشق لهم غبار [(١)] .

ومــن أعــلام هذه المدرسة : مصطفى كامل ، والشيخ على يوســف ، وجورجــى زيــدان ، ولطفــى السيد ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وعبد العزيز جاويش ، ومحمد رشيد رضا ، وغيرهم .

والحــق يقال إن أبناء هذه المدرسة قد أوقفوا معظم كتاباتهم على الاتجاه السياسى ، وانبرى كثير منهم للحديث عن يقظة الوعى القومى من جهة ، والحرية ، والاستقلال ، والحياة الكريمة من جهة أخرى .

---

(١) انظر : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، د/ السيد مرسى أبو زكى ، ص ٥٠ .

يقول الدكتور عبد القادر رزق الطويل عن هذه المدرسة [١] :

" وبالـــرغم من طغيان الاتجاه السياسى فى المقالة عند أعلام هـــذه المدرسة – للظروف التى عاشوا فيها – وأنها كانت أقرب إلى الخطبة الحماسية منها إلى المقالة الهادئة المتزنة ، فإننا نلحظ تنوعا فـــى الموضوعات ، ناتجا عن اختلاف اتجاهات الأعلام فى ميادين الإصـــلاح ، واتجـــاه كـــل منهم إلى القيادة فيه ، فهذا (السيد على يوســـف) يدافـــع عن الحكم المصرى ، والدين الإسلامى ، والكفاءة المصرية ، بينما (لطفى السيد) يقوم على حراسة (أخلاق الأمة)، و (مصـــطفى كامـــل) يلهـــب الضمائر حماسة بمقالاته الملتهبة ، ليهزها بقوة لتنهض مطالبة بحقوقها ".

وعمـــوما فـــإن هـــذه المدرسة قد خطت خطوات جريئة بفن المقالة ، فى الموضوعات وفى البناء الفنى ، وقد وجهت الأنظار إلى اليقظة العامة ، والثقافة بمفهومها الواسع ، وذلك لتربية أذواق الناس وعقـــولهم ، ويكفـــيها شرفا وفضلا أنها مهدت الطريق لظهور طبقة مستنيرة وجيل جديد فى المقالة تقاسم أبناؤه شئون الكتابة المختلفة ، من أمثال : عبد الرحمن شكرى ، والعقاد ، والمازنى ، وطه حسين، وهيكل [٢] .

---

(١) المقالة فى أدب العقاد : ص ٥١.

(٢) انظر فن المقالة ، د/ محمد يوسف نجم ص ٦٧ .

(د) المدرسة الرابعة :

وأبـــناء هذه المدرسة هم الجيل الذى نشأ عقب جيل المدرسة الثالــثة ، أى بعد الحرب العالمية الأولى ، ومعنى هذا أن هذا الجيل قد عاصر أحداثا عظيمة فى التاريخ العربى الحديث والمعاصر [١] .

ومن أشهر أعلام هذه المدرسة : أحمد حسن الزيات ، وأحمد أمـــين، وأمين الرافعى ، وزكى مبارك ، ومحمود تيمور ، والعقاد ، وشـــكرى ، والمازنـــى ، وطه حسين ، والرافعى ، وهيكل ، وعبد القادر حمزة والزيات ، ومحمود محمد شاكر ، وغيرهم .

وامـــتاز كـــتاب هـــذه المدرسة بأنهم كانوا يلهبون بمقالاتهم الإحســـاس الوطنى ، ويخبلون العقول والقلوب بمقالاتهم السياسية ، وامتازت مقالاتهم بالأسلوب الأدبى الحديث المتسم بالتركيز ، والدقة العلمـــية ، والمـــيل إلـــى بث الثقافة العامة التى تربى أذواق الناس وعقولهم .

فـــى هـــذه الآونـــة لم تلبث المقالة – وعلى وجه الخصوص المقالة الأدبية – أن أفردت لها مجلات خاصة ، بل وكتب خاصة ، تعنى بالحركة الثقافية والأدبية .

يقول الدكتور / شوقى ضيف [٢] :

---

(١) انظر : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، د/ السيد مرسى أبو ذكرى ، ص ٥٣ وما بعدها.

(٢) الأدب العربى المعاصر فى مصر ص ٢٠٧ .

" ولا نتقدم إلى الجيل الثالث جيل هيكل والعقاد وطه حسين والمازنى ، حتى تصبح المقالة الأدبية أثرا فنيا قيما حقا ، فهى تمس القلوب ، وتثير العواطف ، وقد اتسعوا بها إلى مباحث عميقة فى الأدب والنقد ، والفنون الجميلة ، والنظريات الفلسفية والاجتماعية ، مستهدين فى ذلك بالمثل الإنسانية العليا مثل الخير والحق والجمال .

وسار فى هذا الطريق غير كاتب مثل توفيق الحكيم وغيره ، ممن نقلوا إلينا فى مقالاتهم روح الفكر الغربى ومذاهبه الاجتماعية والأدبية ، ولم يدعوا مقالاتهم تفنى مع الصحف ، بل جمعوها وطبعوها فى كتب مختلفة حتى يتيحوا لها شيئا من البقاء .

ولا بد أن نشير هنا إلى مقالات مصطفى صادق الرافعى ، وأحمد أمين الاجتماعية ، وهى تمتاز عند أولهما باستبطان عقلى واسع ساعد عليه صممه المبكر ، بينما تمتاز عند الثانى بمحصول فكرى وافر ساعدت عليه ثقافته الواسعة ، وهو فيها ينقد أحيانا بعض جوانب المجتمع ، ولكنه لا ينقدها فى سخط عنيف ، شأن الخطيب أو الواعظ ، وإنما ينقدها فى حديث هادئ " .

تلك هى مدارس المقالة فى أدبنا الحديث ، والتى أخذت الصحافة منطلقا لها ، وقبل أن ننهى الكلام لا بد وأن نعترف أن هذه المدارس كانت منبرا أمينا للدفاع عن هوية الأمة ، هذا فضلا عن تتبعها لما قاله أبناء الغرب عن الإسلام ، ووقوفها فى وجه الحملات الموجهة ضد أبناء الأمة .

ومـــن ثـــم بلغ المقال بهذه الرحلة قمته ، وأصبح فنا مستقلا يغزو الحياة والمجتمع ، وصار يدرس فى المدارس والجامعات وفق قواعد وأصول ، لها نظمها وتقاليدها .

وعلـــى الجملـــة فقد دعمت الصحافة المقالة ، وأعانت على الابـــتكار فى فنونه وألوانه ، حتى صار معرضا لكثير من ضروب المعرفة ، وألوان الثقافة ، وبذلك أوجد وعيا علميا وأدبيا وفنيا [1] .

---

(١) انظر المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، د/ السيد مرسى أبو ذكرى ، ص ٤٧ وما بعدها .

الفصل الرابع

أنواع المقالة

يتبـــين مـــن التعريف الذى ارتضيناه للمقالة أنها قطعة نثرية محـــدودة الطول ، تكتب بطريقة عفوية ، وتكون ممثلة لفكر كاتبها ، كما تكون لغتها سهلة ، وأسلوبها ميسرا ، ويعالج بها شأن من شئون المجتمع والحياة.

كمـــا تبين لنا أنه قبل بداية العصر الحديث لم يكن لفن المقالة وجود بالمعنى الفنى الكامل الذى نقصده من كلمة : (مقالة فنية) ، إذ أصـــيب هـــذا الفـــن بمـــا أصيب به الفكر العربى بعامة والأدب بخاصـــة، فلقد طغت على السطح أحداث واتجاهات صرفت الاهتمام عـــن اللغـــة العربية لفظا وأسلوبا إلى الأفكار التى تخدم الاتجاهات الحديـــثة الوافدة على حياة أمتنا العربية والإسلامية ، فبدأ اللحن يجد طـــريقه إلـــى لفظ المقالة ، وتسرب الخلل إلى أسلوبها ، وكان ذلك نتيجة سيطرة ضعاف الثقافة على صفحات الصحف والمجلات (١).

وحـــين ظهـــرت الصـــحف ، وأنشـــئت صـــحيفة (الوقائع المصـــرية) ، وارتاد النابهون صفحاتها بأقلامهم لم يكن فى متناولهم

---

(١) انظر : المقالة فى أدب العقاد ، د/ عبد القادر رزق الطويل ، ص ٥٣ وما بعدها ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .

إلا بـــدايات يســـيرة حاكـــوا فيها ما وقعت عليه أعينهم فى الآداب الغـــربية ، يضاف إلى ذلك ما قبسوه من التراث الأدبى ، ومن هنا كان بدئ ازدهار فن المقالة .

وتبين لنا كذلك أن مقالة الصحيفة تختلف عن مقالة المجلة فى أمور[١] ، لعل أهمها :

١- اليســـر والسهولة فى لفظ المقالة الصحفية وأسلوبها ، لدرجة أن هذه المقالة قد تنزل لكى تكون قريبة من العامة ، ملائمة لجمهور القراء . بينما العمق والقوة هما سمة مقالة المجلة ، يستوى فى ذلك اللفظ والأسلوب .

٢- والمقالـــة الصحفية زاد يومى ، ومقال تصويرى يصدر فيه الكاتب عن شعوره إزاء صورة من صور الحياة ، أو وضع من أوضاع المجتمع ، وعلى هذا فهو ينتهى بانتهاء الحالة ، أو اليوم . أما مقالة المجلة فإنها تتسم بقابلية البقاء ، فهى إلى البحث أقرب ، بل قد تكون بحثا .

٣- ومقالـــة الصحيفة من طابعها أن تكون قصيرة ، ولا يصار فـــيها إلـــى الإطالة إلا نادرا ، أما مقالة المجلة فقد تطول ، وذلك لأنها تمثل بحثا بكل ما للبحث من خصائص وسمات .

---

(١) انظر : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، د/ السيد مرسى أبو ذكرى ، ص ٦١ وما بعدها.

.... ومـــن كل ما تقدم يتضح لنا أن المقالة لم يكن لها ميدان محـــدد ، فقـــد تتـــنوع موضـــوعاتها بحسب الاتجاهات التى سادت الصـــحافة العـــربية ، واتســـعت آفاقهـــا لتشمل القضايا السياسية ، والدينية، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والإنسانية ، وغير ذلك .

وتتعدد أنواع المقالة من حيث المضمون ، والشكل (الحجم)، والأسلوب ، ويظهر ذلك فيما يلى :

أولا : من حيث المضمون :

إذا نظـــرنا إلى المقالة من حيث المضمون فإننا نراها تتفاوت وتختلف حسب ما يأتى :

١- شخصية الكاتب .

٢- وثقافته وفكره .

٣- ونوع أسلوبه .

٤- وطبيعة الموضوع المتناول .

٥- ووسيلة النشر .

فكمـــا ســـبق القول لكل كاتب شخصيته ، ولكل كاتب ثقافته وفكره ، والكتاب يتفاوتون فى ذلك كله من ناحية العمق والسطحية ، وخصوبة الفكر أو ضيقه ، وما إلى ذلك ، واتساع الأفق أو ضيقه ، والميل إلى الإيجاز أو الإطناب ، والتمكن من اللغة أو الضعف فيها، وفروق الثقافة والبيئة ، واختلاف النظرة للموضوع .

ومن حيث الأسلوب : إذا كان الأسلوب أدبيا مال إلى التفنن ، والـتأنق فى الألفاظ ، وهندسة العبارة ، وحيوية التصوير ، والإيقاع الموسيقى ، بينما إذا كان علميا متأدبا مال إلى الدقة فى تحديد الألفاظ ، والمصطلحات ، مع الصور التوضيحية التى تخفف إلى حد ما من جفاف المادة العلمية .

ومن حيث طبيعة الموضوع قد يتغلب الجانب الفكرى إن كان الموضوع المتناول فكرة أو رأيا ، كما قد يتغلب التأثير العاطفى إن كان الموضوع يدور حول مشهد ، أو ناحية نفسية ، أو إنسانية .

كذلك ينبغى أن يوضع فى الاعتبار (وسيلة النشر) فما ينشر للخاصة فى مجلة متخصصة غير ما ينشر فى صحيفة يومية أو أسبوعية سيارة ، تخاطب القاعدة العريضة من الجماهير ، فمثل هذه الأخيرة ينبغى أن تكتب بلغة مبسطة ، وعبارة ميسورة ، وتراكيب سهلة ، وتذكر بين طياتها الأدلة المشوقة التى تجذب الجمهور ، وتشده ، أما مقالة المجلة فيرتفع أسلوبها ، وتتعمق أفكارها ، وتجافى السهولة والتبسيط والجاذبية .

ثانيا : من حيث الشكل (الحجم) :

وإذا نظرنا إلى المقالة من حيث الحجم وجدنا الصنفين التاليين:

١- المقالة القصيرة (مقالة الخاطرة) :

وهـــى المقالـــة التى تتناول فكرة واحدة محدودة ، أو ناحية واحـــدة من نواحى المجتمع ، ويأخذ الكاتب يعرضها بطريقة شائقة وغايـــة فـــى التركيـــز ، وهو يستعين فى بنائها بالأسلوب الواضح ، والعبارات السهلة المفهومة .

ومثل هذه المقالات أو الخواطر قد يألف الكاتب اختيار عنوان ثابـــت لهما ، مثال ذلك : (نحو النور) لمحمد زكى عبد القادر ، و (فكرة) لمصطفى أمين ، و(ماقل ودل) لأحمد الصاوى محمد ، و (صـــندوق الدنـــيا) لأحمد بهجت ، و (من قريب) لسلامة أحمد ســـلامة، و (مواقـــف) لأنيس منصور ، و (مجرد رأى) لصلاح منتصر .. وغيرهم .

٢- المقالة الطويلة :

وهـــى المقالـــة التـــى قد تصل إلى عشر صفحات ، ويتناول الكاتـــب فيها جانبا محددا بعد التمهيد له إذا رأى ذلك ، ثم يأخذ فى عـــرض الأفكار الأساسية ، ويحللها إلى أفكار جزئية مترابطة ، كل ذلك بطريقة جذابة ، ولغة سهلة ، تحقق الإقناع والتأثير . ومن كتاب هـــذا اللـــون : الدكتور طه حسين ، وإبراهيم عبد القادر المازنى ، وأحمد أمين .. وغيرهم .

ثالثا : من حيث الأسلوب :

وإذا نظرنا إلى المقالة من حيث الأسلوب وجدنا هذه الأنواع:

١-المقالة الأدبية :

وهـــى التـــى يهـــتم الكاتـــب فيها باختيار الألفاظ ، وجمال الأســـلوب، وهندسة العبارة ، والإيقاع الموسيقى ، كما يهتم بالمزج بـــين الفكـــرة والعاطفة ، وحيوية التصوير والخيال ، ولا مانع من اللجوء إلى بعض المحسنات البديعية ، والأدلة الخطابية .

٢- المقالة العلمية :

وهى التى يلجأ الكاتب فيها إلى توضيح الحقائق العلمية بألفاظ محددة ، وأسلوب دقيق ، وتكثر فى هذه المقالة المصطلحات العلمية، والأرقـــام الحســـابية ، ويبتعد الكاتب فيها عن العاطفة ، والخيال ، والمحســـنات البديعية ، وهذا النوع لا مجال له فى الدراسات الأدبية والبلاغية .

٣- المقالة العلمية الأدبية :

وهـــى التـــى يلجـــأ الكاتب فيها إلى توضيح الحقائق العلمية بصـــورة مشـــوقة جذابـــة ، تراعى فيها الموضوعية ، والدقة ، فى أســـلوب جمـــيل ، وصور توضيحية ، بمعنى أنه يجمع بين الدقة ، والإمتاع، والتأثير ، ومثاله : مقالات الأدب ، والبلاغة ، والفلسفة ، وعلم النفس ، وغيرها .

ومع استيفاء الخصائص المميزة لكل لون من ألوان المقالة ، نحـــن نرى أن هناك عناصر عامة مشتركة بين أنواع المقالة كلها ، وهى :

(أ) تحديد الموضوع .

(ب) تـرابط الأفكـار وتسلسـلها ، وبعـدها عن التفكك والتناقص .

(ج) الإقـناع عـن طـريق سلامة الأفكار ، ووضوحها ، وتأييدها بالبراهين العقلية أو العاطفية على السواء .

(د) العرض الشائق ، الذى يجذب القارئ ، ويؤثر فى نفسه وفكره .

(هـ) تحقـيق الـتكوين الفنى عن طريق ترابط الأفكار وانسجامها.

(و) القصر بحيث لا يتعدى بضع صفحات ، حتى لا يسمى بحثا، أو فنا آخر من الفنون الأدبية .

(ز) الذاتـية ، فمهما كان موضوع المقال ، فإن الأديب أى أديب لا يستطيع أن يخفى عاطفته ، أو رأيه الشخصى .

(ح) النثـرية ، فالمقال فن نثرى وليس شعرا لغلبه عنصر الفكـر علـيه ، وهـناك مقالات أدبية تحشد فيها الصور ، والإيقاع الموسـيقى، ومـع كل ذلك فهدف العاطفة والخيال خدمة الفكر ليس إلا.

(ط) تنوع أسلوبه تبعا للأطر التى حددناها قبل :

* فالمقـال الذى يعبر بأسلوب أدبى يهتم الأديب فيه باختيار الألفـاظ الموحـية ، والجمل الموسيقية ، والخيال الرائع ، والإيقاع المؤثر .

* والمقـــال الذى يعبر كاتبه بأسلوب علمى متأدب ، تظهر فـــيه الألفـــاظ الدقيقة ، وبعض المصطلحات العلمية ، بجانب بعض الصور التوضيحية ، والأسلوب الجميل .

* والمقال الذى يدور حول فكرة أو رأى ، يكون التركيز فيه على الجانب الفكرى من حيث الصحة ، والدقة ، والوضوح .

* والمقـــال الـــــذى يدور حول مشهد ، أو ناحية نفسية ، أو اجتماعية ، يكون التركيز فيه على جمال العرض ودقته .

وقـــد ينصـــرف أكثر الكتاب إلى ما تقع عليه عيونهم ، مـــن شخصـــيات، أو مشـــاهد جمـــيلة خلابة ، أو مواقف ، أو أفكار ، ويأخـــذ الكاتـــب يســـتنطق كل تـــلك المواقف والمشاهد والخواطر البوح، ويفضى إليها بالأسرار ، وينصت إليها ، ومـــن هـــذا يكون لـــنا ألـــوان مختلفة ومتعددة من ألوان المقال لا يمكن لأى إنسان أن يحصرهـــا مهما كان شأنه .

ألوان مختلفة من المقالة :

* المقال التصويرى :

وهـــذا اللـــون من المقال يعنى برسم صورة قلمية لشخصية بعيـــنها مـــن الشخصيات ، ويأخذ يبرز محاسن تلك الشخصية ، أو عـــيوبها ، ويظهـــر أوجه الإعجاب فيها ، وما يحيط بها من بواعث السخرية ، أو الفكاهة ، وما إلى ذلك .

وهــذا المقــال التصويرى إن هو إلا رسم لوحة تصويرية ، مــثال ذلــك الصور التى رسمها عبد العزيز البشرى ، ونشرها فى مجلــة (السياســة الأسبوعية) ، وتناول فيها كبار الشخصيات التى عاصرها بأسلوب فكه ، فيه دعابة .

*** مقالة النزال :**

وهذا اللون المقالى " هو الذى ينازل الكاتب فيه خصيمه فــى الــرأى ، ويــناوئه فى عقيدة أو اتجاه ، ويصارعه من خلال مقاله بطــريقة تــدل علــى قدرته الصحفية ، ومهارته السياسية ، ودهائه العقلى " (١) .

ويظهــر هــذا اللون المقالى عندما تكون هناك خصومة بين ناقــدين أو أكثــر حول قضية من قضايا الأدب أو الفن ، يحتدم فيها الــنقاش بــين أخــذ ورد ، فى صور مختلفة من أساليب العرض ، والتدليل ، والإقناع .

أو هــى تلك التــى تختلف حولها وجهات النظر المتعاركة ، فهذا يرى ما لا يراه صاحبه ، وله معتقد يختلف كل الاختلاف عــن معتقد زميله (٢) .

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٩٩ .

(٢) انظر : المعارك الأدبية بين زكى مبارك ومعاصريه ، د / محمد جاد البنا ص ٧٣ ، دار الكتاب السعودى ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

ومثل هذا اللون المقالى مقالات الشيخ على يوسف التى كتبها فـــى صـــحيفة المؤيد بعنوان " قصر الدوبارة بعد يوم الأربعاء " ، والمعارك الأدبية التى ثارت بين (العقاد) و (الرافعى) ، ونشرت بعض مقالاتها فى مجلة (الشروق) تحت عنوان (السفود) ، ومثل ما جاء فـــى الجـــزء الأول مـــن كتـــاب الدكتـــور / طـــه حسين (حـــديث الأربعاء) ، ومثل ما جاء فى مقالات محمد حسين هيكل تحت عنوان " حديث اليوم " .

* المقالة الفلسفية :

وهى لون مقالى رحب متشعب ، متعدد النزعات ، تختلط فيه دقائـــق الفهم والتأمل بسبحات الخيال والتصوير والمثال ، تبحث فى النفس وتكوينها ، والخلق والوجود ، وإثبات الحقيقة ، أو نفى نتيجة، كل ذلك فى إطار علمى موضوعى .

وكتاب هذه المقالة يتناولون مسائل شتى من المنازع الفلسفية، التـــى تهـــم الإنسان أيا كان ، بما يكتنفه من تاريخ عقائدى ، وتراكم حضارى ، ومثاله المقالات التى عنى بكتابتها الدكتور / زكى نجيب محمـــود ، والتـــى حررها كفن قائم بذاته ، وليس جزءا من التحرير الصحفى .

ومـــن كـــتاب هذه المقالة أيضا : أحمد لطفى السيد ، وعلى أدهم، وأحمد فؤاد الأهوانى ، وغيرهم ممن اهتموا بالكتابات الفلسفية فى عصرنا الحاضر .

هذا وينبغي أن نشير إلى أن هناك سمات أسلوبية عامة تشترك فيها جميع أنواع المقالات [١] ، وهي :

(أ) وضوح الأسلوب : وهذا يقضى بأن يبتعد الكاتب فى أى مقال عن الألفاظ الغريبة ، وألا يعتمد على العامية ، أو يتكأ على الخيال البعيد ؛ وذلك لأن الغاية من المقال إنما هى توصيل الرأى أو الفكرة إلى القراء .

(ب) قوة الأسلوب : بمعنى أن يبتعد الكاتب عن العبارة الضـــعيفة ، وألا ترد فى كلماته وجمله حروف متنافرة ، ومن ذلك البعد عن الحشو والتطويل فى الجمل .

(د) جمـــال الأســـلوب : ومن جمال الأسلوب استخدام الألفـــاظ والصور الخيالية المناسبة ، والمحسنات البديعية البعيدة عن التكلف .

---

(١) انظر على سبيل المثال ما قاله الدكتور / عبد القادر رزق الطويل فى " الخصائص العامة لفن المقال عند العقاد " (المقالة فى أدب العقاد) ص ٢٨٧ وما بعدها .

الفصل الخامس

المقالة الأدبية

مفهومها:

لا نغالى إذا قلنا إن النقاد لـم يتفقوا على مفهوم محدد للمقالة الأدبية ؛ ويعود ذلك فى نظرى إلى تأخر نشأة المقالة إذا ما قورنت بالفنون الأدبية الأخرى [١] .

فمـن الدارسـين من يرى أن المقالة الأدبية هى التى تعالج قضـية مـن قضايا الأدب [٢] ، بينما يرى آخرون أنها المقالة التى تتـناول الموضـوعات التى يمتزج فيها الفكر بالعاطفة ، فى عبارة واضـحة منـتقاة ، مع ملاءمة بين اللفظ والمعنى ، وما يشيعه من إيحاءات [٣] .

ومـن الدارسـين مـن يذهب إلى ما هـو أبعد من ذلك ، وأوسـع مـيدانا للمقالـة مـن التحديد السالف ، فيحلقون بها فى

---

(١) انظر : محاضرات فى فـن المقالة الأدبية ، د / محمد عوض محمد . معهد الدراسات العربية ــ جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٥٩ م .

(٢) فى محيط النقد الأدبى ، د/ إبراهيم أبو الخشب ص ١٧٥ . الهيئة المصرية العامة ١٩٧٨ م .

(٣) المقالة فى أدب العقاد ، د/ عبد القادر رزق الطويل ص ١٧٠ . الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٩٧٨ م .

سماوات عالية من الإتقان ، والخيال ، والابتكار ، ويجعلونها تخاصم الجفاف والخشونة ، ومن ثم يدعون كاتبيها إلى التفنن فى اختيار الألفاظ ، وانتقاء العبارة الموحية ، وتهذيب الأسلوب ، بحيث تخرج المقالة قطعة فنية قريبة من روح الشعر .

إنها لا تختلف فى نظر هؤلاء عن قصيدة الشعر الوجدانى ، بكل ما فيها من حلاوة التعبير ، وجمال التصوير ، والتوهج العاطفى ، والعرض الشائق الذى يجمع بين الإيجاز ، ودقة الملاحظة ، وخفة الروح [1] .

وأصحاب هذا الرأى الأخير يقسمون المقالة الأدبية إلى قسمين :

(١) المقالة الذاتية .

(٢) المقالة الموضوعية .

ومما يلاحظ على الذين يأخذون بهذا التقسيم أنهم ثقفوا شيئا من الآداب الغربية ، أمثال الدكتور / زكى نجيب محمود ، وليس بخاف علينا مقالاته التى ملأت صفحات الصحف فى أيامه .

وإزاء هذا الاضطراب والاختلاف نريد أن نحدد بكل وضوح المفهوم العام للمقالة الأدبية بأنها المقالة التي تبحث فى قضايا الأدب والنقد والثقافة ، وقد تخرج عن ذلك فتصور قضايا المجتمع ،

---

[1] الفنون الأدبية وأعلامها فى النهضة العربية الحديثة ، أنيس المقدسى . ص ٢٣٠ وما بعدها ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٤ عام ١٩٨٤ م .

وتصـــف الرحلات ، أو ما يلفت النظر من جميل المشاهد ، وحسن التصـــاوير ، وغيـــر هذا وذاك مما يخطر للنفس من مشاعر الفرح والحـــزن ، وأشـــواق وذكـــريات ، كل ذلك بأسلوب أدبى جميل ، يعرضه الكاتب مصطبغا بشخصيته (١) .

وعلـــى هذا الرأى فكل ما يكتب بروح علمية موضوعية فى كـــل مـــا يعرض للكاتب من مسائل ، كالطب ، وعلم النفس ، وعلم اللغـــة ، ومشكلات المجتمع مـــن ناحية علمية ، وقضايا السياسة ، والاقتصـــاد ، كـــل تلـــك مقالات لا صلة للأدب بها ، ولا يمكن أن ينعتها أحد بأنها مقالة أدبية ، لأنها لا تتصل بالصياغة الأدبية .

ويقول الدكتور/ محمد يوسف نجم فى تعريفه للمقالة الأدبية : " إنهـــا قطعة نثرية ، محدودة فى الطول والموضوع ، تكتب بطريقة عفوية سريعة ، خالية من الكلفة والرهق ، وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب " (٢) .

ويعـــرفها الأســـتاذ / سيد قطب بأنها : " فكرة قبل كل شيء وموضـــوع ، فكـــرة داعـــية ، وموضوع معين يحتوى قضية يراد بحثها، قضية تجمع عناصرها وترتب بحيث تؤدى إلى نتيجة معينة ،

---

(١) مقدمة فـــى النقد الأدبى ، د/ على جواد الطاهر . ص ٢٦٢ . وانظر كذلك تعريف الدكتور/ أحمد هيكل لها فـــى : (تطور الأدب الحديث فى مصر) ص ٤١٦ . دار المعارف ، مصر ١٩٦٨ م .

(٢) فن المقالة ، د/ محمد يوسف نجم ص ٩٤ ، ٩٥ . دار الثقافة ، الطبعة الرابعة .

وغاية مرسومة من أول الأمر ، وليس الانفعال الوجدانى هو غايتها، ولكنه الإقناع الفكرى " [١] .

ويصفها الأستاذ أنيس المقدسى بأنها :

" لا تختلف كثيرا عن الشعر الوجدانى المعبر عن اختيارات الشاعر الخاصة ، فالقصيدة لا تعد من الشعر الجيد إذا خلت من حلاوة العبارة وجمال التصوير، أو إذا جفت فجاءت بلا ماء أو رواء كذلك المقالة ، على أن جمال التعبير والتصوير فيها لا يعنى تكلف البدائع البيانية ، والتوهجات العاطفية ، بل يراد بها الاستعراض السوى الشائق ، الذى يجمع بين الإيجاز ، ودقة الملاحظة ، وخفة الروح " [٢] .

وعلى هذا فمجمل وصف هذه المقالة ما يأتى :

١ـ أنها قطعة نثرية .

٢ـ أنها محدودة الطول .

٣ـ تقدم فكرة ، أو موضوعا ، أو قضية جديرة بالتناول .

٤ـ يكون فيه انفعال وجدانى بارز .

٥ـ أن تتسم بالأصالة فتعبر عن ذات الكاتب ، وأسلوبه ، وانطباعاته .

٦ـ تتسم بالإمتاع والإقناع .

---

(١) النقد الأدبى أصوله ومناهجه ص ٩٢ . بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٦٦ م .

(٢) الفنون الأدبية وأعلامها ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

٧ـ عباراتها واضحة ومنتقاة .

٨ـ فيها ما فيها من خفة الروح ، ودقة الملاحظة .

والحقيقة أن الحديث عن مقومات هذه المقالة هو كالحديث عن تعريفاتها وملامحها ، وما ينبغى أن تكون عليه موضوعا و أسلوبا ، وما ينبغى توافره فى كتابها ، فالوصول إلى تعريف جامع مانع فى كل ذلك أمر صعب وشاق .

ومما لا ريب فيه أن هذا اللون من الكتابة قد تأثر بعلوم العصر الحديث ومعارفه المختلفة ، الإنسانى منها والتجريبى على حد سواء ، وتعددت المناهج فيها بقدر ما أفاد الكاتب من معارف العصر، الأمر الذى يؤكد أن كل المحاولات التى نبدلها نحن وغيرنا إنما هى محاولات تقريبية .

مصادر المقالة الأدبية وروافدها

أولاً : مصادر المقالة :

مـــن الإنصاف أن نقول إن نشأة المقالة الأدبية وتطورها إنما هـــو مـــرتبط بـــتطور الصحافة ، فلقـــد نشأت المقالة فى أحضان الصـــحافة ، وتكفلت الصحافة برعايتها وإذاعتها ، وخدمة أغراضها المخـــتلفة ، لدرجـــة تجعلـــنا نقول إن قليلين هم أولئك الذين نشروا نتاجهم فى كتاب دون أن يطلعوه على الناس من قبل فى صحيفة من الصحف [١] .

والحـــق أن المقالة الأدبية فى مصر ، وفى الوطن العربى لم تـــوجد إلا مـــع الصحافة ، فبها تغير مفهوم الكتابة من كونها تأريخا ودرســـا ، وتحقـــيقا علميا ، إلى نزوع فنى جديد ، سماته الإحساس بمســـئولية الأديب الوطنية ، والقومية ، والاجتماعية ، والدينية ، وما إلى ذلك .

ومـــن المناســـب أن تكون الصحافة بداية حقيقية لبداية نشأة المقـــال الأدبـــى ، وتنوعه ، وتعدد مصادر كتابته ، ومن هنا رأينا روادنا الأوائل يجمعون بين الصحافة والأدب .

---

(١) فن المقالة ، د/ محمد يوسف نجم ، ص ٥٦ .

وللوقـــوف علـــى ذلك بأمر تفصيلى سأعرض مراحل تطور المقالة الأدبية [١] :

المرحلة الأولى :

وهــذه المــرحلة هى مرحلة النشأة [٢] ، وكتاب هذه المرحلة يمـــيلون فـــى كـــتاباتهم إلى أساليب عصر الانحطاط ، فهم يحتفلون بالمحســـنات البديعـــية ، والسجع الغث ، والزخارف المتكلفة ، ومن أشـــهر كتاب هذه المرحلة : رفاعة رافع الطهطاوى ، وعبد الله أبو السعود ، وتنتهى هذه المرحلة بنهاية القرن التاسع عشر .

المرحلة الثانية :

وهـــى مـــرحلة الـــتطور ، وتـــبدأ هذه المرحلة ببداية القرن العشـــرين ، وكتاب هذه المرحلة قد خطوا بالأسلوب الأدبى خطوات عظـــيمة ، فلقـــد خلصـــوه مـــن السجع الغث ، والزخارف المتكلفة الممجـــوجة ، ومن بواكير كتاب هذه المرحلة : محمد عبده ، ومحمد رشيد رضا .

ولعـــل خيـــر من يمثل أعلام هذه المرحلة المتطورة : أمين الرافعـــى ، ولطفـــى الســـيد ، وطه حسين ، والمنفلوطى ، ومحمد الســـباعى ، وعباس محمود العقاد ، ومحمد حسين هيكل ، وإبراهيم

---

(١) انظر الأدب العربى المعاصر فـــى مصر ، د / شوقى ضيف ، ص ٢٠٥ ومـــا بعدها .

(٢) فن المقالة ، د/ محمد يوسف نجم ص ٦٥ ، ٦٦ .

عبد القادر المازنى ، وعبد القادر حمزة ، أولئك الذين كانوا يخلبون القلوب والعقول بمقالاتهم الشاملة ، التى تختلف باختلاف شخصياتهم ، ومقدراتهم البيانية .

وكان للكثير من هؤلاء مقالات أدبية تتناول شئون الأدب والثقافة ، تلك التى لم تلبث أن أفردت لها مجلات أسبوعية أو شهرية خاصة ، مثل : الهلال ، والمقتطف .

المرحلة الثالثة :

وهذه المرحلة هى مرحلة المقالة الحديثة ، وتبدأ بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، وتستمر طيلة خمسين عاما تقريبا .

وقد شهدت هذه المرحلة ظهور مجلات أدبية غاية فى الأهمية مثل : (الرسالة) ، و(الثقافة) ، و (الكاتب المصرى) و(الكتاب) ، بل إنه ليمكن القول إنه على امتداد سنين هذه المرحلة أخذت مجلات مختلفة تظهر على الساحة معلنة عن نفسها .

ومن كتاب هذه المرحلة : أحمد حسن الزيات ، وأحمد أمين ، وزكى مبارك ، ومحمود تيمور ، وزكى نجيب محمود ، ومصطفى صادق الرافعى ، وقد امتازت مقالات هؤلاء بأنها أصبحت أثرا فنيا قيما يتسم بظهور الذاتية العاطفية ، وميلها إلى المقال القصصى ، مع مراعاة الثقافة العامة التى تتكفل بتربية أذواق الناس وعقولهم .

ولا بد أن نشير هنا إلى الكتب التى جمعت مقالات ، كتبها رواد هذه المرحلة فى دوريات قبل جمعها فى كتاب ، وصارت تمثل

هـذه المـرحلة ، مـثـل : (وحى الرسالة) وهو كتاب فى عدة مجـلات ، يضـم الافتتاحية التى كان يكتبها أحمد حسن الزيات فى مجلـة (الرسالة) فـى صدورها الأول (١٩٣٣ ــ ١٩٥١ م) ، و(أباطـيل وأسـمار) لمحمود محمد شاكر ، وهو يجمع مقالات له نشرها فى مجلة (الرسالة) .

المرحلة الرابعة :

وهـذه المـرحلة هى المرحلة الأخيرة ، وفيها تخلت المقالة الأدبـية عـن الصدارة ، وتركت المجال للمقالة السياسية ، والمقالة الفلسفية ، والمقالة الاجتماعية .

وتـبدأ هذه المرحلة ببداية الثلث الأخير من القرن العشرين ، ومـن كتابها : على أمين ، ومصطفى أمين ، وسلامة أحمد سلامة ، وأحمد بهاء الدين ، وإبراهيم نافع ، وفهمى هويدى ، وأحمد بهجت ، وصلاح منتصر ، وأنيس منصور ، وغيرهم .

ومن أهم ما يميز الأسلوب الكتابى عند هؤلاء ، هو الاهتمام بالمعنـى ، وقصـر العـبارة ، والترسل ، والوضوح ، والبعد عن المحسنات البلاغية واللفظية ؛ لأن الكاتب ليس عنده وقت يمكنه من التفنن .

ولعل أبرز ما يميز المقالة الأدبية فى بداية النهضة ــ وعلى وجـه الخصوص فى المرحلتين الثانية والثالثة ــ ذلك الإقبال الشديد مـن الكـتاب المتمرسـين وغيـرهم علـى سبر أغوار المجتمع ،

واســتعراض مشكلاته علــى صفحات الصحف فــى هيئة نصوص أدبــية ــ علــى رأســها المقالة ــ التى تشخص وتتأمل ، وتعالج ، وتقــرح ، ومــن هــنا كانت المقالة الأدبية خير معوان على إظهار مكنون آمال أبناء البلاد وطموحاتهم وتطلعاتهم .

ثانيا : روافد المقالة :

والواقــع أن روافد المقالة الأدبية كثيرة ومتنوعة ، ونحن فى هــذا المبحث سنتناول كل تلك الروافد لنرى بعض ملامح التأثير فى حــركة هــذا اللون الكتابى ، سواء أكان ذلك من مصادر قديمة ، أم كــان مــن مصادر أخرى حديثة ، أم كان من روافد تتصل بطبيعة الكاتــب ، وعصره وبيئته ، والأجواء التى أوحت بالنص الكتابى ، وســنحاول أن نتتبع ذلك من خلال تقسيم تأثرى لكل لون منه سماته المتميزة فى التأثير .

وفــى رأينا أن كل هذه الروافد إنما هى أطر فنية مساعدة ، وروافد أدبية مكونة ومجددة ، يمكن أن تسمى جميعها بحركة تطور المقالة الأدبية ، وكلها فى الصميم عوامل طبعت المقالة وصبغتها ، فخرجت تشكل استجابة لها .

وهــذه الــروافد وإن أمكن عدها ضَمن عوامل تهيئة ونهضة المقالــة ، كالتعلــيم ، والصحافة ، والإذاعة ، والمكتبات ، وحركة الطــباعة والنشر ، والبعثات والترجمة ، وغيرها ــ لكنها فيما نرى

ذات أثر قوى فى توجيه فكر الكاتب ، ولها كذلك تأثير فى مضمون المقالـــة ، يســـير جنبا إلى جنب مع الأثر الذى أحدثته فى إطارها ، وأشـــكالها ، وألـــوان صـــورها ، وغيرها ، وهذا ما يجعلها تخالف عوامل النهضة الأدبية العامة .

وتأسيســـا على هذا نقول إن هذه الروافد قد انفعلت بها نفوس الكتاب ، واستجابت لها ، وفى خضم ذلك كله وجد الكاتب نفسه يدفع دفعات كبيرة إلى إطار تطورى بعينه ، ويساعد بشكل أو بآخر على أن يتفـــنن فى أدائه الفنى ، وفى موضوعاته الكتابية ، فأخذ يسوقها بصورة تنم عن موهبة أدبية ، وفن رفيع .

وهـــذه هـــــى الـــروافد التـــى أمـــدت المقالـــة الأدبية فى الموضوعات ، والمناحى الفكرية ، والملامح الفنية .

١ــ العوامل السياسية والاجتماعية :

فلـــيس يخفى أن العالم العربى فى هذه الفترة ــ أى فى الربع الأخيـــر من القرن التاسع عشر ، وفى بداية القرن العشرين ــ كان يجتاز فترة متميزة فى تاريخه الطويل ، فلقد عانى من استبداد الحكم الفـــردى [١] ، وقامت الدول العربية بمحاولات عدة للتخلص من هذا

---

(١) راجع على سبيل المثال فى مصر : مذكرات أحمد عرابى ، أحمد عرابى ، دار الهلال فبراير ومارس ١٩٣٥ م .

الحكـــم التعســـفى ، وما تبع ذلك من ثورات ، وتيقظ الوعى فى كل مكان من العالم العربى .

كما أن الأمة العربية قد منيت بالاحتلال الأجنبى ، الذى كان سببا فى قطعها عـــن أسباب النهضة [١] ، كما كان سببا فى تعرض مصـــر للصـــراعات الدولية التـــى كانت كارثة على الأمة ومصيبة عليها .

وهذه الأحداث والاضطرابات السياسية كانت ذات فضل على مســـيرة الأدب ، ذلك لأن تفاعل هذه الأحداث مع بعضها قد أثر فى الحـــياة الأدبـــية بشكل أو بآخر . يقول الدكتور/ زكى مبارك : " إن الأدب فى مصر لم يرتق إلا بفضل الفوضى السياسية ، وهى صورة من الفوضى الاجتماعية " [٢] .

ومـــا يقال عن المشكلات السياسية يقال كذلك عن المشكلات الاجتماعـــية والاقتصـــادية ، لقد انتشرت الطبقية [٣] ، وبذر المحتل كثيـــرا من الأمراض والآفات ، مما دفع بالأمة إلى الثورة ، واتساع دائرة الدعوات الإصلاحية .

---

(١) تاريخ الأدب العربى ، أحمد حسن الزيات ص ٤١٨ ـ مطبعة الرسالة ، الطبعة الثالثة والعشرون .

(٢) الرسالة ، عدد ٣٥٠ ص ٤٨٧ فى ٩ صفر ١٣٥٩ هـــ ١٨ مارس ١٩٤٠ م .

(٣) انظر : فى أعقاب الثورة المصرية ، عبد الرحمن الرافعى : ٢ / ٣٢٩ . مطبعة الفكر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٩ هـــ ـ ١٩٤٩ م .

هــذه هــى معــالم الــتطور البارزة فى النواحى السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، وما واكب ذلك من مؤثرات دفعت إلى دعــم الكــيان العربى . وكان لهذا كله أثره البالغ فى توجيه الحركة الأدبية بشكل أو بآخر .

إن الواقــع الــذى كان يتمثله كتاب المقالة قد طرأت عليه ـــ بواســطة هذه العوامل ـــ تغييرات كثيرة ، وتحولات اجتماعية ذات أثر ، وكان لهذا الواقع أثره فى تغير مسار المقالة فى موضوعاتها ، وفى المعالجات التى تمت حيالها .

٢ـــ العوامل الفكرية والأدبية :

كان العالم العربى ـــ وعلى وجه الخصوص مصر ـــ مسرحا للحــركات الفكرية طوال تاريخه الطويل ، وكان للفكر دور واضح فــى مقاومــة الاســتبداد ، وكان للمفكرين الدور نفسه من أمثال : الأفغانى ، والنديم ، ومحمد عبده ، لقد حملوا جميعا لواء الثورة على الاستعمار ، وشاركوا فى إشعال الروح الوطنية والدينية والأدبية .

كمــا كــان للطباعة والصحف دور كبير فى الحركة الفكرية والأدبــية ، لقــد وقفــت الصحافة جنبا إلى جنب مع الكتب ، تعنى بــالأدب ، وتصــبح عامــل جذب للجماهير إلى القراءة والاطلاع

والتثقـيف ، وتحمـل لـواء التجديد فى الدين ، والدعوة إلى الحرية والإصلاح [١].

ويهمـنا بعد أن حددنا دور العوامل الفكرية والأدبية أن نجمل الحـديث عن مصادر هذه العوامل ، والتى كانت ذات أثر خاص فى فن المقالة بصفة عامة ، وفى المقالة الأدبية بصفة خاصة :

(أ) التراث العربي القديم

وهـذا التـراث كان له أثره فـى المقالة الأدبية : تنشئة أو تكوينا ، أو تجديدا لروحها ، وتطويرا لمضمونها وصورتها .

وليس من شك فى أن كتاب المقالة كانوا على متابعة دائمة ، واتصـال مسـتمر بأمهات الكتب التراثية العربية ، وفى هذا دلالة واضـحة علـى اعـتدادهم بالتراث العربى ، واعتمادهم عليه فيما يكتبون .

ومن الإنصاف أن نقول إن التأثر بالتراث العربى يختلف فى درجة قوته وسعته بين الكتاب ، فالكتاب المحافظون يهتمون بالتراث أكثـر مـن غيـره ، بيـنما الكتاب المجددون الذين يجمعون بين المحافظة والتجديد يطبعون هذا التأثر بأرواحهم ، ويضيفون إليه من عـواطفهم ، ويشـكلون ذلـك كلـه من تكوينهم وتصوراتهم للكون والحياة .

---

(١) الفكر العربى المعاصر ، أنور الجندى ، ص ٥٢ . مطبعة الرسالة .

(ب) الثقافة الأجنبية

لا يستطيع أحد أن ينكر سريان تيارات الأدب الأوربى فى كتابات العرب ، وعلى وجه الخصوص تلك التى وصلت إلينا عن طريق القراءة للآثار العربية المتأثرة بالثقافة الغربية .

وما من شك فى أن كل ظاهرة أدبية حديثة فى المضمون أو فى الشكل تأثر بها كتاب المقالة العرب ، لها مصدرها فى الآداب الأجنبية .

ولو ذهبنا نلتمس أثر الأدب الأوربى ، أو الثقافة الأجنبية فى النثر الحديث لوجدناه ملموسا عند كثيرين على رأسهم : العقاد ، والمازنى ، ومحمد حسين هيكل ، ومحمود تيمور ، وطه حسين ، ومحمد مندور ، وسلامة موسى ، وعلى أدهم ، وغيرهم .

وقد سبق أن قلنا إن الأدب العربى ظل خاليا من هذا اللون الفنى إلى العهد الذى بدأنا فيه نتأثر بالغرب ، وإن كان هذا لا يمنع من وجود بوادر للمقالة فى محاولات بعض الكتاب فى العصور القديمة ، إلا أن هذه المحاولات لم تتبلور بعد ، ولم تؤد بأصحابها إلى درجة التخصص فى فن المقالة .

ولا يعيب أدبنا العربى أنه مسبوق بهذا الفن ، أو أن يكون قد أخذه بمفهومه الفنى عن الأدب الغربى ، ذلك الذى بدأنا نهضتنا

الأدبية الحديثة بنقل آثاره إلينا ، وبترجمة روائعه ومحاكاته فى بعض أشكاله .

٣ـ التأثيرات الأدبية الحديثة :

وهناك تأثيرات أدبية حديثة أثرت فى كتاب المقالة الأدبية ، وهذه فى الواقع ظاهرة وملموسة فى كتابات الأدباء المجددين ، وهى تحتاج لمن يدرسها ، ويبحث عن أسبابها ، ويدرك أسرارها ، ونحن نظن أن ذلك أمر غاية فى السهولة وعلى وجه الخصوص حينما نستحضر ما كان للكتاب من علاقات وصداقات .

وأهم هذه التأثيرات ما يلى :

- الأدب المهجرى .
- الصحف والمجلات العربية .
- المصادر الأدبية .
- الجامعات .
- المنتديات والصالونات الأدبية .
- المعارك الأدبية .

كل هذه العوامل كانت بمثابة مثيرات حركت مواهب الكتاب ، وأثرت فى أفكارهم ، وأذواقهم ، وأفهامهم ، وأشعلت المعارك والخصومات الأدبية بينهم [١] ، تلك التى دارت " فى

---

(١) انظر : المعارك الأدبية ، أنور الجندى ، مطبعة الرسالة ، مصر ١٩٥٨م .

مختلف الأجناس الأدبية ، وأفادت الأدب كثيرا ، وطوعت الأسلوب الرصين لحمولة من الفكر الواسع ، المعبر عن النفس .. " [١] .

إنـــنا حين نتحدث عن المقالة الأدبية ، فإننا نرى أنها قد بدأت مـــع الظـــروف الجديدة ، والتغير الحضارى والاجتماعى والفكرى الذى بدأ يسود المجتمع ، حين أخذت عوامل النهضة تؤتى ثمارها ، وتؤثر فى حياة الناس وعقولهم وسلوكهم ، وتحدث تطورا كبيرا فى الـــذوق الأدبـــى ، وتســـهم فى إذكاء النهضة الأدبية التى بدأت فى الازدهار فى بداية القرن العشرين الميلادى .

٤ــ النهضة التعليمية :

ونحـــن إذا رجعـــنا إلى الدور الذى لعبته العوامل السابقة فى ســـبيل تنمـــية المقالـــة والإعلان عنها ، والأخذ بيدها حتى تتطور وتصـــبح فـــنا مستقلا ، نقول إن هذا ليس وحده بل ارتبط بالعوامل السابقة عامل آخر قوى ، تسبب فى ازدهار المقالة وتطورها ، وهذا العامل يتمثل فى النهضة التعليمية الشاملة ، ووسائل الإعلام المختلفة كذلك .

هذه كلها تعد على رأس العوامل التى أمدت المقالة ، فانتشار التعلـــيم يزيد من قراء المقالة ، وهذه الطبقة المثقفة من القراء عامل إيجابـــى يســـاعد بـــلا شـــك على كشف الألوان الفنية فى المقالة ، وبخاصة الألوان المرغوب فيها .

---

[١] المقالة فى أدب العقاد ، د/عبد القادر رزق الطويل ، ص ٨٨ .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن التعليم يعمل على تكوين الفـرد ثقافـيا ، ويجعلـه يعبـر بسهولة عـن إحساساته ومشاعره وخلجاتـه ، وهذا الظرف هو الذى يناسب المقالة ، فهى خير وسيلة يعبر بها الفرد المثقف عن رغباته وخلجات نفسه ، وهى أقدر الفنون النثرية على الإطلاق استيعابا للعوامل الثقافية والحضارية .

وبعـد هذا العرض نستطيع أن نقرر دون تردد أن المقالة قد أصبحت دعامة كبرى من دعائم الأدب العربى الحديث ، وهى كفن تشـكل ضـربا قائما بذاته من ضروب الأدب وفنونه ، وقد شاعت كتابتها شيوعا واسعا ، حتى غدت فى وقت وجيز أهم فنون الكتابة ، وأضـحت ممارسـتها طلبا للشباب ، لدرجة أنك إذا طالعت صحيفة يومية ، أو مجلة أسبوعية أو شهرية لا بد وأن تقع عيناك على مقالة أو مقالات تتبوأ مكانها بين صفحاتها وأبوابها .

بـل إن المرأة قد شاركت فى ميدان المقالة بمقالات يتوفر لها العناصـر الفنـية ، والحق أنه كان لإسهام المرأة فى هذا الفن أمر يـبعث عـلـى تطورها وذيوعها كفن أدبى يصور الحياة تصويرا صـادقا، وهـذا التصوير الصادق للحياة الإنسانية، ولتباين العلاقات البشرية والتجارب الحية،لا سبيل له حقيقة ما لم تشترك المرأة فيه .

الفصل السادس

شروط المقالة الأدبية

المقالـــة الأدبية المتميزة لا تختلف كثيرا عن الشعر الوجدانى المعبر عن اختيارات الشاعر الخاصة ، وعليه فلا بد وأن توضع لها شــروط لازمـــة لصـــنعها ، تجعلهـــا تتفق والمفهوم العام للمقالة ، وتجعلها كذلك تنفرد بخصائص تميزها عن سائر فنون القول النثرية.

وقـــد أفـــرد الدكتور / محمد بن عبد الله العوين مجموعة من السمات ، أوجب أن تصحب المقالة الأدبية الجيدة ، منها [1] :

أولا : تهيؤ الكاتب نفسيا ومزاجيا لهذا العمل .

ثانـــيا : أن يشـــعر الكاتب المقالى الأديب بالإمتاع والارتياح ، وهو ينثال وجدانيا على الورق ، ويحس بذاته تناغيه ويناجيها...

ثالـــثـــا : الكاتـــب المقالـــى المتميـــز هو ذلك الذى يرصد الحركة الإنســـانية ، والخفـــق الوجدانـــى ، والرضا ، والغضب ، والسخط والارتياح...

رابعـــا : لا يحسن أن يكتب المقالى الأديب لقارئيه أسلوبا مستعصيا خشنا منمقا مدروسا...

---

(١) المقالة فى الأدب السعودى الحديث : ١ / ٣٣ ، ٣٤ .

خامسا : ومن غير اللائق بالكاتب الأديب أن يكون خشنا ، متوعرا في روحه ، أو أسلوبه...

سادسا : إذا كان تأثير الفكرة صادقا ، واستجاب له الكاتب ، وأحسه إحساسا ملك عليه لبه ، فإن الانعكاس الوجداني لذلك سيكون بالغ الروعة والإمتاع في تكوين المقالة عفوا دون تكلف...

سابعا : واتباعا لما سبق لا يأتي مقال أدبي من غير ارتباط وجداني وعاطفي بصاحبه... " .

والحق يدفع بنا إلى أن نقول إنه متى ما تيسرت للكاتب أدوات التحرير والكتابة ، من موهبة وحسن استعداد، وخطة منظمة ، وثقافة ومعرفة ، ومحصول لغوي ، واستخدام جيد للغه ، وغير ذلك — فمن المأمول من هذا الكاتب أن يخرج بمقالة غاية في التوفيق [١] .

وهذا يدفع بنا إلى التحدث عن (أدوات التحرير والكتابة) تلك التي لا يستغني عنها كاتب أيا كان شأنه ، لأنها تمثل منارة ترشده إلى التحرير الجيد ، والكتابة السليمة المؤثرة .

---

(١) انظر : فيض الخاطر ، أحمد أمين : ١ / ١٧٨ . مكتبة النهضة ، القاهرة ، الطبعة الرابعة .

أدوات التحرير والكتابة

مما لا شك فيه أن الكتابة فى أساسها موهبة ، يستوى فى ذلك الكتابة العلمية والأدبية ، ولكل كاتب شخصيته الفردية التى تجعله يتخير لغة بعينها ، ويفضل طريقة عرض على أخرى ، كما أن لكل كاتب أيضا أسلوبه المتميز .

والحقيقة أنه لما كان أى كاتب لا يستغنى عن علم ، ولا يسعه الوقوف عند فن ، فإننا نرى أن كتابة المقالة ترتبط بعوامل أساسية ، ومهارات عدة ، وألوان من الاستعداد النفسى والعقلى ، وكلها تعين على أمور الكتابة .

ونحن نرى أن هذه العوامل لا تتجاوز أن تكون محاولات لإرشاد الكاتب المبتدئ إلى التحرير الجيد والكتابة السليمة فى لغتها ، المؤثرة فى طريقة عرضها ، والمقنعة بأحكامها وبراهينها . وإذا تمكن كاتب ما من هذه العوامل وهو فى أول الطريق أصبحت الكتابة أمامه عملية ميسرة محببة .

وهذه العوامل كثيرة ومتعددة ، وقد لا يسمح المجال هنا للحديث عنها كاملة . وقد أفرد أبو هلال العسكرى فى كتابه " الصناعتين " فصلا [١] كاملا يحتاج الكاتب إلى ارتسامه وامتثاله فى مكاتباته ، ومع ذلك فلم يعرض لكل هذه العوامل . يقول : "ينبغى أن تعلم أن الكتابة الجيدة تحتاج إلى أدوات جمة ، وآلات

---

(١) هو الفصل الثانى .

كثيـرة ، مـن معرفة العربية لتصحيح الألفاظ ، وإصابة المعانى ، وإلـى الحسـاب ، وعلـم المساحة ، والمعرفة بالأزمنة والشـهور والأهلة ، وغير ذلك " [١] .

وفـى رأينا أن ذلك إنما يختلف باختلاف حال الكتابة وبحسب تـنوعها ، فكـل نوع من أنواعها يحتاج إلى معرفة عوامل معينة ، وإلى معرفة فن أو فنون تختص به .

وهـذه هى أهم العوامل التى تعين على كتابة المقالة ، والتى يحتاج الكاتب إليها احتياجا أساسيا :

(١) قدرات الكاتب الشخصية (الموهبة) :

لا شـك أن الكـتابة الجـيدة فـى أساسها موهبة ، وإذا كان التحريـر الجيد يعتمد فيما يعتمد على عوامل فكرية مكتسبة هى من صنع الكاتب ، ونتيجة من نتائج اجتهاداته .. كالثقافة وغيرها ، فإننا يمكنـنا أن نقول إن هذه العوامل المكتسبة على خطرها وبعد أثرها فى صناعة الكاتب لاتجدى نفعا إذا لم يساندها طبع ، أو تقف بجانبها موهبة فطرية ، فالكاتب الجيد هو الذى يضيف إلى قدراته المكتسبة على تنوعها ذكاء نادرا ، وبديهة سريعة ، بل إننا يمكننا أن نقول إن الأمـر فى هذا كله مداره على الموهبة وجودة القريحة ، فالقليل من العـوامل المكتسـبة مـع الموهبة خير من الكثير من هذه العوامل بدونها.

---

(١) تحقيق البجاوى وأبى الفضل ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ص ١٦٠ .

وإذا كـان الكاتـب صـاحب قريحة ، وجيد الفطنة ، صائب الرأى ، حسن الألفاظ ، تتأتى له المعانى الجزلة فيجلوها فى الألفاظ السـهلة ، ويختصر حيث يكون الاختصار ، ويطيل حيث لا يجد من الإطالة بدا .

ويتصـل بالموهـبة وفور العقل ، وجزالة الرأى ، لأن كلام المـرء علـى قدر عقله ، وإذا كان تام العقل ، كامل الرأى ، وضع الأشـياء فـى مكاتـباته فـى موضعها ، وأتى بالكلام من وجهه ، وخاطب كل أحد بما يقتضيه الحال التى يكون عليها .

وقـد أعطى الله سبحانه وتعالى المثل الأعلى فى كتابه الكريم فكان معجزا فى صياغته اللغوية ، ووضوح بيانه المقنع والمؤثر فى كل من قرأ آية من آياته ، أو استمع إلى تلاوتها .

كمـا أعطى رسوله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى أيضا فـى استخدام اللغة ، وجعله مثالا فى البيان المقنع المؤثر ، فاستطاع توصـيل أفكاره إلى قومه بطريقة تؤثر فيهم وتقنعهم .. وهذا بدون شك هو السبب فى قوة إيمان من آمنوا بالرسالة وأحكامها ، وبتعاليم الله سـبحانه وتعالـى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ... ومثل هذا البـيان المتسم بالوضوح والإقناع والتأثير ينبغى أن يكون هدف كل كاتب فى كل ما يكتب .

هـذا وقـد فاضل الله سبحانه وتعالى بين كل فرد وآخر فى مجـال الكتابة ، فمنح كل كاتب أسلوبا متميزا ، وجعل له شخصيته

الفــردية ، ومن هنا أصبح لكل كاتب طبع خاص به ، وأصبحت له موهــبة فـــى مجال دون غيره ، فتخصص هذا فى الكتابة الدينية ، وتخصــص ذاك فـــى الكتابة الأدبية ، وهكذا . بل ظهر لكل كاتب أســلوبه المتميـــز ، وأصبح القراء يعرفون شخصه فى تخير لغته ، وطــريقة عرضـــه ، الأمـــر الـــذى يؤكد أهمية الموهبة الفردية ، وضــرورة الاعــتداد بهــا بجانب الأصول والعوامل المكتسبة التى تهدف إلى إرشاد الكاتب للكتابة الجيدة المؤثرة ، ثم نترك المجال بعد ذلك لإبراز الموهبة الفردية ، والتميز الإبداعى .

(٢) الإطار (الخطة) :

لا شــك أن الكتابة هى الوسيلة الوحيدة للاتصال بين الكاتب والقــارئ ، وعلــيها وحدها يعتمد الكاتب فى نقل أفكاره إلى القراء البعيدين عنه ، ولا شك كذلك أن رموز هذه الكتابة تدور فى أذهاننا ونحـــن نفكر قبل أن نصل إلى الصورة التعبيرية التى بها نعبر عن أفكارنـــا وخواطرنا .. ومن ثم كان لا بد من وجود إطار ، ووضع خطة ننظم بها هذه اللغة التى تدور فى أذهاننا ، ونرتبها ، ونخضعها لأصـــول وقواعد اللغة العربية ، حتى تصير لغة كاملة فى صورتها ودلالـــتها وتـــركيبها ، وحتـــى تكون خالية من أوجه القصور التى تصيب كتابات بعض الكتاب .

ولعل هذا هو السبب الأول والأخير فى لجوء كثير من الكتاب ـــ حين ينشدون صورة تعبيرية مثلى لنقل أفكارهم وعواطفهم ـــ إلى

كتابة مسودة أو مسودات عديدة قبل أن تظهر كتاباتهم أمام القراء فى الصورة النهائية .

هــذه فيما أرى هى عملية التخطيط ، وذلك الإطار الذى فيه يكــون الكاتــب قادرا دون أدنى صعوبة على تحويل هذه اللغة التى تدور فى ذهنه إلى لغة كاملة فى صورتها ودلالتها .

والآن يحسن بنا أن نقول إنه ينبغى على الكاتب أن يكون ملما بالموضــوع الذى يقدم على الكتابة فيه ، وأن يكون عارفا به ، وأن يعــرف لمــاذا هو يكتب ؟ وماذا يريد توصيله إلى القراء ؟ .. ومن جهــة أخــرى ينبغــى أن يعرف نوع الكتابة التى يكتبها ، مثل هذه الأمور وغيرها ينبغى أن تكون واضحة أمام الكاتب ، ماثلة فى ذهنه حتى يتمكن من كتابته ويفهم قراءه مقصده ، ويجعل مقاله مجسدا فى أذهــانهم ، ويكــون من ثم ما يكتبه مثمرا فى مضمونه ، مؤثرا فى طريقة عرضه .

(٣) ثقافة الكاتب :

إذا كــان ولابــد لكل كاتب من جملة من الفضائل تعينه على صــنعته ، فــأول هذه الفضائل وأهمها أن يكون قد جمع ألوانا من الثقافات الإنسانية تعينه على تحقيق الغاية من عمله ، وأن يأخذ نفسه بــثقافة واسعة ومتنوعة ، وأن ينهل من كل تلك الألوان الثقافية التى يفــيض بهــا عصـــره ، فيكون مؤرخا إذا عرض لكتابة التاريخ ، وفيلسوفا إذا عرج على الفلسفة ، وفقيها إذا خاض فى الفقه .

ولسنا في حاجة إلى الإبانة عما تحققه هذه المعرفة وتلك الثقافة للكاتب من فوائد ، فهي من جانب تنمي ملكته ، ومن جانب آخر هي خبرة يضمها إلى خبراته ، وفي الحقيقة أنه قلما توجد صناعة من الصناعات إلا ولها ثقافة من جنسها ، وإفادة من التجارب التي سبقتها ، وأي كاتب كلما اتسعت ثقافته ، وزادت حصيلته ، سهل عليه صياغة المعاني ، والوقوف على مقصوده ومراده .

ونحن حين نلزم الكاتب بوجوب الاطلاع والثقافة لا نعني أن يلتزم بكل رأي سلف ، أو أن يعمد في كتاباته إلى مجاراة من سبقوه ، لأن ذلك في رأينا يحد من حريته وانطلاقه ، وإذا تمادى الكاتب في ذلك فإن هذا وحده هو الكفيل بالقضاء على شخصه .

ونحن ما دمنا نسلم بآثار الماضي في حياتنا ، وببعد هذا الأثر في حاضرنا ومستقبلنا ، نرى أنه لا بد من ثقافة لكل من يتصدى للكتابة أو لأي علم من العلوم ، أو صنعة من الصناعات التي تتطلب حذقا ومهارة ومعرفة بالجهد المتصل الذي بذله المتخصصون فيها. وهنا الآن سؤال لا محيد من الإجابة عنه وهو : ما الطريق إلى هذه الثقافة ؟

وفي رأيي أن الطريق الأمثل لهذه الثقافة هو كثرة الاطلاع وإدامة النظر في المعارف العامة ، وليس غير ذلك من سبيل يوصل إلى المعرفة والثقافة ، ويتخرج به الكاتب المتخصص ، حيث يكون

رأيــه ــ غالبا ــ أقرب إلى الصواب ، وأدعى إلى الاحترام ، ولا ينازعه فـــى ذلك أحد إلا من كان مثله فى الثقافة والبصر بفنون العلم .

والـــثقافة العامة والاطلاع اليومى لهما أثر كبير فى نجاح أى كاتـــب فـــى مهـــنة الكتابة ، ولذلك فنحن ننتظر من كل من يتصدى للكتابة أن يعنى عناية تامة بالاطلاع فى كل وقت من أوقات حياته ، فـــإذا مـــا تثقف الكاتب ، وزاد اطلاعه ، انتظرنا منه استمرارا فى الـــبحث ، وهكذا حتى يصير فى يوم ما خبيرا بمهنته ، ماهرا فيها ، مـــرتب الفكـــر ، منظم البحث . فالتاريخ يحكى أنه لم يتربع زعماء الفكـــر والـــثقافة والأدب فـــى كل عصر على عروشهم إلا بالقراءة الدائبة والاطلاع المستمر .

ولا شك أن ظروف العصر تقتضى دوام الاطلاع والقراءة ، وتـــتطلب نفـــس الظروف من الكاتب أن ينقطع للقراءة والاطلاع ، فالحـــال أن الكاتـــب الـــذى أغمض عينيه عن الاطلاع والقراءة فى المعـــارف العامـــة قـــد اختار لنفسه ركودا ذهنيا ، ووضع نفسه فى مـــرتبة يمكن أن ينازعه فيها القاصى والدانى ؛ ولا غرابة فى ذلك فهو حين رضى لنفسه ضعفا علميا يكون قد فقد سر قوته وعظمته .

ومن المؤكد أن يكون كل كاتب طالب علم دائما ، وألا ينقطع عن طلب العلم ما دام حيا ، ونحن نأمل للكاتب المبتدئ أن يكثر من الـــبحث والاطلاع ، وأن يخصص جزءا من وقته للقراءة الخارجية

والبحث الحر ، ولا يكفى أن يطلع على فن دون غيره ، فالحال يقضى بأن تكون مادته شاملة لكل جوانب الحياة ، وأن تكون جديدة ، كى يكون فى قرائتها حياة ونشاط ، ويكون الموضوع زاخرا بالآراء السديدة ، والأفكار الصائبة ، والأساليب العربية الفصيحة .

ولسننا نعنى من كثرة الاطلاع والبحث أن يهتم الكاتب بحشو ذاكرته بمعلومات من هنا وهناك ، ولكننا قبل ذلك نطالبه بأن يحسن اختيار تلك المعلومات ، كى يكون لها أثر فى نفوسنا ، وأن يحيى ما فى ذاكرته بدوام القراءة والبحث والاطلاع ، وأن يتعمق ما يطلع عليه ، ويعرف كل ما يتعلق به معرفة تامة ... فعلى قدر جهده فى ذلك يتوقف نجاحه أو إخفاقه ، فهو مسئول عن إجادته أو ضعفه ، وعن تقدمه أو تأخره .

(٤) كثرة المحصول اللغوى :

الثقافة اللغوية تعد على رأس تلك الثقافات اللازمة للكاتب ، وهذا اللون من الثقافة يعنى المعرفة الواسعة باللغة وأساليب التعبير بها .

ولا مرية أن اللغة هى رأس مال الكاتب ، وأس كلامه ، وكنز إنفاقه ، من حيث إن الألفاظ قوالب للمعانى التى يقع التصرف فيها بالكتابة ، وحينئذ يحتاج إلى طول الباع فيها ، وسعة الخطو ، ومعرفة وسائطها : من الأسماء ، والأفعال ، والحروف ، والتصرف

فـــى وجوه دلالتها الظاهرة والخفية ، ليقتدر بذلك على استعمالها فى مجالهـــا ، ووضـــعها فـــى مواضعها اللائقة بها ، ويجد السبيل إلى التوســـع فـــى العبارة عن الصور القائمة فى نفسه فيتسع عليه نطاق النطق ، وينفسح المجال فى العبارة ، وينفتح له باب الأوصاف فيما يحتاج إلى وصفه ، وتدعو الضرورة إلى نعته " . (١)

وهـــذا العامـــل يعكـــس جملة ما حصله الكاتب من ثروة فى المفـــردات اللغوية فى مجالات القراءة والتعبير ، ومدى قدرته على فهـــم هـــذه المفردات وما يعنيه بها تماما ، ومدى ملاءمتها للسياق ، لأن كثيـــرا مـــن الألفـــاظ قد تميل إلى العمومية فى التفكير ، ودور الكاتـــب آنذاك أن يتصدى وهو يكتبها لتحديد دلالتها المقصودة وما يعنـــيه بهـــا . فأنـــت حين تصف شيئا ما بوصف معين ، فعليك أن تتوقف لتحدد دلالة هذا اللفظ فى بابه لكى يدرك القارئ ما تعنيه بهذا الوصف دون حاجة إلى عوامل أخرى مساعدة ، كنظرات العينين ، أو إرشادات اليدين .

والكاتـــب البصـــير باللغة يعرف أن الألفاظ تتفاوت من حيث هـــى ألفـــاظ ، أى من حيث هى أصوات ومخارج وأجراس حروف تتوالـــى ، ويعرف ما هو منها عذب رشيق يحسن فى السمع ويعذب فـــى الـــنطق ، ومـــا هو منها متوعر غريب تأباه الطباع وتنفر منه الأذواق ، ولا يحسن وقعه على الأسماع ، هذ بالإضافة إلى معرفته

---

(١) صبح الأعشى للقلقشندى : ١ / ١٥٠ .

بصحة اشتقاق الألفاظ وسلامتها . ومثل هذا الكاتب يكون أقدر من غيره على إدراك ما يتطلبه المقام من ألفاظ دون غيرها ، ويكون موفقا إلى حد كبير فى تجنب ما يشبه هذه الكلمات أو يقاربها صوتيا .

ويظهر أثر هذا العامل أيضا فى أنه يمكن الكاتب ويجعله على وعى بالرسم الصحيح للألفاظ ، ومثل هذا الوعى له دور غير قليل فى تلافى الكاتب للأخطاء الإملائية ، فهو يحول دون وقوعه فى أخطاء قد يقع فيها غيره وهو يكتب .

فالأخطاء التى يقع فيها الكتاب فى مثل الكلمات المتشابهة أو المتقاربة صوتا ، لا يميز بينهما غير التضخيم والترقيق ونحو ذلك مثل السين والصاد والثاء ، ومثل الدال والضاد ، ومثل التاء والطاء ، ومثل الذال والزاى والظاء ، أو الأخطاء التى تقع فى رسم الكلمات المهموزة أو المختومة بألف لينة ، أو الكلمات التى يحذف منها حرف أو يزاد فيها حرف ، أو الأخطاء التى تقع نتيجة اجتماع حرفين متقاربين صوتا ، أو مختلفين رقة وتفخيما فى الكلمة الواحدة مثل : (يصطدم) و(يصطنع) ، ومثل (يتطلع) و(يتطلب) ، ومثل (سوط) و(صوت) ونحو ذلك مما محل شرحه فى القواعد الإملائية — إنما مرده إلى ضعف المحصول اللغوى عند الكاتب .

(٥) الاستخدام الجيد للغة :

إن الكاتب وإن كان يحتاج إلى التعلق بجميع العلوم ، والخوض فى سائر الفنون ، إلا أن احتياجه إلى ذلك ليس على حد سواء ، فمن هذه العلوم ما يحتاج إليه بصفة أساسية كاللغة التى منها استخدام الألفاظ ، والنحو الذى به استقامة الكلام ، وعلوم البلاغة التى هى مناط التحقيق والتحسين والتقبيح ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى .

والكاتب حين يكتب فإنه يخاطب قوما غائبين عنه ومجهولين له ، وهم يختلفون عنه دون شك فى الإحساس بوقع الألفاظ وتأثيرها ، يضاف إلى ذلك أنهم لا يعرفون شيئا مسبقا عن الموضوع الذى يخاطبون به .. واللغة حينذاك هى الوسيلة الوحيدة للاتصال ، وعلى درجة استخدامها يكون التأثير ويكون الإقناع .

ولذلك يحسن بنا أن نقول إن الكاتب إذا لم يحسن صياغة أفكاره فى لغة سليمة واضحة ومحددة ، وإذا لم يؤيد أحكامه بالأدلة والبراهين ، وإذا لم يراع فى عرضها الترتيب المنطقى السليم ، إذا لم يتم ذلك كله فإنه من المتعذر أن تصل أفكاره إلى قرائه بطريقة تؤثر فيهم وتقنعهم ، لأننا سبق أن قلنا إن القراء بعيدون كلية عن أية مؤثرات تساعد على إقناعهم والتأثير فيهم ، وهم فوق ذلك يختلفون عن الكاتب فى الإحساس بالموقف ، ولذلك فهم ليس لديهم استعداد

للاقتــناع أو التأثر بمجرد قراءة عدد من الجمل المقتضبة المتناثرة ، وما الذى يدعوهم إلى ذلك ؟ ! .

والاســتخدام الجــيد للغة إنما يتأتى عن طريق كثرة القراءة والمطالعــة ، ومــن ثــم ينبغى أن تكون المطالعة أساسا للدراسات اللغــوية فى المرحلة الثانوية ، وفى مرحلة التعليم الجامعى ، فبكثرة القــراءة والمطالعة يظهر الطالب نجاحا فى اللغة ، فتكثر معلوماته اللغوية ، ويرقى أسلوبه ، وتحسن عباراته ، وترقى كتابته .

ويجب أن ندرك أن درس المطالعة للدراسة اللغوية مهم جدا ، ومثل هذا النوع من القراءة والمطالعة ضرورى جدا فى المرحلة الثانوية وفى التعليم الجامعى ، ومثل هذا الدرس يمكن أن يعد درس لغة وقواعد ، ودرس بلاغة ، وأدب ونقد .

وكوســيلة للارتقــاء بأســلوب الدارسين وتعويدهم الدقة فى اســتعمال اللغــة يجب أن يعنى المعلم عناية شديدة باختيار موضوع القــراءة ، فيختار مثلا قطعة نثرية ، ويأخذ فى قراءتها أمام الطلاب بحــيث تمثل المعنى تمثيلا حسنا ، كما يأخذ فى دراسة هذه القطعة مــع التلاميذ بتعمق وتفصيل ، فيعرف كل طالب استعمال كل كلمة وكــل تــركيب ، ويقف على ما فى العبارة من جمال ، ويحلل كل جملــة ، ويقف على ما فيها من مجاز ، أو تشبيه ، أو استعارة ، أو كــناية ، أو غيــر ذلك ، كما أن عليهم أن يعرفوا المعنى المراد من القطعــة ، ويحاولــوا أن يلخصــوه فــى عبارة من إنشائهم ، وفى

استطاعة كل مدرس أن يضع أسئلة على القطعة التى قرأها الطلاب ويطالــبهم بالإجابة على هذه الأسئلة ... بهذه الوسيلة وبغيرها يمكن أن نعود الطلاب على الاستخدام الجيد للغة .

ويجــب أن يــدرك الطالب أنه ينبغى ألا تكون المطالعة التى يقصــد منها كسب الأفكار والعلوم والمعارف مقصورة على الكتب الدراســية التى وضعت للمواد الدراسية كالأدب والنقد ، والتاريخ ، والجغــرافيا ، والفلســفة ، وغيرها ، وإنما يجب أن تكون المطالعة عامــة فتشمل كتبا غير دراسية ، حتى تنتقل بهم من عالم المقررات الدراسية إلى العالم الواسع ، وهو الحياة ، وإلى القراءة الحرة لكسب المعرفة والأفكار .

وأى كاتب يحتاج فيما نرى فى كل قضية يعرضها إلى حصر أفكــاره وتحديدها ، ويحتاج كذلك إلى ترتيب هذه الأفكار ووضعها فــى تسلسل منطقى واضح يساعد القارئ على الانتقال من فكرة إلى أخــرى دون أدنى صعوبة أو ملل ، كما أنه يحتاج إلى تأييد أحكامه بالأدلــة ، وأن يشــفعها بالبراهين الكافية وبقدر يمكن أن يحدث فى القارئ الإقناع والتأثير اللازمين .

وهـــذا نفسه هــو الســبب فــى اشتراطنا وجود إطار أو خطة . وإذا حدث لسبب ما وتعذر أن تصل أفكار الكاتب إلى قرائه بطريقة ترضيهم وتؤثر فيهم فإن الكاتب حينئذ لا يحق له أن يلوم إلا نفســه ، لأنه وحده دون سواه هو الذى عجز عن أداء هذه المهمة ،

ولــيس مــن ثــم لوم يمكن أن يوجه للقارئ ، لأنه حيل بينه وبين استيعاب الأفكار والنتائج التى توصل إليها الكاتب .

(٦) القرآن الكريم والحديث الشريف :

إن مــن تعاطى صناعة الكتابة لا يمكن أن يستقل باستخراج جمــيع المعانــى بنفسه ، ولا يمكن كذلك أن يستغنى عن النظر فى كلام من تقدمه لاقتباس ما فيه من المعانى الرائقة والألفاظ الفائقة .

وقــد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بلغتنا العربية ، واخــتارها لــتكون لغــة لأشرف رسله وخاتم أنبيائه . ولا شك أن القــرآن الكــريم بفصــاحته وبلاغــته قد غير عقلية العرب ورقق عــواطفهم ، فأصــبحوا يختارون من الألفاظ أحسنها وألينها ، ومن الأســاليب أســهلها وأبلغها وأخذوا بعد تأثرهم بألفاظ القرآن الكريم يبتعدون عن الكلمات الجافة الغليظة .

وقــد اهــتم المســلمون بعلوم العربية كالنحو ، والصرف ، ونحــوهما ، لكــى يحفظوا القرآن الكريم مــن اللحن ، كما اهتموا بعلوم البلاغة مــن بيان ومعان وبديع ، ليبينوا إعجاز القرآن الكريم .. ولا شــك أن ذلــك الاهتمام وتلك العناية إنما هما نتيجة لتأثرهم بالقــرآن ، ولا شــك كــذلك أن هذا الاهتمام قد أثرى اللغة العربية وطور أساليبها .

والقرآن الكريم هو الذى حفظ اللغة العربية وجعلها تبقى حية على مر العصور ، يضاف إلى ذلك أنه هو الذى أتاح لهذه اللغة أن تنتشـــر فـــى أنحـــاء المعمورة ، ولم لا والمسلمون يحفظون القرآن ويـــتلونه فـــــى صـــلواتهم كل يوم وليلة وإن كان بعضهم من غير العرب .

وإذا كـــان أدبـــاء العربية فى الجاهلية قـــد أثروا فى قومهم لأنهـــم يكتـــبون أو يـــنظمون باللغـــة العربية ، فإن ذلك التأثير بقى محـــدودا ، وهـــو على أى حال وبكل المستويات لا يصل إلى تأثير القـــرآن الكريم ، فتأثيره يظهر فى الشعراء ، والخطباء ، والكتاب ، فقد تأثروا بأسلوبه ، واقتفوا أثره ، حتى أصبحت أساليبهم تقتبس منه ، وتأثـــروا أيضا بمعانيه ، فمعانيهم لا تبعد عما اشتمل عليه القرآن الكـــريم ، لأنهـــم يأخذون من معان لا تنفد ، وكل معانيهم قد وسعها القرآن الكريم .

وقـــد ســـاهم الحديث الشريف بجانب القرآن الكريم فى نشر اللغـــة العـــربية وتعليمها للمسلمين من غير العرب ، لأنهم أصبحوا يحفظـــون الأحاديث ، ثم نشأت دراسات معتمدة على الحديث النبوى الشـــريف ، وتلـــك الدراسات وسعت دائرة اللغة ، وقد شاعت ألفاظ وتعبيـــرات فـــى اللغة العربية بعد أن تناقل الناس أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وغير خاف أنه كثيرا ما يكون مدار الكتابة على استخراج المعانى من القرآن الكريم ، ومن الأحاديث النبوية الشريفة ، لذلك كان على كل كاتب أن يحفظ كتاب الله تعالى ، وأن يجعله مصدر إلهامه ، يستمد منه ، ويعتمد عليه فى ثقافته ، وأن يجعل الحديث الشريف مصدره الثانى بعد القرآن الكريم ، فقد كان الصدر الأول من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم يحتجون بالقرآن الكريم وبالأحاديث النبوية ، ويستدلون بهما فى مواطن الخلاف والنزاع .

(٧) خطب ومقالات البلغاء :

والكاتب الجيد ألفاظه مختارة ، وتراكيبه متقنة ، وأساليبه مجودة ، ومعانيه مؤثرة ، وعلى منوال خطب الخطباء الفصحاء ومقالات البلغاء الأبيناء نسجت الكتابة الجيدة ، لذلك كانت هذه الخطب وتلك المقالات من الأمور التى يحتاج إليها الكاتب ، ولم لا يكون الحال كذلك وهذه الخطب من مستودعات سر البلاغة ، ولم يتعاطها أحد إلا القليل النادر من الفصحاء البلغاء ، وكان يقوم بها سادات العرب ورؤساؤهم ، وحسبها أن اصطنعها عظماء الحكام والساسة وكبار القواد والغزاة الفاتحين .

(٨) التعبير عن الأفكار بالعبارات المختلفة :

اللغة العربية هى أهم مادة أساسية من المواد الدراسية ، وتعليمها يجب أن يكون أهم الأغراض التى نرمى إليها ونقصدها ، لأنها وسيلتنا لدراسة المواد الدراسية وفهمها ، وبدونها لا يمكن

درس ولا تعليم ، والتقدم فيها يساعد من غير شك على التقدم فى غيرها ، والنهوض بها نهوض بغيرها من المواد ، فهى اللغة التى نعبر بها عن آرائنا وأفكارنا .

ويجب أن نصرح بأن من الواجب أن نشجع الطلاب على التعبير عن أفكارهم بعبارات مختلفة ، حتى يعتادوا التعبير السليم والكتابة الجيدة ، وإذا قرأ واحد منهم قطعة من القطع أو موضوعا من الموضوعات كان علينا أن نكلفه بذكر معنى ما قرأ بعبارة من إنشائه ، من غير تقيد أو التزام بعبَارة الكتاب أو أسلوب المؤلف ، فبهذه الوسيلة نشجع الطالب على التعبير الشفهى حينا ، والكتابى حينا آخر .

ولكى نصل إلى الغرض الذى ننشده يجب أن يتعاون جميع مدرسى المواد الأخرى بهذه الناحية ، فبهذه الوسيلة نعود الطلاب الترجمة والتأليف من الصغر ، فإذا شبوا استطاعوا أن يعتمدوا على أنفسهم فى الكتابة والتأليف ، وأن يعبروا عن أفكارهم باللغة العربية أصح تعبير ، وهذا نفسه هو الطريق الوحيد الذى يشجع الطلاب على إلقاء الخطب والاشتراك فى المناظرات المختلفة الموضوعات .

ولا مانع من أن يكلف الطلاب بكتابة بحث عن موضوع تاريخى أو دينى ، كسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو سيرة أبى بكر الصديق ، أو عمر ، أو عثمان ، أو على — رضى الله عنهم — ، ومن عداهم من العظماء والأبطال . وطبيعى أن الطالب

إذا اطلع على الكتب والمراجع التى تتصل بالموضوع ، وقرأ ما فيها من موضوعات ، فإنه سيختار مادته ، وسيرتبها ويكتبها منظمة منسقة بإرشاد أستاذه ، ويتعاون معه على إخراج البحث بدقة ومهارة . ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر هذا التوجيه فى اعتماد الطالب على نفسه وتعويده الكتابة والتأليف ، والتعبير عن أفكاره بلغة عربية سليمة وصحيحة .

(٩) المعرفة بالقواعد اللغوية والبلاغية :

لا شك أن النحو هو قانون اللغة العربية ، وميزان تقويمها ، ولما كانت اللغة العربية هى رأس مال الكاتب أصبح بالطبع محتاجا إلى المعرفة بالنحو وطرق الإعراب ، والأخذ فى تعاطى ذلك كله حتى يجعله دأبه ، كما أن عليه أن ينتبه إلى ترتيب الألفاظ ، وإلى موقع كل كلمة وما يستلزمه من إعراب ، وما أجمل لو عرف الكاتب أصل الكلمة ، وزيادتها ، وحذفها ، وإبدالها ، وما يحسن من تقديم لفظة على أخرى ، أو تأخيرها عنها لسبب بلاغى أو نحوى .

وللبلاغة ما للنحو ، فإذا عرفنا أن صناعة الكتابة مبنية على سلوك سبل الفصاحة واقتفاء سنن البلاغة أوجبنا على الكاتب المعرفة بعلوم البلاغة ، والإحاطة بمقاصدها ، ليتوصل بذلك إلى فهم الخطاب ، وإنشاء الجواب ، فرب كاتب بليغ أصاب الغرض فى كتابته فأغنى عن الكتائب ، وأعمل القلم فكفاه عن إعمال البيض والقواضب .

وإذا حدث وأخل كاتب ما بعلم من هذه العلوم ، وفرط في التماسها فاتته فضيلتها ، وعفى على جميع محاسنه ، لأنه إذا لم يفرق بين كلام جيد وآخر ردئ ، ولفظ حسن وآخر قبيح بان جهله ، وظهر نقصه ، وإذا أراد أن يكتب مقالا وقد فاتته هذه المقاصد مزج الصفو بالكدر ، وأخذ الردئ المردود وترك الجيد المقبول .

(١٠) القراءة والتدريب على التعبير الشفوى :

ولا يفوتنا ونحن بصدد الحديث عن أدوات التحرير الأدبى أن نأتى بهذا العامل الذى هو ضرورى ومهم للكاتب المبتدئ وبخاصة فى المراحل الأولى من التعليم ، فارتباط القراءة بالكتابة أمر طبيعى ، بمعنى أن الكتابة لا بد وأن يكون بجانبها نشاط لغوى آخر يتمثل فى القراءة المجدية .

فأى شخص يحس بالرغبة فى الكتابة فى المرحلة الأولى من حياته ينبغى أن يوجه نفسه لعملية القراءة ، وأن يتعرف على بعض الكلمات وأشكال بعض الحروف ، ثم بعد ذلك يتوجه إلى الكتابة ، لأن تعلم القراءة يساعد على تعلم الكتابة والعكس .

ثم إن مطالبة الطالب فى أول حياته التعليمية بالكتابة أمر قد يسلمه إلى النفور والسآمة .. ومن ثم عليه أن يتعرف أولا على الكلمات ، وأشكال الحروف ، والحركات والسكون ، وأن يكرر ذلك على فترات ، ومثل هذا الفعل أمر ضرورى ، وأعتقد أنه من الأمور التى تشوق الطلاب وتنهض بهم لا فى القراءة فحسب ، بل

فـــى القراءة والكتابة معا ... ختى إذا ما انتهت الصعوبات الإملائية وجب العمل آنذاك على تقدم الطالب فى الكتابة ، واكتسابه ألوانا من المهـــارات فـــيها ، لأن الإملاء فرع من فروع اللغة العربية ، وهو كســـائر فـــروعها يخـــدم التحرير العربى ، ويمد الكاتب بثروة من المفردات والعبارات التى تفيده فى التعبير تحدثا أو كتابة .

(١١) عوامل أخرى :

ويتصل بالعوامل السابقة أن يكون الكاتب على علم بالمعارف الدينـــية والأحكام الشرعية ، لأنه ينبغى أن يكون على درجة تجعله يميـــز بـــين الحـــق والـــباطل ، كما ينبغى أن يكون على درجة من المعـــرفة ترشده إلى الطرق المعتبرة فى الكتابة ، وقديما قالوا : من سلك طريقا بغير دليل ضل ، أو تمسك بغير أصل زل . كذلك ينبغى أن يكـــون علـــى علم بالفنون الأدبية ، فالكاتب الجيد هو الذى يكون حـــاد الذهن ، حلو اللسان ، جيد الجرس ، يستكثر من حفظ الأشعار الـــرائعة ، والأمـــثال والحكم ، ويطيل النظر فى الكتب الواردة عن العرب فى ذلك .

ومـــنها مـــا يحـــتاج إليه بطريق العرض ، كالطب والهندسة ونحـــوها مـــن العلـــوم ، ومعرفة الألفاظ الدائرة بين أهل كل علم ، ومعـــرفة المشـــهورين مـــن أهله ، ومشاهير الكتب المصنفة فيه ، ومعـــرفة الأنســـاب ومفاخـــرات الأمـــم ومنافراتهم ، وأيام الوقائع

والحروب ، وربما احتاج الكاتب إلى ما هو دون ذلك فى الرتبة مما تدعو الحاجة إلى وصفه فى حالة من حالات الكتابة .

.. هـذه الأدوات هى عدة الكاتب التى يجب عليه أن يحملها قبل أن يخوض فى هذا المعترك الذى لا يبرز فيه إلا الحاذقون .

وإذا حـدث وخـاض كاتـب ما فى هذا الميدان وهو خالى الـوفاض من هذه المعارف الضرورية ، بان جهله ، وكان ضرره فيما يسلك أكثر من نفعه .

وينبغـى أن نشير هنا إلى أننا لا نلزم الكاتب بوجوب معرفة كـل هـذه الأدوات ، لأنـنا لو كلفناه وأوجبنا عليه معرفة كل هذه الأدوات لكـنا كمـن جعل الأصعب طريقا للأسهل ، والأشق مفتاحا للأهـون ، وطبيعـى أن طـباع الكتاب ستنفر من الالتزام بكل هذه الأمور . يضاف إلى ذلك أن كل كاتب يجب أن يختار الطريقة التى هدته إليها تجارب من يسلك مسلكهم ، وينهج نهجهم فى الكتابة ، مع مراعاة الأصول العامة والقواعد المتفق عليها فى التربية وعلم النفس ، ويجـب ألا ننسى أن المنهاج قد وضع للكاتب ، ولم يوضع الكاتب للمنهاج .

ولـنا أن نسأل ما هى الغاية التى ننشدها من أمور الكتابة ؟ وفـى الجـواب نقـول : إن من هذه الغايات أن يتمكن الكاتب من تصوير ما فى نفسه فى كتابة صحيحة وسليمة ، وأن تكون عباراته معبـرة عـن رغباته فى الحياة ، ومترجمة عن تجاربه وأفكاره ،

وأن يعــتاد القــدرة على التعبير الفصيح ، والقدرة على التأثير فى المستمع .

تلــك هــى الغايات المرجوة التى نتطلبها ونسعى إليها حينما نعتم أحدا أمور الكتابة ونوجهه إليها .

وقد يبدو أن الوصول إلى هذه الغاية أمر صعب وشاق ، لما يتطلــبه هــذا الأمر من الوقوف على وسائل كثيرة ومتعددة . ولكن الأمــل فى كل راغب ما يزال قويا ، فهو يستطيع بمهارته وحذقه ، وبــبعض مــا ســيجده أمامـــه من طرق سديدة وإشارات صائبة ، وتجــارب حكيمة ، أن يستفيد مما أنتجته عقول الكتاب ، وأن ينتقل بأسلوبه إلى الذروة العالية ، فيكون فى صفوف الكتاب المجيدين .

ولا ريب أن الجانب الشفوى من الإنشاء يمتاز بما يتطلب من حســن الأداء ، وجودة الإلقاء ، وسلامة المنطق ، وروعة التأثير ، فهــذه كلها قد تبلغ من نفس السامع ما لا يبلغه قلم كاتب فصيح جيد التعبير .

الفصل السابع

ألوان المقالة الأدبية

توطئــــة

إن مـــن يطيل النظر فى بواكير ، ومصادر المقالة الأدبية [١] مـــن صحف ومجلات وكتب وغيرها ، سيجد ألوانا مختلفة من هذا اللـــون الأدبـــى ، يصـــعب على الباحث أن يلاحقها جميعا بالرصد والدراسة والتحليل ؛ ذلك لأن الأدب فى مصر ــ كغيره من الآداب العربية ــ يحوى فى فنونه النثرية مشارب فكرية وأسلوبية مختلفة ، تقترب حينا وتتباعد أحيانا أخرى .

ونحـــن نـــود فـــى هذا الفصل أن نجمع الألوان المختلفة من المقالة الأدبية ، وأن نتعرف على مناحيها ، واتجاهات كتابها ، وأن نتتـــبع ذلك فى كل الفترات التى مرت بها المقالة ، ثم نقوم بتصنيف ما يقع بين أيدينا من كل ذلك .

وبعـــد استقراء طويل أمكن أن نحصر مناحى المقالة الأدبية فى الألوان الأربعة التالية :

ــ المقالة الذاتيـــة .

ــ والمقالة الاجتماعية .

---

(١) انظر : تطور الأدب الحديث فى مصر ، د / أحمد هيكل ، ص ٤١٦ وما بعدها..

ـ والمقالة النقدية .

ـ والمقالة الوصفية .

أما ما سوى هذه الألوان الأربعة فكثير ومتفرق ، وإن كان لا يستقيم إلى حد كبير مع السمات والشروط التى تتطلبها المقالة الأدبية ، ولا يمكن لكتابها أن يتمثلوا الخصائص الفنية تمثلا كاملا أثناء كتابتهم ، ومن أجل هذا لم تكن موضع اهتمام الناقد أو الدارس ، لضعف مقومات الأدب فى أكثرها .

وسنستعرض فيما يلى أمثلة ونماذج للألوان الأربعة التى ذكرناها ، ثم نتبع ذلك بأمثلة ونماذج أخرى لعدد من المقالات المختلفة عن الألوان السابقة ، لعل في ذلك وقوفا على جوانب أخرى من ألوان مقالية ، صال وجال فيها الكتاب ، وارتقوا بها وبغيرها إلى مراتب عليا فى استشعار وظيفتهم ، وأداء ما عليهم من حق تجاه مجتمعهم وأمتهم ، فكان لهم إسهام طيب فى المقالات : السياسية ، والدينية ، والعلمية ، والفلسفية ، والخاطرة ، والرسائل ، وعرض الكتب ، وغير ذلك .

أولا : المقالة الذاتية

مفهومها :

مـــن الصـــعب أن نضع تعريفـــا محددا لأنواع المقالة بصفة عامـــة ، فضـــلا عـــن المقالـــة الذاتية ، ذلك لأن معظم آراء النقاد والدارســـين تتلاقـــى فى كثير مما تذهب إليه فيها من تمييز الملامح والسمات الرئيسة لكل لون .

ثم إننا نجد شيئا من السمات والصفات الخاصة بالمقالة الذاتية فـــى كثيـــر مـــن ألوان المقالات الأخرى ، كالوصفية ، أو النقدية ، وغيـــرها ، وإذا كـــان كل أديب يخلع على كتاباته أيا كانت ـــ وهذا أمـــر ضرورى فى الأدب ـــ شيئا من ذاتيته ، فإن الحال يقضى بنا إلى أن نقول إن الخصيصة المتصلة بالذات لا بد من توافرها فى كل ألوان المقالة الأدبية .

وعلـــى هـــذا فحال المقالة الأدبية ـــ وعلى وجه الخصوص الذاتـــية منها ـــ هى نفسها حال القصيدة الشعرية ، فالقصيدة والمقالة الذاتـــية صـــنوان ، وليس بينهما مـــن فرق إلا فى درجة الحرارة ، فهـــذه الحرارة تعلو وتتناغم فتكون القصيدة ، أو تهبط فتكون المقالة الذاتية (١) .

---

(١) انظر : جنة العبيط ، د/ زكى نجيب محمود ص ١٤ . دار الشروق ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ـــ ١٩٨٢ م .

والمقالـــة الذاتية فى نظر الدكتور محمد يوسف نجم هى تلك التـــى " يصطنع كاتبها النثر الفنى وسيلة للتعبير عن إحساسه بالحياة وتجربته فيها " (١) .

وهـــى من وجهة نظر أخرى : " المقالة التى تعتمد على تأمل عمـــيق ، وتجـــربة ذاتية ، وعناية بالأسلوب من النواحى الجمالية ، وأنهـــا أوفى طولا ، وأكثر انطلاقا ، وأرقى سلاسة ، وأن محورها الأساسى الذى تدور حوله هو ذات المقالى ، بما تختزنه من تجارب ، وما تموج به من انفعالات " (٢) .

وعلـــى هذا فقوام هذه المقالة هو شخصية الكاتب ، وطريقته فـــى التعبير عن نفسه ، وما يعتمل فيها من تجارب حيوية ، والغاية الأولـــى فـــيها هو تصوير البيئة المكانية التى يعيش فيها الكاتب كما تتـــراءى فى إحساساته ، وهذا الامتزاج هو ما يميز مثل هذه المقالة عن مقالات العلماء وأبحاثهم (٣) .

وفى أدبنا الحديث الكثير من هذه المقالة ، فلطالما عبر أدباؤنا عن ذواتهم ، ووصفوا حالات نفوسهم بعيدا عن التعقيد ، وقد اختلفت أساليبهم فى تصويرهم هذه الحالات باختلاف أثر ما يستقبلونه ، وما

---

(١) فن المقالة ، ص ٩٨ .

(٢) المدخل لدراسة الفنون الأدبية ، من إصدار قسم اللغة العربية ، كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، ص ١٠٥ . دار قطرى بن الفجاءة للنشر ، قطر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـــ .

(٣) فن المقالة ، د/ محمد يوسف نجم ص ١١٤ .

تموج به حياتهم من دواعى الفيض ، وعوامل إبداع الأديب البيئية ، وباختلاف الطبائع والملكات .

ومــن أشــهر كــتاب المقالة الذاتية : أحمد حسن الزيات ، ومصــطفى صادق الرافعى ، وعباس محمود العقاد ، وطه حسين ، وإبــراهيم عــبد القادر المازنى ، وتوفيق الحكيم ، ومحمود تيمور ، وغيرهم .

فجمــيعهم يــنطلقون فــى غناء نثرى جميل ، يجنحون إلى الطبــيعة ، ويحملونها الأشجان ، ويبوحون لها بالأسرار ، ويفضون لها بالنجوى ، وقد خرجوا على مجتمعهم التقليدى ساخطين ناقمين ، باحثين عن حياة أخرى جديدة ، ينشدونها فى الخيال والحلم ، بعد أن لم تكن فى الواقع والحقيقة .

خصائص المقالة الذاتية :

يخــتلف الكاتبون فى سمات أعمالهم الأدبية ومميزاتها ، حتى ولــو كانــت تــلــك الأعمــال متفرعة من ينبوع واحد ، كاختلاف الأشكال ، واختلاف الأساليب ، وما إلى ذلك .

وهذه هى أهم خصائص المقالة الذاتية :

١- استعمال ألفاظ المعجم الرومانسى فى سهولة وعذوبة .

٢- الولــع بالصــور المبتكــرة المتخيلة ذات الطابع النفسى الداخلى .

٣- الاهتمام بالجانب الإيقاعى والجمالى ، واللفظى الشكلى .

٤- البعد عن الأسلوب العلمى .

٥- التصوير البيانى .

ويتناول كتاب المقالة الذاتية ضروبا مختلفة من فنون الحديث عن النفس ، وما يتصل بها ، أو يؤثر فيها ، من أسباب السعادة ، أو دواعى الشقاء ، سواء كانت منبعثة من ذات الكاتب ، أو من المجتمع الذى يعيش فيه ويحيط به .

إنهــا فـــى الحقيقة تصوير من جانب آخر لطبيعة الصلة بين المــبدع ومجـــتمعه ، وما يسر فيها ويبهج ، وما يبعث على العتاب والتذمر .

والمقالـــة الموضـــوعية هى قسيم المقالة الذاتية ، حيث قسم بعض الأدباء والنقاد المقالة إلى قسمين : (ذاتية) و (موضوعية).

فأما الذاتية : فكما سبق القول هى تلك التى ارتبطت بشخصية قائلها ارتباطا جعلها تصويرا لها أو لبعض أحوالها .

وأمــا الموضـــوعية : فهـــى التى انصبت العناية فيها على الموضوع نفسه ، وانفصلت عن شخصية بانيها انفصالا كاملا ، وقد عمت المقالات الموضوعية حتى شملت جميع فروع العلوم الطبيعية والإنسانية [١] .

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٠ .

والحقيقة أن هذا الفصل بين القسمين أمر قد تصل صعوبته إلى حد الاستحالة ، والمقالة والحالة هذه تنمى إلى أظهر الموضوعين فيها ، أو إلى الذى كان السبب فى إنشائها ، وهذا قد يخفى إذا لم يدل اللفظ عليه .

ثانيا : المقالة الاجتماعية

والمقالة الأدبية الاجتماعية هى تلك المقالة التى تعالج أدواء المجتمع وأمراضه ، مثل الجهل ، والفقر ، والعادات والتقاليد البالية ، كل ذلك بأسلوب أدبى راق ، خال من الابتذال والمباشرة الفجة ، وفى صياغة هى قريبة من الصياغة الفنية الرفيعة .

والكاتب فى المقالة الاجتماعية هو الكاتب الأديب ، وليس الكاتب الاجتماعى وحسب ، ومن ثم فلا بد أن يكون " ممتازا فى ثقافته وعلمه ، وعقله وفكره ، وكياسته ورأيه ، يقف نفسه من الأمة أو الشعب موقف المصلح الذى يريد أن يصل نفسه بقومه بغية الوصول بهم إلى مستقبل أفضل ، وحياة أكمل ، وعيش أكثر سعادة ورغدا .. " (١) .

وليس يجهل أحد أن البلاد كلها — حينما بزغت أنوار النهضة — كانت تئن تحت وطأة الاستعمار ، وهذا هو السبب فى

---

(١) فى محيط النقد الأدبى ، د/ إبراهيم أبو الخشب ص ١٤٩ .

تأخر البعث الاجتماعى ، فلقد أقر المستعمر الأوضاع الاجتماعية السيئة ، ولم يوجه سياسة الحكومة نحو الإصلاح الاجتماعى ، ولم يجعله هدفا ينوى تحقيقه ، الأمر الذى جعل الأمة تتدهور اجتماعيا تدهورا بالغا .

ليس هذا فحسب ، بل إن المحتل قد بذر فى كثير من البلاد العربية كثيرا من الأمراض والآفات الاجتماعية ، مما سبب انحلالا اجتماعيا عم جميع الطبقات الشعبية فى مصر على السواء [١] ، فقد ذاع الربا ، وكثر المرابون ، وانتشرت الخمور والخمارات ، وعم الفقر ، والمرض ، وغير ذلك .

وهنا ظهر عدد من المصلحين ، وأخذوا يعكفون على دراسة أحوال المجتمع ، وجهر كثيرون منهم بدعوات إصلاحية تدعو إلى التمسك بالدين وبالمثل العليا ، وتحارب الفقر ، والجهل ، والمرض ، ودعوا كذلك إلى إنصاف المرأة ، وإخراجها من عزلتها ، ونادوا بتعليمها ، وتثقيفها حتى تستطيع أن تنهض بأعباء الأسرة ، وإعداد أبناء الأمة إعدادا يقفها فى مصاف الأمم المتمدينة [٢] .

---

(١) راجع فى أعقاب الثورة المصرية ، عبد الرحمن الرافعى : ٢/٢٦٣ وما بعدها . مطبعة الفكرة ، القاهرة الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ ١٩٤٩ م .

(٢) انظر : تاريخ المسألة المصرية ، ترجمة العابدى وبدران ص ٢٩٠ وما بعدها .

وخيـــر من يمثل هـــذا اللـــون مـــن المقالات : قاسم أمين ، والمنفلوطـــى ، وهـــيـــكل ، والرافعى ، وأحمد أمين ، وأحمد لطفى السـيد ، وأحمـــد حســـــن الزيات ، وإبراهيم عبد القادر المازنى ، والعقاد ، وغيرهم .

هـــذا هو الميدان الذى صالت فيه المقالة الاجتماعية وجالت ، إنهـــا بمثابة أبحاث عامة لكل الأدباء ، يتنوعون فيها فى الأسلوب ، وتختلف طرائق تعبيرهم .

فكل كاتب له أسلوبه الذى يلائم نفسه ، وكل أديب له وسيلته الخاصة به فى العرض والتوضيح . فالمازنى يستخدم الأسلوب الفكه الساخر ، معتقدا أن لهذا الأسلوب أثرا فى شد انتباه المخاطب ولفت نظـــره ، وأحمـــد أمـــين يكتب بأسلوب بعيد عن الهزل والسخرية ، ويجنح قاسم أمين إلى الأسلوب الخطابى الثائر العنيف ، ويميل أحمد حسن الزيات إلى الأسلوب الهادئ الرصين ، وعليه فالسمات الأدبية فـــى المقالة الاجتماعية هى المعيار الذى ندخل به المقالة الاجتماعية فـــى دائـــرة (الفن الأدبى للمقال) ، بحيث إذا انتفى الشرط الأدبى خلـــت مـــن إغرائها لنا بالدرس والتأمل ، وعددناها فى عداد النثر المقالى السريع الذى تمتلئ به الصحافة كل يوم .

ولا ينبغـــى أن يعنـــى دارس المقالـــة الأدبية الاجتماعية بما ينشـــره بعـــض الباحثـــين من دراسات علمية ، وأبحاث دقيقة تمس المجـــتمع فـــى كثيـــر من أموره ، كالتربية ، والأسرة ، والزواج ،

والـــنمو ، والطـــلاق ، وخلاف ذلك ، فمثل هذه الأبحاث تلتزم نهجا علمـــيا أكثـــر مـــنه أدبـــيا ، ومن هنا تبتعد عن الطبع ، والتدفق ، والعاطفة ، وتخرج من دائرة التناول الأدبى .

وتمتلـــئ المقالـــة الأدبـــية الاجتماعية بزخم اجتماعى يعكس للقـــارئ عمق العلاقة والصلة بين الأديب والمجتمع ، ومدى ما لدى الكاتـــب المقالـــى مـــن حـــرص على أن يأخذ مكانته فى الإصلاح والتوجيه .

إن أهمية المقالة الاجتماعية إنما تكمن فى أنها تعطى الباحث إيحـــاء تاريخيا عن مراحل التكوين الاجتماعى ، وتصور بشكل أو بآخـــر أسلوب التفكير الاجتماعى ، وما هى المؤثرات المختلفة التى تقـــف وراء أفـــراد المجـــتمع فـــى أحلامهم ، وآمالهم ، وقبولهم ، ورفضهم ، وغير ذلك [١] .

إنهـــا تقـــف بنا على أسلوب أدبى خال من التعقيد والإحالة ، وبعيد عن التكلف والوعورة ، فكاتب المقالة الاجتماعية هو أقرب ما يكـــون إلـــى الوضـــوح والانكشاف ، وأبعد ما يكون عن الحوشى والغـــريب والغمـــوض ، وفردية الهموم ، ولعله لذلك كانت المقالة الاجتماعـــية أقل ألوان المقالات الأدبية احتفاء بالتجويد فى الأسلوب الأدبى الذى كثيرا ما يعمد إليه الكاتب المقالى الموهوب .

---

(١) راجع : أدب المقالة الصحفية فى مصر ، د/ عبد اللطيف حمزة .

خصائص المقالة الأدبية الاجتماعية

سبق أن قلنا إن هناك طائفة غير قليلة من الكتاب التزموا بمعالجة مشكلات الواقع الاجتماعى ، وأخذوا يسعون إلى الإصلاح ، لأنهم على قناعة من أن دورهم فى الحياة لا يقتصر على الإبداع الفنى ، والابتكار فى الصور والأساليب ، وتنسيق القصائد ، وتدبيج المقالات .

إن إحساس هؤلاء الكتاب بالواقع كان بالغا ، بل إن هذا الإحساس كاد يفقد كثيرا من المقالات كل ميزة فنية ، وليس ذلك إلا لاندفاعهم بشدة نحو الفكرة ، وإصلاح المعوج ،وتقويم المنحرف من أمور الحياة .

ويمكن أن نلخص أهم الخصائص الفنية للمقالة الاجتماعية فيما يلى :

١ ــ الاتكاء على الجملة الإنشائية .

٢ ــ العناية بالفكرة ، والاهتمام بالمعنى ، والاتجاه إلى التحليل والتعليل والإقناع .

٣ ــ الميل إلى السهولة والواقعية والوضوح .

٤ ــ البعد عن الخيال ، والدقة فى اختيار الألفاظ المناسبة للموضوع .

٥ ـــ عدم الاتكاء على عنصر الفن مثل : الخيال ، والعاطفة والصـــور الموحية الجميلة ، والتراكيب الممتعة ، والألفاظ الموحية وغير ذلك .

٦ ـــ الصـــدق فى العاطفة ، والدقة فى التصوير ، والتحرر من المحسنات البديعية .

٧ ـــ إقامة الأدلة على الفكرة التي يطرحها الكاتب ويعالجها .

على أن أساليب الكتاب متفاوتة فى هذه الخصائص ، فبعضهم يمـــيل إلـــى الســـهولة وأحـــيانا إلى الضعف ، ومنهم من يميل إلى الوضوح وسلامة العبارات ، ومنهم من يميل إلى الأسلوب الصحفى الخالى من الإتقان والتأثير إلا فى لمحات بعينها ، وبعضهم يميل إلى اللفظ القريب من الشاعرية ، والمثالية فى ذلك كله أن تأتى استجابة الأديب لنزعات الفن ، ودوافع القول ، وجدا ، وتفكيرا ، وإصلاحا .

ومن نماذج المقالة الاجتماعية ما كتبه الأستاذ / على أدهم فى قضية " الصراع الدائم بين الرجل والمرأة " لقد عرض هذه المشكلة باعتـــبارها أبرز القضايا الاجتماعية [١] ، وعبر فى بداية المقالة عن خطـــورة الخـــوض فى هذه القضية ، ثم تحدث عن حالة المرأة فى العصـــور المخـــتلفة ، وكشف عن إعجاب الكثير من الكتاب بسير النساء .

---

(١) لاحظ : نظرات فى الحياة والمجتمع ، على أدهم ، ص ٥٧وما بعدها . دار المعارف ، مصر ١٩٧٨ م .

من كتاب المقالة الاجتماعية الطويلة

الأستاذ / مصطفى صادق الرافعى

ولــد مصـــطفى صادق الرافعى فى (بهتيــم) إحدى قرى محافظة القليــوبية بمصــر عام ١٢٩٨ مــن الهجــرة الموافق عام (١٨٨٠ م) ، وبهــا قضـــى شطرا من صباه ، ثم التحق بمدرستها الابتدائــية ، وقــد حفــظ القــرآن الكريم وهو صغير . ولم يحصل الرافعـــى فـــى حياته على شهادات ذات قدر ، فالمعروف أن أعظم شـــهادة حصـــل عليها هى الشهادة الابتدائية ، وقد حصل عليها من مدرســة المنصورة عام ١٣١٥ هــ (١٨٩٧ م) وكانت سنه آنذاك حوالى السابعة عشر عاما .

وعلـــى الرغم مما أصيب به الرافعى من مرض أضعف من صـــوته وأفضـــى بســـمعه إلى الصمم ، فإنه قد انكب على القراءة والدرس والمراجعة ، وحصل معرفة ذات شأن فى الفقه والأصول ، والحديث ، وعلوم اللغة ، والتاريخ وعلوم الأدب ، والسيرة وهو يعد معلما من معالم الشعر الحديث ، وقد ظل أنموذجا رائعا للصبر حتى توفاه الله عام ١٣٥٦ هــ (العاشر من مايو عام ١٩٣٧ م) .

والحقيقة أنه قد دارت حول الرافعى دراسات كثيرة ومتعددة ، ومن الأسف أن أغلب هذه الدراسات لم توف أديبنا حقه ، وليس فيها مــن العمــق مــا يســتحقه أدبه ، وقد ادعى كثير من الدارسين أن

الرافعـــى ما كان يقرأ إلا الكتب القدمية ، وأنه لم يقرأ منها إلا كتب اللغة والأدب ككتب الجاحظ وابن قتيبة ، وأبى الهلال العسكرى .

وفضـــلا عـــن ذلـــك كلـــه فإننا إذا تجاوزنا أولئك الدارسين المعادين للرافعى [١] ، الذين كانوا يصدرون فى رأيهم عن أدبه عن موقف مضاد له ، وكانوا يظلمونه ، ولا يعترفون له بفضيلة غير ما يعـيب ويسـوء . أو تجاوزنا الدارسين المحايدين [٢]، الذين كانت كثـرة عداوات الرافعى تصدهم عن الكتابة المنصفة خشية الحرج ، أو تفاديا مـــن الوقوع فى خصومات وعداوات ، فإننا نجد الدراسات التـــى دارت حـــول الرافعى قد وفت أبوابا فى أدبه ، وتركت أبوابا أخرى ــ وبخاصة شعره ــ الأمر الذى أدى إلى إسدال ستائر كثيفة من النسيان على (الرافعى الشاعر) .

ومـــن الدارســين المحايــدين الــذين أحســوا بالرغبة فـــى الانتصاف للرافعى الدكتور / مصطفى الشــكعة ، فقــد ألف كتـــابا بعـــنوان : " مصـــطفى صـــادق الرافعى ، كاتبـــا عربيا ، ومفكرا إســـلاميا " [٣] ومن يقرأ الكتاب يلاحظ أنه ألم إلمامة سريعة ببعض

---

(١) من أمثال : سيد قطب ، والدكتور زكى نجيب محمود ، والعوضى الوكيل ، والدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، ومحمد خليفة التونسى ، وأحمد عبد الغفار عطا .

(٢) أمثال : عبد السلام هاشم حافظ ، والدكتور كمال نشأت ، ومصطفى نعمان البدرى ، والدكتور مصطفى الشكعة ، والدكتور على عبد الحليــم محمود ، والدكتور عبد العــزيز المقالح ، وغيرهم .

(٣) صدر هذا الكتاب فى بيروت عام ١٩٧٠ م ، كما أنه طبع مرة ثانية عام ١٩٧٨ م .

فــنون الرافعى ، وقد ركز الكتاب على الجانب الإسلامى فى أدبه ، كمـا ركز على الجانب البيانى عنده ، أما عن شعر الرافعى فإنه لم يذكـر شـيئا عـنه إلا فى صفحتين ونصف هما ص ٢٣ و ص٢٤ وجزء من ص ٢٢ .

وهـذا واحد يعد على رأس الدارسين الموالين للرافعى ، وهو تلميذه وصديقه الأستاذ محمد سعيد العريان ، وله عن الرافعى كتاب عـنوانه " حـياة الرافعى " كما أن له عددا كبيرا من المقاولات عن الرافعـى . والحـق أن كتابات العريان وإن كانت فاتحة الطريق ، وتمهـيدا لمـن جـاء بعده من الدارسين لأدب الرافعى ، لكنها تتسم بصـفة عامـة بالسـرعة ، ولـيس فيها من العمق ما يستحقه أدب الرافعى .

ولنضـرب مـثالا آخـر لأحد الموالين للرافعى وهو الأستاذ حسـنين حسـن مخلوف ، فقد كتب متأخرا تحت عنوان " مصطفى صـادق الرافعى ــ حياته وأدبه " [١] . ومع دفاعه عن الرافعى جاء كتابه على أحد عشر فصلا ، وقد أغفل شعر الرافعى ، ولم يأت فى الكتاب بفصل عن (الرافعى الشاعر) :

والحقيقة أن الرافعى صاحب موهبة فطرية متعددة ، وقد قرأ فـى كافـة الفنون ، وزود نفسه بما يستطيع من معرفة وثقافة ، وقد اهـتم بالفكر والفلسفة والاجتماع ، كما أنه مولع بالكتب المترجمة ،

---

(١) نشرته دار الهلال فى سلسلة كتاب الهلال فى مايو ١٩٧٦ م .

وكـــان يتوفـــر علـــيها قراءة وفهما ، وله ملكات تساعده على الفهم والمـــراجعة والنقد وسبر أغوار ما يقرأ ، وهذا يتضح فى تناوله لنقد نص من النصوص ، أو فى تصديه لشرح فكرة ، أو بسط رأى من الآراء ، وهـــذا يعنى أن الرجل هو الذى يسيطر على ثقافته ، ولعل هذا هو السبب فى أنه عاش حياته فى معارك أدبية وفكرية متصلة ، وقـــد انتقد فى شعره المبكر الأوضاع التى لا تروقه ، وانتقد شعراء عصره ، وغير فى ترتيبهم .

والرافعى لم يخاصم ثقافة ، ولم يعاد معرفة . ورغبة منا فى تقـــديم الدلـــيل ، وعـــدم الحكم على شىء من غير معرفة ودراية ، وتأكيدا للتخلص من أغلال المتابعة وخطل المشايعة ، وعدم الاكتفاء بتـــرديد ما يقال وتكرار ما يشاع ، نأبى إلا أن نعيد النظر ، ونطيل القـــراءة والفهـــم فـــى أدب الرافعى ونركز الحديث حول جانب من جوانب أدبه وهو (شاعريته) الذى أرى أن الرافعى غبن فيه كثيرا ، فحرى بنا أن نهتم (بالرافعى الشاعر) وأن ندرس شعره وبخاصة بعد أن زالت أسباب الإحن ، وامحت ضروراتها ، وذهبت منافسات مخالفـــيه ومخاصـــميه مـــع الزمن ، ولـــم يعد بمقدور أحد أن يتهم الأســـتاذ الرافعـــى ، أو أن يقلل من شاعريته ، فهو شاعر نضجت وسائله ، واتضحت فى شعره معالم شخصيته ، ولم ينفصل فيه تحت أى ظـــرف من الظروف عن واقعه وعصره ، وغدا علما يشار إليه فى الشعر كما يشار إليه فى الأدب والنقد والبيان .

ثقافة الرافعى :

إذا عــرفنا أن الرافعى لم يحصل من الشهادات غير الشهادة الابتدائية أدركنا آفاقه الثقافية ، وأنه لا يعتمد على الموهبة فحسب ، وإنمـــا أثرى نفسه بالقراءة وصقلها بالإطلاع . وإذا كان قد قال عن حفظه للقرآن الكريم وهو صغير : "كنت فى العاشرة من سنى وقد جمعــت القرآن كله حفظا وجودته بأحكام القرآن " [١] ـــ فإننا ندرك أن الرافعـــى كان يأخذ نفسه بالشدة ، وأنه لم يدع القراءة ما وجد [٢] إلـــيها ســـبيلا ، وأن ثقافـــته عربية أصيلة تجمع بين الحفظ والفهم والرواية ، كما ندرك ما يصدر عنه الرافعى فى أدبه ، وأنه قد أتقن وسائله الأدبية إتقانا تفوق به على لداته .

وقد دارت ثقافة الرافعى حول :

(١) الثقافة العربية القديمة .

(٢) الثقافة العربية المعاصرة .

(٣) الثقافة الإنسانية العامة .

والحـــق أن الرافعى قد صال وجال فى هذه الألوان ، وأبرز ثقافة ومكانة ، وتبوأ مكانا اجتماعيا بمقالاته ما كان ليتبوأها لولاها ، ومن الذين شهدوا له بالثقافة والبراعة فى الإحاطة والمعرفة الأستاذ

---

(١) وحى القلم ، للرافعى : ٣ / ٣١ . الطبعة السابعة .

(٢) راجع " حياة الرافعى " لمحمد العريان ص ٣٣ . المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٥٥ م .

أحمـــد حســـن الـــزيات صاحب الرسالة . فهو يقول : كان الرافعى رحمـــه الله حجـــة على علوم اللسان ، ثقة فى فنون الأدب ، عليما بأسرار اللغة ، بصيرا بمواضع اللفظ ، خبيرا بمواقع النقد ، ومحيطا بمـــذاهب الكـــلام ، وقلما تتهيأ هـــذه الصفات لغير المطبوعين من الأدباء " [١] .

وتتضح ثقافة الرافعى فى أعماله المبكرة والتى تتمثل فى :

(١) **مقدمـــة ديـــوانه الأول** : وقـــد كتبها وهو دون الثانية والعشـــرين من عمره ، وقد أثارت هذه المقدمة العلماء بما فيها من إحاطة وبيان ، وفهم وتمكن ، لدرجة أن عالما من علماء ذلك الزمان ظن أنها ليست من إنشاء الرافعى وإنما هى مسروقة [٢] .

كما كشفت هذه المقدمة عن مدى فهم الرافعى لمعنى الشعر ، ومـــدى إدراكـــه للاتجاهـــات الفنـــية التى سلكها الشعراء والفروق الإبداعـــية التـــى كانـــت بينهم ، والواقع الذى لا شك فيه أن وقوف الرافعـــى علـــى مثل تلك الأمور وهو فى مقتبل حياته الثقافية يؤكد موهبته الفطرية ، كما يؤكد غزارة اطلاعه ، وتوفره منذ وقت مبكر على القراءة والتحصيل .

(٢) **آراؤه الجـــريئة** : والمعروف أن الرافعى قد نشر آراء جريئة كانت لها آثار جليلة ، فقد نشر عام ١٩٠٥ م رأيا فى مجـــلة

---

(١) وحى الرسالة ١٩٣٧ .

(٢) حياة الرافعى ص ٤٩ .

" الثـــريا " تـــناول فيه شعراء عصره ، وخالف فيه العرف الأدبى ، فغير فى ترتيب الشعراء وجعلهم فى طبقات ثلاث :

* الطـــبقة الاولـــى : عبد المحسن الكاظمى ، والبارودى ، وحافظ إبراهيم ، والرافعى .

* الطـــبقة الثانـــية : إسماعيل صبرى ، وشوقى ، وخليل مطران ، ومحمـــد توفـــيق البكرى ، وداود عمون ، ونقولا رزق الله ، وأمير الحـــداد ، ومحمـــود واصـــف ، وشكيب أرسلان ، ومحمد هلال ، وحفنى ناصف .

* الطـــبقة الثالـــثة : أحمد الكاشف ، والمنفلوطى ، وأحمد محرم ، وإمام العبد ، والعربى ، وأحمد نسيم .

ونشر فى شهر مارس من السنة نفسها (١٠٩٥ م) مقالة فى المقتطف بمناسبة وفاة البارودى فى ذكراه الأولى قال فيـــها عنـــه : " إنـــه شـــاعر فحل مجود ، ضيق الفكر ، ضعيف الحيلة فى إبراز المعانى واختراعها [١] .. وقد كرر هذا الرأى الجرئ عن البارودى مرة ثانية عام ١٩١٦ م فى رسالة بعث إلى تلميذة " أبى رية " [٢] .

ولـــيس من شك فى أن مثل هذه الآراء تدل على ثقة الرافعى بنفسه ، وعلى تمكنه ومقدرته ، كما توقفنا على ثقافته الواسعة ، ولم يكـــن له أن يتصدى لمثل ذلك لولا تكوينه الثقافى الرحب ، ومعرفته

---

(١) المقتطف مارس ١٩٠٥ م .

(٢) انظر " من رسائل الرافعى " ٤٣ ص ٢ . دار المعارف .

المكينة ، وقدرته الواثقة ، تلك التى تجعله يتصدى لآراء جريئة ينأى عنها من يتقدمونه سنا وخيرة من أبناء عصره .

(٣) مؤلفاته العلمية والأدبية الجادة :

وهـى مـؤلفات عـالم باحث ، يديم النظر ، ويعمل الفكر ، ويكثـر التنقـيب ، عالم له عقلية نقدية متحركة ، تطمح إلى التفوق والسموق .

والمعـروف أنـه قـد صدر للرافعى ديوان النظرات عام ١٩٠٨ م . والعجـيب أنه قد صدر له ــ وهو فى الثلاثين ــ الجزء الأول مـن كتابه (تاريخ آداب العرب) عام ١٩١١ م ، وهو كتاب علمـى جـاد ، فيه جهد ونفاذ بصيرة ، وإحاطة ومنهاج ، كما أنـه يـعد تجديدا فى الدراسات الأدبية ، وعملا جديدا فى التأليف الأدبى ، فالرافعى نفسه هـو الـذى وضع منهجه ، وحرر خطته ، وجمع مادتـه ، وافتـتن فـى إخراجه . والذى لاشك فيه أنه لولا ما كان للرافعـى مـن ثقافة واسعة لمـا كان باستطاعتـه أن يؤلف مثـل هـذا العمـل العلمى الجاد ، الذى استقبله المجتمع العلمى فى مصر اسـتقبالا ممـتازا ، فأثنى عليه الأدباء ، وكتب عنه المبرزون مـن النقاد .

وفضلا عما صدر للرافعى من مطبوعات [١] فإنه ينفرد دون غيره بأمرين : الأول بما له من أعمال مخطوطة [٢] ، وشعر مبثوث فى الصحف والمجلات . والثانى بما له من رسائل ومقالات ، وأعمال علمية كاملة ، كتبها بخط يده وأودعها عند غيره ليضع عليها اسمه [٣] ، هذا بالإضافة إلى أفكاره وآرائه التى انتحلها الناس ، ولا سيما الأفكار الدينية الإسلامية .

ولعل أظهر ما يوقفنا على ثقافة الرافعى الواسعة والتى خرجت عن حدود معرفة الأدب العربى إلى الفكر العالمى تلك الرسالة التى أرسلها الرافعى عام ١٩١٢ م إلى تلميذه أبى رية ، والتى تحث الطالب على ألا يدع القراءة ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وهى رسالة توقفنا على أستاذية الرافعى ، كما توقفنا على جانب من جوانب تكوينه الثقافى والأدبى [٤] .

---

(١) له فى مجال الشعر سوى دواوينه التى ذكرناها " النشيد المصرى الوطنى ١٩٢١ م " . وله فى مجال النثر غير كتابه " تاريخ آداب العرب " : " إعجاز القرآن ١٩١٢ م وهو الجزء الثانى من تاريخ آداب العرب فى طبعته الثانية ، و " حديث القمر " ١٩١٢ م و " المساكين " ١٩١٧ م ، و " رسائل الأحزان " ١٩٢٤ م ، و " السحاب الأحمر " ١٩٢٤ م ، و " تحت راية القرآن " ١٩٢٦ م ، و " أوراق الورد " ١٩٣٠ م ، و " على السفور " ١٩٣٠ ، و " وحى القلم بأجزائه الثلاثة .

(٢) انظر " من رسائل الرافعى " ص ٢٢٥ ، ٢٨٢ . وانظر كذلك " الأخبار " (مصر) فى يوم الجمعة ، الأول من أبريل سنة ١٩٨٦ م .

(٣) انظر " من رسائل الرافعى " ص ١٠٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٢١ ، ٢٢ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ .

أدب الرافعى :

أدب الرافعى أدب معبر عن صاحبه وعالمه ، وما يجيش به وجدانه ، وذلك الأدب ينظم الحياة التى عاشها الرافعى ، ويعبر عن نفسه وعصره تعبيرا رفيعا خاصا .

وأدب الرافعـــى وإن اختلف النقاد والدارسون حوله فإنه يعد صـــوتا قـــويا للأصـــالة والتجديد القائم على فهم القديم ، وقد أجمع الباحثون على أن معارك الرافعى الأدبية كان لها أثر بالغ فى تنشيط الحياة الثقافية وإيجاد جو من الحرية والنقاش .

يقول الدكتور عبد العزيز المقالح عن أدب الرافعى :

" والأعجـــب أن طـــه حسين والعقاد وغيرهما قد نصبوا من أنفسهم سدنة للجديد ، وأنصارا للتجديد ، فى الوقت الذى سعوا بكل ما ملكوا من شهرة أدبية أن ينصبوا من الرافعى صنما للتقاليد ، وداعية للتقييد والجمـــود وهـــو ما كان إلا داعية للتحول وهادما لصروح الجمود ، ولكـــن من داخل التراث ومن قلب الثقافة العربية ، وبعد أن اتسعت معـــرفته بهـــذا التراث واستوعب أصوله وأدواته ، حتى لم يفته منه شاردة ولا واردة ، وكان له بعد ذلك حق الاجتهاد والتنظير للجديـــد فقـــط ، صـــار بحـــق أحد أئمة اللغة ، وأجل أساتذتها فى العصـــر الحديث [1] .

---

(١) عمالقة عند مطلع القرن ص ١٥٣ . دار الآداب بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م .

والحق أنه من الصعب على أى باحث أن يحيط بأدب الرافعى وأن يقسمه إلى أقسام ، أو أن يتحدث عنه حديثا موسعا شاملا ، لذا فإننا سنختار شعر الرافعى ونربطه به من جهة ، وبالعصر من جهة أخرى ، ولا يؤثر فى بحثنا هذا أن هناك دراسات ــ تختلف كثرة وقلة ، واتجاها ومنهاجا ، قد اهتمت بأدب الرافعى [١] ، فالحال أن الكثير من هذه الدراسات لم يهتم بالدور الذى اضطلع به (الرافعى الشاعر) ولم يتتبع أحد من الباحثين ذلك الدور تتبعا دقيقا ، ولم يعرضه أحد عرضا يلتزم بالموضوعية إلا فيما ندر ، وكثير من المعادين للرجل المخالفين له الذين يقفون منه موقفا مضادا ، يلتزمون بالظلم فى دراستهم لدوره ، وينظرون إليه بعين البغض ، ويسعون للطعن عليه ورميه بكل نقيصة .

وقد كتب الرافعى عدة مقالات ضمنها كتابه (السحاب الأحمر) ومنها مقال عنوانه : (الصغيران) والذى يصور فيه حب الأم لأولادها ، ومدى إعجابه بهذا الحب ، وقد سيطرت على الكاتب فى النص عاطفة الإشفاق والعطف ممتزجة بالحزن والأسى .

ومن هذا النص يقول :

" ... يا من لا إله إلا هو .. من سواك لهاتين النملتين فى جنح هذا الليل الذى يشبه نقطة من غضبك ؟

---

(١) انظر : مصطفى صادق الرافعى أديبا إسلاميا ، د/ إبراهيم عوضين .

لقــد أخرجتهما فى هذا الضياع مخرج أصغر موعظة للعين تنــبه أكبــر حقيقة فى القلب ، وعرضت منهما للإنسانية صورة لو وفق مخلوق عبقرى فرسمها لجذب إليها كل أحزان النفس ، صورة الحــب يمشــى متســاندا إلــى صدر الرحمة فى طريق المصادفة المجهولة من أوله إلى آخره ، وعليهما ذل اليتم من الأهل ، ومسكنة الضياع بين الناس ، وظلام الطبيعة وكآبتها .

رأيت الطفلة وقد تنبهت فيها لأخيها الصغير غريزة أم كاملة ، فهى تشد على يده بيديها معا ، كأنها مذ علمت أنها ضائعة تحاول أن تطمئن أخاها إلى أنه معها ، ولن يضيع وهو معها — فيا لرحمة الله .

وقــد أســندت منكبه إلى صدرها وهى تمشى ، فلا أدرى إن كان ذلك لتحمل عنه بعض تعبه فلا يتساقط ، أو ليكون بها أكبر من جســمه الضئيل فلا يخاف ، أو لأنها حين لم تستطع أن تفهمه ما فى قلــبها بلغة اللسان ، أفاضته على جسمه بلغة اللمس ، أولا هذا ولا ذاك ، إنمــا هــى تستمد من رجولته الصغيرة حماية لأنوثتها بوحى الطبيعة التى رسخت فيها " .

فهذا النص من مقال اجتماعى طويل يوازن فيه الرافعى بين حــب الأم وحب العاشقين ، وقد عرض فيه موضوعا اجتماعيا وهو ضياع طفلين من أهلهما ، وحيرتهما وخوفهما ، وقد اتخذ الكاتب من

هـــذا الحـــدث منطلقا ليثبت من خلاله أن حب الأم هو أقوى ألوان الحب وأبقاها وأدومها من الحياة .

والحقـــيقة أن هـــذا النص قد تحقق فيه الكثير من خصائص أســـلوب الشـــعر ، حـــيث الدقة فى اختيار الألفاظ الموحية ، وقوة العاطفـــة وصدقها ، والصور الخيالية الرائعة ، والجمل الموسيقية ، والخيال الكلى والجزئى .

والـــنص يشـــير إلى الاتجاه الأدبى الذى يسير عليه الكاتب ، وهـــو الاتجاه المحافظ ، ذلك الذى يميل أصحابه إلى الثقافة العربية الأصـــيلة ، وإحياء التراث ، والتأثر بأساليب القدماء ، والتأثر كذلك بالثقافة الدينية . كما أنه يشير إلى إنسانية الرافعى ، تلك النزعة التى جعلته يخوض فى تجارب أدبية جريئة شعرية كانت أم نثرية .

يقول الدكتور / أحمد الحوفى عن شاعرية الرافعى :

" يتجلـــى لمن يتتبع حياة الرافعى ويدرس شعره ونثره أنه لم يكـــن شاعرا فى قالب إنسان ، بل كان إنسانا فى قالب شاعر ، لأن الشاعرية قوامه وكيانه (١) .

---

(١) أضواء على الأدب الحديث ص ١٩٣ . دار المعارف ، مصر .

ثالثـا : المقـالة النقديـة

اخـتلفت وجهـات نظر النقاد والدارسين حول مفهوم المقالة النقدية ، ففريق يراها تلك المقالة التى تقنن للمسائل الأدبية ، وتضع للقضـايا الأدبـية والـنقدية ضوابط ومفاهيم ، وأصحاب هذا النهج يدققون فى النص المنقود ، لأن النقد عندهم علم قائم على قيم علمية نقدية .

وفريق آخر يراها المقالة التى يسعى بها كاتبها إلى إبانة رؤاه فـى مسألة أدبية ، أو ما يقبله ذوقه أو يمجه فى نص إبداعى ، كل ذلك فى أسلوب فنى متدفق لا يشوهه جفاف الحقائق العلمية .

على حين يطلق آخرون المقالة النقدية على المقالة التى تعالج قضـايا مخـتلفة : اجتماعية ، وسياسية ، وأدبية وغيرها ، ومن هنا تخـتلط الألـوان المقالية فى ظل هذه التسمية ، ولا يعرف النقد فى الأدب من سواه .

والـذى نعنيه بالنقد هنا هو ما يكتبه المقاليون من نقد للإبداع الأدبـى أو لـبعض آراء ومفهومات الأدباء ، وأساليب تعبيرهم فى أعمـالهم الأدبـية ، أو فى قضايا الأدب بعامة ، وما يصطرع حول ذلك مما يسمى (بالمعارك الأدبية) التى تتصل بقضايا الأدب والنقد والثقافة .

والمقالـة النقدية بهذا المفهوم كثيرة ومتوافرة ، وهى تحظى بالنصـيب الأوفر فى الأدب المقالى ، وقد أفردت لها مجلات خاصة

أسـبوعية أو شـهرية ، بيد أنها تختلف باختلاف مرجعية الكتاب ، فبعضـهم يعتمد على المنهج التاريخى ، وبعضهم يعتمد على المنهج النفسـى ، والـبعض الآخر يتكئ على المنهج الواقعى ، بينما يلوذ الآخـرون بالمـنهج الرومانسـى ، وسعى آخرون إلى التعبير عن مدرسة نقدية بعينها ، وهكذا .

خصائص المقالة النقديـة :

ظهـر فى أدب المقالة النقدية ميل كبير إلى فهم ما تضطرب بـه حـياة كـتابها من أحداث ومؤثرات ، وقد أخلص أصحاب هذه المقـالات لها ، لأنهم رأوا أن مهمتهم فى الحياة هى التقويم والنقد ، فهـم يعـتقدون أن وظـيفة الأديـب لا تقـل عـن وظيفة المصلح الاجدتماعى .

وهذا إجمال لخصائص المقالة النقدية :

١ ـ قد تتضمن المقالة النقدية جوانب إبداعية .

٢ ـ المقالة النقدية تكتب للمتخصصين ، ومن ثم فهى تتسم بالاهتمام بوضوح الأفكار ، وقوة الصياغة ، واختيار الألفاظ .

٣ ـ تهتم المقالة النقدية ببيان وظيفة الأدب ، وتوضيح مكانة الأدباء فـى المجتمع ، ودورهم فى الرقى به إلى ما يحملونه من قيم ، وما يحلمون به من مثاليات .

٤ ـ ظهـرت فـى المقالـة عند البعض دعوة إلى واقعية الأدب ، بمعنى أن يكون الأدب قريباً من الحقائق .

٥ ـــ تـتطلب المقالـــة الـــنقدية من صاحبها أن يكون محيطا بفنون الأدب المخـــتلفة ، وأن يكـــون لديه حس قوى لتقديرها حق قدرها ، هذا فضلا عن الثقافة الواسعة والاستخدام الجيد للغة .

٦ ـــ تعـــتمد المقالـــة النقدية على التذوق الأدبى [١] ، كما تعمد على وضوح عاطفة الناقد .

٧ ـــ هذا فضلا عن الطبع ، والعفوية ، وامتلاك أدوات الكتابة .

كتابهـــا

وينبغـــى أن نقول قبل أن نختم الحديث عن المقالة النقدية إن هـــذه المقالـــة قد اتسعت آفاقها فى العصر الحديث لتوفى باحتياجات الأدب والأدبـــاء ، فظهرت مقالات متعددة ذات موضوعات متفرقة ومتشـــعبة تشـــعب فروع الأدب وموضوعاته واتساعها ، ولاعجب فالقضايا الأدبية كثيرة ومتشعبة .

ومن أشهر كتاب هذه المقالة : أحمد أمين ، وأحمد الشايب ، فـــى (الأسلوب) وهيكل فى (أوقات الفراغ) ، وعبد الحميد حسن فـــى (الأصول الفنية للأدب) وطه حسين فى (حديث الأربعاء) ، وعـــباس محمـــود العقاد فى (ساعات بين الكتب) ، وإبراهيم عبد القـــادر المازنى فى (حصـــاد الهشيـــم) ومحمد حسن عواد [٢] فى

---

(١) انظر : أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد الأدبى ، د / محمد رجب البيومى ، ص ٣٤ وما بعدها .

(٢) أديب سعودى ولد عام ١٩٠٢ م .

(خواطــر مصــرحة) ، فقد كتب كل هؤلاء وغيرهم عن " رسالة الأدب " وعــن " الفــن للفن والفن للحياة " ، كما كتبوا عن " التقليد والتجديــد فى الأدب " ، وكتبــوا " عن الشكل والمضمون " ، وعن " الأســلوب " ، وغير ذلك مما يتصل بالأدب بصلة مباشرة أو غير مباشرة .

ومما يلاحظ على كتاب هذا اللون أنهم فى غالبيتهم يمارسون الــنظم إلــى جانب كتابة المقال ، كما يلاحظ أن جل مقالاتهم تعنى برصــف الكلام وتنسيقه ، كما تعنى بضجيج الألفاظ ، وليس بخاف على أحد مقالات الدكتور طه حسين ، والعقاد ، والمازنى ، تلك التى ملأت صفحات الصحف والجرائد فى أيامهم .

يقــول محمد حسن عواد فى مقال بعنوان " تحليل ولى الدين يكــن : " إعجابــى بالكتبة العصريين أو الكرام الكاتبين يكاد يكون منحصرا فى أمثال ولى الدين يكن ، والمنفلوطى ، وأمين الريحانى ، والعقــاد ، والآنسة مى ، وسلامة موسى ، وهيكل ، والمازنى ، من الكتــبة الأحــرار. وهــؤلاء مع الرابطة القلمية : جبران ، نعيمة ، عريضة ، أبى ماضى ، .. إلخ ، كما أن إعجابى بالشعر الكلاسيكى العصرى أعنى النوع المعروف بالشعر الهندسى منحصر تقريبا فى شــعر الأول مــن هؤلاء ، وشعر بشارة الخورى ، وفؤاد الخطيب وآخرين لا أتذكرهم الآن . هؤلاء هم الشعراء الأحرار . سقيا لقلمك يا ولى الدين ، لولى الدين يكن بأدبه العام نفسيات ثلاث :ولى الدين

الشاعر المبتكر ، ولى الدين الكاتب المفكر ، ولى الدين الناقد الحر ، فـــى أســـلوب هـــذا الكاتب الشاعر النابغة رنة موسيقية تقيم الأنفس وتقعدها ، مصوبة بها ومصعدة إلى الحقيقة لا إلى الخيال ، إلى فكر حـــى لامع ثمين ، كالجوهر فى أطباق الصدف ... الكاتب الجبان ، والكاتـــب الخيالى الصرف ، والكاتب الذليل النفس ، عقبات فى نمو الكـــتابة العصرية .. فى قلم ولى الدين كاتبا وشاعرا – وفى أفكاره الحرة تجد العبقرية والنبوغ .. [١] " .

هـــذه هى المقالة النقدية ، وهذا هو الجهد الكبير الذى قام به أدباؤنـــا ونقادنـــا المحدثـــون حـــيالها ، من حيث الرأى ، والذوق ، والانطباع الذاتى عن العمل الأدبى وآثاره فى نفس الناقد ، والعاطفة، والخلـــق الفنـــى ، والـــتجارب الشعرية ، والشعر والفكر ، والشعر والفلسفة ، هذا فضلا عن النظريات النقدية وأثرها [٢] .

ونختم هذا المبحث بجزء من مقال للأستاذ / مصطفى صادق الرافعى تحت عنوان : (نقد الشعر وفلسفته) يقول فيه :

" فأمـــا الكـــلام فى فن الشـــعر ، فالمراد بالشعر – أى نظم الكلام – وهو فى رأينا التأثير فى النفس لا غير ، والفن كله إنما هو هـــذا التأثيـــر ، والاحتـــيال على رجة النفس له ، واهتزازها بألفاظ

---

(١) خواطر مصرحة ص ٦٤ . مطبعة المدنى ، الطبعة الثانية ١٩٦١ م .

(٢) انظر : عباس العقاد ناقدا ، عبد الحى دياب . الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٥هـــ ١٩٦٥م.

الشعر ووزنه ، وإدارة معانيه ، وطريقة تأديتها إلى النفس ، وتأليف مادة الشعور من كل ذلك تأليفا متلائما مستويا فى نسجه ، لا يقع فيه تفـاوت ولا اخـتلال ، ولا يحمل عليه تعسف ولا استكراه ، فيأتى الشـعر من دقته وتركيبه الحى ، ونسقه الطبيعى ، كأنما يقرع على القلب الإنسانى ليفتح لمعانيه إلى الروح .

والشـعر العربـى إذا تمـت له صناعته ، ووسائل التأثير ، وأحكم من كل جهاته ، كان أسمى شعر غنائى ، فتراه يطرد بألفاظه الجمـيلة السـائغة ، وكأنـه لا يحمل فيها معانى بل يحمل حركات عصبية ، ليس بينها وبين أن تنساب فى الدم حائل ، فما يكون إلا أن يغمرك بالطرب ، ويهزك من أعماق النفس ، ويورد عليك من نغمة الـروح ما إن تدبرته فى نفسك ، وأفصحت عنه شعورك رأيته فى حقيقـته وجها من نسيان الحياة الأرضية ، والانتقال إلى حياة أخرى مـن السـرور والاهتياج والألم ، والشجو ، يحياها الدم الثائر وحده غير مشارك فيها إلا من القلب .. [١] .

---

(١) الرافعى ، وحى القلم : الجزء الثالث .

من أشهر كتاب المقالة الأدبية النقدية
فى المملكة العربية السعودية
" محمد حسن عواد "

مولده ونشأته :

محمد حسن عواد من الرعيل الأول السباقين إلى نظم الشعر، كما أنه يعد من طلائع المجددين فى ميدان الأدب بالحجاز . وقد ولد بمديـــنة جدة سنة ١٣٢٠ هـــ / ١٩٢٠م وبها نشأ ودرس ، ثم ألحقه والده بمدرسة الفلاح تلك التى هيأت للبلاد خيرة الرجال والمثقفين ، وخـــريجو هـــذه المدرســـة هم العلماء الذين اعتمدت عليهم المملكة العـــربية السعودية فى نهضتها ، وهم الرعيل الأول الذى حمل على عاتقـــه عـــبء النهضـــة الفكـــرية والأدبية وأذاعها فى طول البلاد وعرضها [١].

وحـــين تخرج العواد من مدرسة الفلاح اشتغل بالتدريس ، ثم الـــتحق بـــبعض الأعمـــال الحكومية ، كما أسهم فى تحرير بعض الصحف ، ورأس تحرير جريدة " صوت الحجاز " ثم عمل بعد ذلك فـــى بعض الأعمال الحرة ، وعين فى آخر حياته مديرا لنادى جدة الأدبى ، وتوفى سنة ١٤٠١ هـــ .

مؤلفـــاته :

---

(١) راجع : " مجلة المنهل " ، ـــ عدد الأدباء .

يعـد الأديـب محمـد حسن عواد من الذين خدموا الفكر فى المملكـة العـربية السـعودية ، وله إسهامات جيدة فى ميدان الشعر والنثر ، وله فى هذا وذاك مؤلفات متعددة ،ومن دواوينه الشعرية :

١ – آماس وأطلاس . ٢ – البراعم أو بقايا الآماس .

٣ – رؤى " أبولون " . ٤ – الساحر العظيم .

٥ – فى الأفق الملتهب . ٦ – نحو كيان جديد .

كمـا أن له مؤلفات نثرية متعددة ضمت فى مجموعات ، وله مـؤلفات أخـرى لم تحوها مجموعاته النثرية : " تأملات فى الأدب والحياة " و " خواطر مصرحة " و " سليمـان بـن عبد الملك " و " محـرر العبـيد " و " من وحى الحياة العامة " و " موسيقى الشعر الخارجية " .

يضاف إلى ذلك أنه مثل بلاده فى عدد من المؤتمرات الأدبية فـى العـالم العربى ، وقام بإذاعة أحاديث ثقافية وأدبية فى الإذاعة السـعودية ، وقد صدرت هذه الأحاديث مع مقالات أخرى فى كتب مستقلة هى على الترتيب : " نحو كيان جديد " و " تأملات فى الأدب والحياة " و " من وحى الحياة العامة " .

نتاجه الأدبى :

يعـد العـواد الأديب الابتداعى الأول من بين شعراء الحجاز المعاصرين ، وهو من الشعراء الموهوبين المحسنين على الرغم من إكثاره ، وهو يماثل الصبان أبا النهضة الأدبية الحجازية فى رصانة

الديباجة وتميز الشخصية ، وقد نفث بأفكاره في أشعاره ، وبث فيها روح الشباب والقوة ، ودفع بآرائه الجريئة مجموعة من الشباب على اقتحام ميدان الشعر والتفوق فيه [١] .

وهـــو فى مقدمة شعراء الحجاز ، كما أنه من عمد المدرسة الحديـــثة فـــى الشعر الحجازى ، ويعد هو والشاعر / حمزة شحاته كفرسى رهان فى ميدان النتاج الشعرى الجيد ، ولهما من الشهرة ما لهمـــا ، ولهمـــا فى الشعر أستاذية على كثير من الأدباء والشعراء ، وكـــل منهما صاحب مدرسة فى التجديد الشعرى والأدبى ، وشعره يتســـم بالرصـــانة والجـــزالة ، وتميز الشخصية ، كما أنه ذو ألوان ومعظمه رومانتيكى .

وللعواد قصائد فى غاية الجودة والإبداع والأصالة والموهبة ، فهـــو شـــاعر بطبعه وفطرته ، ومع ذلك فلا يسلم شعره من النقد ، شـــأنه فى ذلك شأن الشعراء الفحول . ورسالة الشعر عنده إنما هى إنمـــاء ثـــروة الحياة فى النفوس ، وشرح حقيقة الجمال ، والصعود بالإنســـانية وبالفكر الإنسانى إلى أفق سام من آفاق الخلود ، ومقياس الشـــعر الصـــحيح أو الشـــعر الصـــادق عـــنده هو أن يغمر نفسك بالإعجاب ، ويحفزها إلى إفاضة الثناء على الشاعر حين تقرؤه [٢] .

---

(١) راجع : المرصاد ، للفلالى : ٢ / ٥٨ .

(٢) تأملات فى الأدب والحياة ، للعواد ، ص ٢٠ ، مطبعة العالم العربى ، القاهرة .
وراجع أيضا ديوانه :" اساس واطلاس " ص ٧ .

ويشـــرح العـــواد طريقته الفنية ، ومذهبه فى الأدب والفن والشعر وذلك فى أبيات قصيدته الطويلة " الساحر العظيم أو يذ الفن تحطـــم الأصـــنام " .. وممـــا هـــو معروف أن الشاعر قد نقد بهذه القصـــيدة الأدباء ، وفى نفس الوقت جعلها شرحا لرسالته فى وسط الأدباء والشعراء الحجازيين .

إنه يقول :

" إن الشاعر الصادق يتزود بزاد الشاعرية وهو الخيال الحى الـــذى يجـــنح الشـــعور النفسى والتفكير الفنى بأجنحة تسمو به إلى الأولمـــب وقـــتما يشـــاء ، ولكنها لا تقطع الصلة بينه وبين كوكب الأرض متـــى كان من القدرة الشاعرة بحيث يستطيع ضبط الموازنة فى التجوال بين العالمين [1] .

ولغـــة شـــعر العواد حسنة فى جملتها ، وقد تخلص فيها من الضعف ومن تكلف المحسنات البديعية . ومع أنع لم يتح للعامية أن تجد طريقا رحبا إلى لغة شعره ، إلا أنه لم يستطع أن يرتفع بها كلية إلـــى مستوى من الجزالة كتلك التى نحسها فى شعر الشاعر / حمزه شحاته .

أمـــا أســـلوبه فإنه يتراوح بين القوة والضعف . ومع أنه دعا إلـــى هجـــر شعر المناسبات ، ودعا إلى الوحدة العضوية ، كما دعا إلى أن يتفاعل الشاعر مع مجتمعه ، لكننا نجده ينظم كثيرا فى شعر

---

(١) آماس وأطلاس ص ٦ .

المناسبات ، وتأتى قصائد له ليس بين أبياتها تماسك يحقق لها ما دعا إليه وهو الوحدة العضوية ، وخرجت قصائده هذه لا تختلف عن البناء التقليدى للقصيدة العربية .

وقد نظم العواد فى أغراض الشعر المألوفة فى عصره والشائعة عند شعراء زمانه ، فنظم فى الوصف ، والمدح ، والفخر ، والرثاء ، والغزل ، وما إلى ذلك . وله فى نفس الوقت قصائد تطرق فيها إلى نقد النظم الاجتماعية ، ومحاولة الإصلاح الاجتماعى والسياسى ، والدعوة إلى خلق مجتمع متطور يقف جنبا إلى جنب مع البلدان الراقية المتقدمة ، كما عبر عن تضامنه مع كفاح البلاد العربية ، وناصر قضايا الشعوب المستضعفة ، ودعا إلى السلام ، وهتف للحرية .

والواقع أن العواد مثلما كان شاعرا كان ناثرا ، بل إننا يمكننا أن نقول إنه يكاد يكون أول من أنشأ المقالة الأدبية فى الأدب السعودى الحديث ، وأول من كتب كذلك المقالة النقدية ، وقد أهاب بزملائه من الادباء : " أن يلقوا عنهم أردية الكسل وحب التقليد ، ويندفعوا إلى التجديد ، فهو غاية العصر المتحرر ، ومطلب الوطن والأخلاق " (١) .

يقول فى مقالة له : " إعجابى بالكتبة العصريين ، أو الكرام الكاتبين يكاد يكون منحصرا فى أمثال ولى الدين يكن ،

---

(١) خواطر مصرحة ، للعواد ، ص ٥١ .

والمنفلوطـــى ، وأمــين الريحانى ، والعقاد ، والآنسة مى ، وسلامة موسى ، وهيكل ، والمازنى من الكتبة الأحرار ... " (١) .

ويقــول النقاد عنه : إن عيب العواد أنه يعتز بكل ما يقوله ، قــويا كان أم ضعيفا . ومن ثم غاب عنه أن التجديد لا يكون بالكلام الــذى يملأ الجرائد والمجلات ، ولكنه يكون باستيعاب أكبر قدر من المعـــارف وخلاصات الفكر الإنسانى ، وغاب عنه أيضا أن التجديد ليس بهدم كل ما هو قديم ليبقى أطلالا ، ولكنه ببناء الأصلح والملائم للعصر وذوق العصر .

علـــى أن العواد كان يستخدم أسلوبا يتسم بالهجوم ، فقد هاجم الأدبـــاء ، كما هاجم العلماء ، ولم يفلت العامة من هجماته العنيفة ، وربمـــا أن الــذى جره إلى ذلك أنه أراد أن يكون صورة مثلى فلم يوفق فى أسلوبه من جانب ، كما لم يوفق فى تنكره لكل ما هو قديم من جانب آخر .

وأيـــا مـــا كـــان الأمر فقد أسهم العواد فـــى بعض الميادين العلمـــية ، كما أسهم فى ميدان القصة ، ونحن نراه ــ وبخاصة بعد أن تقــدمت ســنه ــ يستخدم الأسلوب الفكه الساخر ، وقد عدل عن ذلـــك أحـــيانا فجـــاء بألـــوان كتابية تتسم بالجد البعيد عـــن الهزل والضـــحك ، وأخذ يراعى مقتضى الحال ، والبلاغة التى تضع كل شئ فى مكانه المناسب .

---

(١) راجع المقال فى " خواطر مصرحة " للعواد ص ٦٤ .

<u>دعوته إلى التجديد :</u>

يعـد العواد من طلائع المجددين فى ميدان الأدب بالحجاز ، ولـيس مـن شـك فى أن عمله فى رقابة الكتب الواردة قد أتاح له فرصـة الاطلاع على الكتب القديمة والحديثة ، وإن كان تأثره بكتب المتأخـرين مـن عـرب وغربيين أكثر ، الأمر الذى جعله يعجب بالثقافة الغربية ويأخذ يدعو إليها بشكل أو بآخر .

وقـد أحـس العواد أن ما أثر عن العرب من شعر فى القديم والحـديث لـيس على الدرجة المرجوة ، وهو إلى حد ما يفتقر إلى الـبلاغة ، وإنمـا الشـعر فى نظره هو ذلك الذى ينظمه الغربيون ونصـارى الشام من المهجريين ، ومن ثم راح يدعو بحماس مفرط إلـى تخليص الشعر مما سماه بالقيود الثقيلة كالوزن والقافية . ودعا إلـى هجـر شـعر المناسـبات ، كما دعا إلى الوحدة العضوية فى القصـيدة العربية ، وأشار إلى أهمية تفاعل الشاعر مع مجتمعه عن طـريق الدعـوة إلى تجديد أوضاعه فى النظم والعادات والتقاليد ، ويكون كذلك فى رأيه باتباع عادات وتقاليد ونظم الشعوب المتحضرة الراقية .

ومن تلامذة العواد فى الدعوة إلى التجديد ، ومريديه الداعين إلـى مـبادئه الفكرية والأدبية : أحمد محمد جمال ، وأمين يحيى ، وعـبد العزيز ساب ، وعبد العزيز عطية ، وعبد السلام الساسى ، وعبد الفتاح أبـو مديـن ، ومحمد سعيد باعشـن صاحب صحيفـة

" أضـــواء " التـــى ظهرت فى ذى القعدة عام ١٣٧٦ هـــ ـــ يونيو ١٩٥٧ م ، وعبد العزيز الرفاعى ، ومحمود عارف وغيرهم .

وفـــى رأيى أن العواد حين حاول أن يغشى ميادين المذاهب الجديـــدة كـــان قـــد اتخـــذ من منهج مدرسة الديوان ـــ وعلى وجه الخصوص عباس محمود العقاد ـــ قدوة له فى بعض آرائه التى طلع بهـــا ، كما لا نغفل أنه قد تأثر أيما تأثر بشعراء المهجر ـــ وخاصة شعراء المهجر الشمالى ـــ ولا يخفى أنه قد جارى هؤلاء المهجريين فى تأييد الشعر الحر والمنثور ، وإن كان قد خالف العقاد فى ذلك .

وقد أخذ العواد يفسح المجال للتيارات الجديدة ، ومحاولة خلق التيار الرومانسى وفرضه على الأدب فرضا ، فهاجم من ثم الاتجاه الكلاســيكى سنة ١٩٢٦ م بمقال له عنوانه " الأدب فى الحجاز [١] ، وأخـــذ يتزعم الاتجاه الابتداعى فى الأدب ، وإن كان يأبى أن يجرد الوجدانـــية مـــن الـــتأمل والتفكيـــر [٢] حتى صار من أشهر شعراء الرومانسية فى المملكة العربية السعودية .

<u>فى ميزان النقد :</u>

الحقـــيقة أن العـــواد وإن كـــان قـــد اتخذ من نهج المذاهب الجديـــدة ـــ وبخاصـــة الرومانسية ـــ قدوة له ، ونظم فى ذلك شعرا

---

(١) راجع المقال فى " خواطر مصرحة " ص ٥٠ .

(٢) راجع : شعراء الحجاز المعاصرون ، عبد السلام الساسى ص ٢١ . دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٣٧٠ هـــ .

كثيـــرا ، فـــإن إجادته تتجلى أكثر عندما يقتدى بالمذهب الكلاسيكى الجديد .

ونحـــن مع ذلك كله حين ننظر فى دواوين العواد لنتبين مدى قدرتـــه علـــى تطبيق ما دعا إليه ونهض به ، فإننا نجد أنه لم يتمكن مـــن تطبـــيق ذلـــك كله فى شعره ، كل ما فى الأمر أنه أتى ببعض القصـــائد التـــى تخلومن الوزن والقافية ، وخرجت معظم قصائده لا تتحقق فيه ما دعا إليه من الوحدة العضوية ، وجاءت لا تختلف عن البناء التقليدى للقصيدة العربية .

إن ما غفل عنه العواد أنه لم يهذب شعره ، فله قصيدة بعنوان " نشـــيد عسكرى " [1] ، وهذه القصيدة تخلو كلية من مقومات النشيد مـــــن القـــوة والغنائية ، وقـــد نقد الفلالى بعض قصائده مثل " أنا والليـــل " [2] ، ونقد كذلك قصيدته " نجاة " تلك التى يحيى فيها ابنته فـــى لـــيلة ميلادها ولنقف مثلا عند هذه الأبيات من قصيدته " تحية العام الجديد " يقول :

أيها المشرق فـــى رأس الهرم ... أيها الناظر مـــن خلف السدم
أيها المحجوب فى الغيب الأصم ... هـــذه الدنيـــا هبوط وصعود
حى يا عام الورى فـــردا فـــردا ... فالتحيات لأهل الرضى أجدى
حيهم يا عام ما عـــن ذاك معدى ...لا تذر من سيد أو من مسود

---

(١) فى ديوانه " نحو كيان جديد " .
(٢) المرصاد : ٢ / ٦٠ ــ ٦٥ .

.... فأنـت لـو قرأت هذه الأبيات إلى آخر القصيدة لوجدت فيها غنائية ضعيفة ، كما أنك لا بد وأن تجد فيها روح الشاعر الثائر الـذى يـتطلع إلـى الـتجديد .. هذا فضلا عما فيها من عامية ، وضعف ، وابتذال . وما رأيك فى قوله : " فردا فردا " وقوله : " ما عن ذاك معدى " !

وأيـا مـا كان الأمر فإن ريادة الشاعر محمد حسن عواد فى مـيدان الأدب المجـرد أمر مسلم به ، رغم كل ما قيل فى شعره . وهو شاعر ذو صبغة ذهنية عميقة ، ولو كان للعواد غنائية الشعراء المبرزين فـى الغنائية كإبراهيم ناجى ، وعلى محمود طه ، لكان قد كتب لشعره أن يكون على ألسنة الجماهير عامة .

إن اعـتداد العـواد بشخصـيته ، وإحساسـه المفرط بوعيه الشـعرى ، ونرجسـيته ، كل ذلك جعله يعتد بنفسه ، ويتمثل أسباب العزة والمنعة ، بل ويندفع اندفاعا شديدا فى مقالاته النقدية ، لدرجة جعلته يسف فى بعض ألوان النقد الشخصى .

يقـول فـى مقالـة نقدية يعبر عـن مبادئه الكبرى التـى يـنهجها ، ومـن أبرزها الواقعية فى الادب ، والأدب مـن أجل الحياة :

" .. وهكذا ولد هذا الكتاب ، ومشى ونادى ، وانطلق العملاق من مكمنه ، انطلق الفكر الواقعى ، فأشاع سقوط الاتباعية والتقليد ، والارتـزاق بالأدب الذليل ، والزلفى بالميوعة والاستحذاء ، وصدع

برسالة الفن ، وبروح النقد ، وسما بالقيم ، وأيقظ الوعى الاجتماعى العام " [١] .

... هكذا كان العواد . ونحن لو عمدنا إلى موازنة يسيرة بينه وبـــين زملائه من الأدباء الذين عاصروه من خلال مقالاته المختلفة لتبين لنا كيف كان يفكر ، وكيف كان يكتب ، ثم كيف كان ينحو فى التجديد نحوا خاصا به غير متشابه .

إنـــه لا يـــتفق مع أولئك التقليديين الذين يعملون أذهانهم فى ســـبيل تزيين الأسلوب ، والإيقاع المفتعل ، ومن هنا كان تحامله فى نقده الأدبى والاجتماعى [٢] .

---

(١) مقدمة العواد للمجموعة الكاملة : ١ / ١٠ . وقد كتب هذه المقدمة عام ١٣٨٠ هـــ . (نقلا عن : المقالة فى الأدب السعودى ، د / محمد العوين : ١ / ١٢٦) .

(٢) انظر : الأدب الحديث تاريخ ودراسات ، د / محمد بن سعد بن حسين ، ص ٣٦٩ . مطابع الفرزدق ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٩٨٤ م .

رابعا : المقالة الوصفية

مفهومـــها :

وهــذه المقالة من النثر الأدبى الجميل ، ونعنى بها ذلك اللون المقالــى الــذى يعمد فيه الكاتب إلى تصوير ما يقع تحت حسه فى الحياة ، ويأخذ يلاحق ذلك كله بالوصف كى ينقل أثره فى نفسه .

وهذا هو التعريف العام للمقالة الوصفية ، وهو تعريف يبتعد بها عن أن تكون مقصورة على وصف الطبيعة ، ومظاهر الكون ، ومعالم الحياة .

على حين يذهب كثير من النقاد إلى تمييزها بغرض واحد أو غرضين اثنين ، بحيث لا يمنح كاتبها الحرية المطلقة فى وصف ما يريد ، بل يتناول مشهدا من مشاهد الحياة ، أو مجالا من مجالاتها ، فيصفه ويصوره لمن لم يره قبل .

والقيمة الحقيقية للمقالة الوصفية تقوم على " دقة الملاحظة ، وعلــى الــتعاطف العمــيق مع الطبيعة .. ثم على الوصف الرشيق المعبر الذى ينقل أحاسيس الكاتب وصورة الطبيعة كما تنعكس على مرآة نفسه بصدق وإخلاص " (١) .

---

(١) فن المقالة ، د / محمد يوسف نجم ، بتصرف ص ١١٤ .

وفى محاولة لتقسيم المقالة الوصفية [٢] حاول بعض الدارسين حصـــر أغـــراض هذه المقالة لكى يقسموها حسب هذه الأغراض ، وفـــاتهم أن مـــن الصـــعب بل من المستحيل فعل ذلك ، لأن فصل الأنـــواع الأدبـــية فصـــلا كـــاملا أمر يستحيل فى علم النقد الأدبى الرصين ، ذلك لأن الفنون متداخلة ومتصلة فى سياق الفن الواحد .

وهذه هى موضوعات المقالة الوصفية :

ـــ وصف الطبيعة ، من أودية ، وهضاب ، وجبال ، ومتنزهات ، وأحياء ، وغير ذلك من المشاهد .

ـــ وصف الرحلة .

ـــ وصف الذات .

ـــ وصف الغير .

ـــ وصف الصور المعنوية .

والحقيقة أن طبيعة المقالة الوصفية لا تصلح للأفكار العلمية ، ولا لـــلأداء الموضوعى الصرف ، فطبيعة هذه المقالة بموضوعاتها المذكـــورة قبل تتطلب استعدادا فنيا ، وتجربة صادقة عاشها الكاتب وتأثر بها وجدانه .

وممن برع فى هذا اللون المقالى فى الأدب المعاصر : أحمد أمين ، والعقاد ، والمازنى ، وميخائيل نعيمة ، وجبران خليل جبران

---

(٢) انظر : المقالـــة فى أدب العقاد ، د/ عبد القادر رزق الطويل ، ص ١٧٩ وما بعدها .

، وإيليا أبو ماضى ، والرافعى ، وأمين الريحانى ، والمنفلوطى ، وأحمد حسن الزيات ، ويحيى حقى ، وغيرهم .

فمن ينظر المقالات الوصفية لهؤلاء يجدها فى مجموعها مرآة تصف الحياة والطبيعة والأشياء كما رأوها . فمقالات المازنى الوصفية مثلا ترينا الحياة المصرية بمزاياها وعيوبها ، وتقاليدها ، وعاداتها ، وأوهامها وخيالاتها ، وأمثالها ، وألفاظها التقليدية ، وفكاهتها ، وتفاؤلها ، وتشاؤمها ، ومخاوفها ، وأمانيها .. الحياة المصرية بكل ما فيها منذ أواخر القرن الماضى إلى الحلقات الأولى من القرن العشرين [١] .

يقول يصف خريف العمر [٢] :

" متى جاء الخريف ، وبدأ المرء يشعر بأنه قد رأى خير ما كتب له فى عمره ، وأن ما تبقى من رحلته فى هذه الدنيا أشبه بأن يكون وجودا منه بأن يكون حياة استمرار ، ومجرد اندفاع فى الطريق الذى كانت تجرى فيه الحياة الأولى كما يجرى النازل من الترام خطوات إلى جانبه ..

عرف المرء أن أذنه التى كانت تثملها همسة الحب الخافتة لن تسمع بعد ذلك تلك اللغة العذبة ، وصار القلب الذى كان يطفر إذا

---

(١) أدب المازنى ، د / نعمات أحمد فؤاد ، ص ١٢٩ . نشر مكتبة الخنجى ، مصر .

(٢) الثقافة ، العدد ٦٠٤ ص ١٧ .

هـتف بالـنفس هاتـف من أمل ، أو طماح يخفق بلا احتفال ، ولا يخرج من دقه عن الانتظام .

وبـدأت الآمـال والرغائب التى كنا نعتز بها ونحرص عليها تفقـد حلاوتها ، وقوتها ، ونضارتها ، وتتعرى شجراتها من أوراقها وتجـف وتصفر ، وتتساقط على اليد ، ويطير النسـيم هنـا وهـا هنـا " .

ومـن يقرأ المقال يلاحظ أن الخريف عند الإنسان كالخريف فـى الطبيعة ، تتعرى فيه الأشجار من أوراقها ، وتأفل فيه الشمس عن سمائها ، فإذا التمستها فإنها لا تلبث أن تختفى من جديد ، وتلوذ الطـيور بأوكارها فلا خروج ولا غناء ، وهكذا تحتشم الطبيعة فى تصرفاتها كما يتئد الإنسان فى خريف العمر .

ومـن نمـاذج المقالة الوصفية ما قاله العقاد تحت عنوان : (جمال الطبيعة) [١] :

" وللطبـيعة سر مقترن بسر الحياة لست أتعرض له ، وفيها جانـب يتصـل بإحساسـنا ووعينا هو الذى أبحث فيه هنا ، ولست مستهديا فى البحث بالعلم الطبيعى وحده ، ولا بخيال الشاعر وحده ، ولكنـى أمـزج بيـنهما ، إذ لا غنى عن تدقيق العلم ، وعن سليقة الشـاعر معالم يود البحث فى أمر ينظم طرفاه بين عناصر الطبيعة وسرائر النفس الإنسانية " .

---

(١) انظر المقال فى : المؤيد ، بتاريخ ١٨ / ٥ / ١٩١٤ م .

ومـــن نماذجها كذلك ما كتبه الرافعى فى كتابه (وحى القلم) تحت عنوان : (موت أم) يصف فيها موت زوج صديقه الأستاذ / حسنين مخلوف ، يقول [١] :

" رجعـــت من الجنازة بعد أن غبرت قدمى ساعة فى الطريق التـــى ترابها تراب وأشعة ، وكانت فى النعش لؤلؤة آدمية محطمة ، هـــى زوج صديق طحطحتها الأمراض ، ففرقتها بين علل الموت . وكـــان قلـــبها يحييها ، فأخذ يهلكها ، حتى إذا دنا أن يقضى عليها ، رحمها الله فقضى فيها قضاءه ، ومن ذا الذى مات له مريض بالقلب ولـــم يره من قلبه فى علة كالعصفورة التى تهتلك تحت عينى ثعبان سلط عليها سموم عينيه .

كانـــت المســـكينة فى الخامسة والعشرين من سنها ، أما فى قلـــبها ففى الثمانين أو فوق ذلك ، هى فى سن الشباب ، وهو متهدم فى سن الموت .

وكانـــت فاضـــلة تقية صالحة ، لم تتعلم ولكن علمتها التقوى الفضـــيلة ، وأكمـــل النساء عندى ليست هى التى ملأت عينيها من الكـــتب ، فهى تنظر إلى الحياة نظرات تحل مشاكل وتخلق مشاكل ، ولكنها تلك التى تنظر إلى الدنيا بعين متلألئة بنور الإيمان ، تقرأ فى كـــل شـــيء معـــناه السماوى ، فتؤمن بأحزانها وأفراحها معا ، وما تعطى من يد خالقها رحمة معروفة أو رحمة مجهولة ، وهذه عندى

---

(١) وحى القلم : ٢ / ١٦٢ ، ١٦٣ . مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، الطبعة السادسة .

امـــرأة ... وتكـــون الزوجة ، ومعناها القوة المسعدة ، وتصير الأم ومعناها التكملة الإلهية لصغارها وزوجها ونفسها " .

<u>خصائص المقالة الوصفية :</u>

إن المقالـــة الوصفية تتطلب من كاتبها أن ينظر إلى مشاهداته علـــى أنهـــا رحلة حية ، أو تجربة إنسانية يتعرف فيها على أسرار الحـــياة ، ويســـتكنه فـــيها دقائقها وخفاياها ، ويلجأ إلى معالم الكون والطبيعة باثا شكواه ، ومعبرا عن ذاته ، وهذا بعينه هو الرومانسية الحالمة .

<u>ومن أهم خصائص المقالة الوصفية ما يلي :</u>

١ – رســـم لـــوحة نـــاطقـــة بالمشهد الموصوف وما يحيط به من بواعث .

٢ – استقصاء الصفات التى تحيط بالمشهد واستيفاؤها .

٣ – تجلـــية الصور بالبعد عن الحقيقة والجنوح إلى التأثير بالصور البيانية .

٤ – الاستعانة بالمحسنات البديعية التى تأتى عفوا .

٥ – العمق فى التفكيـــر .

٦ – الرقة فى الإحساس .

٧ – العاطفيةغير المسرفة .

وبالمـــوازنة بين أنواع المقالات السابقة وربط ذلك كله بميول الكاتب واتجاهاته الأدبية ، يمكن أن نلاحظ مايأتى :

أولا : من حيث الموضوعات :

– موضوعات الكتاب الرومانسيين هى الهروب إلى الطبيعة غالبا ، بينما موضوعات الكتاب الواقعيين تتجه إلى الواقع .

– إذا كـــان الكتاب الرومانسيون يستعينون بالرمز فى كتاباتهم ، فإن الوضوح هو السمة الغالبة عند الكتاب الواقعيين .

– بالـــغ الرومانسيون فى الحديث عن النفس ، وأحسوا بالوحدة فى كـــل أحوالها ، على حين التصق الواقعيون بالمجتمع ، وعبروا عن إحساسه الجماعى .

ثانيا : من حيث الأساليب :

– يتميـــز الكتاب الرومانسيون فى أساليبهم بالإغراق فى العاطفة ، بينما اعتد الكتاب الواقعيون بالعقل ، وغلبوه على جانب العاطفة .

– احـــتفل المقاليون الذاتيون بالشكل الفنى ، بينما مال الواقعيون إلى واقعية التعبير .

– لا يمـــيل الكتاب الذاتيون إلى المباشرة ، بينما الفكرة عند الكتاب الواقعيين هى الأساس ، فمبلغ التوفيق لديهم أن تصل إلى المتلقى فى سهولة ويسر .

ألوان مقاليـــــة أخرى

ونـــود هـــا هنا أن نستعرض عددا من المقالات المختلفة عن الألـــوان التى سبق أن ذكرناها ، لعل فى ذلك استكمالا للصورة التى

نــود رســمها أمــام القارئ ، وهذا يقضى بنا إلى إيراد بقية ألوان المقالات التى صال وجال فيها الكتاب .

ومن هذه المقالات :

(١) المقالة السياسية :

وقــد ظهــرت هذه المقالة فى الربع الأخير من القرن التاسع عشــر المــيلادى ، وهـــى الفترة التى كانت تؤلف فى تاريخ الدول العربية بداية لمرحلة طويلة يصح لنا أن نصفها بمرحلة اليقظة ، أو مرحلة اليأس على السواء :

مــرحلة الــيقظة لأنها كانت بداية الطريق فى تقويض دعائم الاســتعمار ، والإتــيان عليه من أساسه ، وقد تحقق ذلك بفضل نفر مـــن الوطنيين تحولت الكتابة على أيديهم إلى أسلحة ذات أثر فعال ، فأخذوا يكتبون مقالات طليقة كانت فيما نرى نقطة انطلاق فى تغيير المفاهيم السياسية ومولد الشعور بالقومية العربية .

والكــتاب فى هذا اللون من المقال يعبرون عن شعور الشعب بالاستياء من المحتل الأجنبى ، ولذلك أحست الأمة بكرامتها وكيانها واستشعرت بسبب هذه المقالات الثقة فى نفسها ، وأخذت تتطلع إلى عهــد جديد تتخلص فيه من سيطرة الأوربيين ونفوذهم ، وتسترد فيه حقوقها الضائعة .

وتتميـــز هـــذه المقالة بجدتها ، وقصر عباراتها ، ومواكبتها للحـــياة بما يصطرع فيها من تيارات مضطربة ، كما تتميز بأسلوبها الخالى من التكلف المعتمد على الوضوح والدقة والإمتاع .

ويمـــثل هـــذا النوع : جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، وعـــبد الله الـــنديم ، ومصطفى كامل ، وسعد زغلول ، والمازنى ، وغيـــرهم ، فكـــان لهـــم جميعا فضل بين فى بروز المقالة السياسية وازدهارها ، وشغلها لأكثر صفحات الصحف فى عهدهم .

يقول عبد الله النديم فيما أسماه (وصية وطنية) [١] :

" أى بنـــى مصـــر . مـــا أصـــدق الأحلام عند أهل السرائر الطاهرة ، وما أحسن التعبير عنها من الخبير بها ، وقد كنا فى نومة خيم الظلم فيها على قلوبنا وعلى أسماعنا ، وألبس الاستبداد بصائرنا غشاوة لا نبصر معها حقيقة ولا نعرف حقا .

وكانت أرواحنا فى كهف الخوف تسرح فى ظلمة لا نور فيها وتجـــول فى مضيق لا باب له ، فكان يحدث عنا من يمر بنا حديثه عـــن الأمـــوات ويقول لسائله : هم العمد المتحركة بإرادة مالكها ، تـــراهم يـــنطقون ولكن بلسان العبودية ، ويمشون ولكن فى طريق الاســـتبداد ، ويخضـــعون ولكن لسيف الإذلال ، تظنهم أحرارا وهم عبـــيد ، وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ، يجتمع اللفيف منهم بالإشارة ،

---

(١) المذكرات الوطنية : ص ١١٥ وما عبدها ، عن كتاب : النديم الأديب ، د / محمد السعدى فرهود ، ص ٧٢ وما بعدها .

ويتفرق الجيش بالإيماء ، إن طلبوا حقا ظلموا ، وإن دافعوا عن مال أبعـــدوا ، وإن اشـــتكوا حاكما سجنوا ، يكسبون الكثير من النقد وهم فقراء ، ويصنعون الثياب وهم حفاة عراة ، لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، ولا حياة ولا نشورا ... " .

فالـــنديم يـــتحدث عن المصريين فى وصيته حديثا سياسيا ، وأوضـــح ما كانوا فيه من ذل ومهانة ، واستسلام وقنوط ، وحرمان ويأس ، وما إلى ذلك من واقع أليم .

خصائص المقالة السياسية :

- تتميز المقالة السياسية بقصر عباراتها وارتفاع صوتها .
- تعتمد على الأسلوب السهل الخالى من التعقيد .
- المزاوجة بين العاطفة المتأججة والعقل الهادئ المتزن.
- تتوج المقالة السياسية ببلاغة العبارة ، وقوة الألفاظ ، وحسن الجرس .
- تعكس الوطنية الصادقة التى لدى الكتاب .
- المقالة السياسية وثيقة الصلة بأدب الوجدان .
- لها أثر بالغ فى إيقاظ الروح الوطنية .
- أســـلوبها مـــثال الوضوح الناشئ عن دقة الكلمات ، وسهولة التراكيب ، وتواصل الفقرات .
- المقالة السياسية هى من أزهى ألوان المقالة الصحفية وأشدها خطرا .

- العــنف واللهجة الحماسية ، وقد تمثل هذا بصفة خاصة عند العقاد حتى فى كل أغراض الفن المقالى عنده ، فهو كما يقول الدكتور / محمد يوسف نجم : " العقــاد كاتب متجهم القــلم ذو طبــيعة حديـــة ، يكتب كمن يحمل أعبـــاء التاريخ على كاهله .. (١) " .
- كثيــرا مـــا تعــتمد علـــى الطرق والدراسة القانونية كوسيلة للمنطقـــية وتـــرتيب المعانى ، كما كان الحال عند الكاتب / محمد حسين هيكل (٢) .

(٢) المقالة الدينية :

لعــل المقالـــة الدينية هى التى احتلت مقام السيادة بين سائر ألوان المقالات ، لسبب جوهرى وهو أن الدين الإسلامى هو العقيدة الرسمية للبلاد العربية ، والعاطفة الدينية هى التى أمدت الكتاب بذلك الفيض الزاخر من المقالات . وهذه العاطفة لها من القوة فى عصرنا الحاضر ما لها ، لدرجة أن المفكرين لم يستطيعوا فى البداية إحداث تأثير سياسى فى الناس إلا عن طريقها .

---

(١) فن المقالة : ص ٨٥ .

(٢) انظر : محمد حســين هيــكل الأديب السياسى المؤرخ ورائد الكتابة فى السيرة الذاتية د . محمد رجب البيومى ، ص ٤٥ ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـــ ٢٠٠١م .

والمقالة الدينية هى الموضوع الرئيس فى كل الطوار ، ولها الصدارة فى كل الصحف والمجلات ، وهذا يحمل الكتاب مسئولية عظيمة تجاه الدين الإسلامى من جهة وتجاه العالم الإسلامى من جهة أخرى .

ونحن إذا ما استعرضنا هذا الفيض الزاخر من المقالات الدينية فى عصرنا الحديث وجدناها تدور حول العقيدة وشرحها ، وتدور كذلك حول بيان مزايا الدين الإسلامى ، وتمجيد البطولات الإسلامية . هذا بالإضافة إلى مشاركتها الإيجابية فى علاج المجتمع ، وكان هذا دون شك بفضل ما كتبه الشيخان : جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، وما بذلاه من جهد فى نشر الوعى الإسلامى ، وإظهار حقائق الإسلام بمظهر جديد ، وقد آمن الرجلان بهذه المهمة إيمانهما بالله سبحانه وتعالى ، حتى لقيا فى سبيل ذلك ما لقيا من سجن ونفى وتشريد [١] .

ويهتم صاحب المقال الدينى بإبراز العاطفة الدينية نحو أمر يتصل بالعقيدة أو يمس قضايا المجتمع ، فتكون هذه المقالة بمثابة إعلان عن رأى الكاتب فى الاعتقاد ، أو العبادات ، أو المعاملات ، أو الآداب العامة ، أوما إلى ذلك .

---

(١) انظر : العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث ، د / سعد الدين الجيزاوى ص ٢٥٧ . المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، القاهرة .

هذا وينبغى أن نشير إلى أن الملامح الأدبية تختلف فى المقالة الدينـــية باختلاف الكاتب ، من حيث إيثاره للأسلوب الأدبى الرقيق ، أو خلوه من صبغات الكتابة الفنية ، وإخلاصه للفكرة دون سواها .

ولقـــد نمـــت هـــذه المقالة فى مصر وازدهرت حين صدرت بعض المجلات الدينية المتخصصة مثل : (نور الإسلام) و (مجلة الأزهـــر) و (الهـــدى النـــبوى) وأمـــثالها . غير أننا نجد المقالة الإســـلامية منبـــثة فى جميع الصحف والمجلات ، يعالج بها أربابها قضـــايا المسلمين والإسلام ، ويذودون بها عن الرموز الإسلامية ، ويقفـــون بهـــا فى وجه أعداء الإسلام ، يصدون ضلالهم ، ويردون باطلهم .

ومـــن كـــتاب المقالة الدينية : جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، ومصطفى صـــادق الرافعى ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وأحمـــد أمـــين ، وملـــك حفنى ناصف ، والعقـــاد ، وسيد قطب ، وغيرهم .

ومـــن الأمثلة على حسن العاطفة الدينية وجمالها ، مع رشاقة اللفظة وخفتها مع ميلها إلى الطابع الدينى ما كتبه الأستاذ / مصطفى صادق الرافعى عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم [١] .

---

(١) انظر : مصطفى صادق الرافعى فارس القلم تحت راية القرآن ، د / محمد رجب البيومى ص ٥٧ وما بعدهـــا . دار القـــلم . دمشـــق ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـــ ١٩٩٧م (أعلام المسلمين ٦٥) .

يقول [١] :

" كـــان المعنى الآدمى فى هذه الإنسانية كأنما وهن من طول الدهر عليه ، يتحيفه ويمحوه ، ويتعاوره بالشر والمنكر ، فابتعث الله تاريخ العقل بآدم جديد ، بدأت به الدنيا فى تطورها الأعلى من حيث يرتفع الإنســـان علـــى ذاته ، كما بدأت من حيث يوجد الإنسان فى ذاته ، فكانت الإنسانية دهرها بين اثنين : أحدهما فتح لها طريق المجئ من الجنة ، والثانى فتح لها طريق العودة إليها ، كان فى آدم سر وجود الإنسانية ، وكان فى محمد سر كمالها .. " .

<u>خصائص المقالة الدينية :</u>

- تهتم المقالة الدينية بإبراز العاطفة الدينية .
- وأهم ما يجب فى المقالة الدينية هو الصدق والإقناع .
- لـــيس شـــرطا فى المقالة الدينية أن تتصف بكثير مما يزين الأسلوب الأدبى ، من العذوبة والرقة ، واختيار العبارات الموحية ، ونحو ذلك .
- كثيرا ما تهتم هذه المقالة بالمناسبات والمواسم الدينية .
- تبين عن الشعور الإسلامى الجماعى .
- إنها ضرب من ضروب النثر الوجدانى .

---

(١) وحى القلم : ٢ / ١٢ نقلا عن المصدر السابق ص ٦١ .

- المقالـــة الدينية قوية الصلة بالأدب عند الأدباء المطبوعين ، ممن يحسنون صناعة المقالة الأدبية بطبعهم ، ويخلصون لها ، ويتعبون أنفسهم فى سبيل تجويد الأسلوب وتنقيته مما يشوبه مـــن عـــيوب الفن المعروفة ، كالعامية ، والضعف اللغوى ، وســـوء التركيب ، واختلال موازين الكتابة ، كالجهل بالعبارة المناســـبة ، وعـــدم التوفـــيق إلـــى اللفظة تجيئ فى محلها ، والســـوقية فـــى الصـــياغة ، والابتذال فى الفكرة ، ورداءة الغرض " [١] .
- وتشمل المقالة الدينية ما يشمله الإسلام وحضارته وثقافته من قضـــايا ، وما أثاره المبشرون والمغرضون من الغربيين من دعـــاوى باطلـــة ، ومـــزاعم مفتـــراه ، وهذا واضح غاية الوضوح عند العقاد خاصة [٢] .

(٣) المقالة العلمية :

والمقصـــود بهـــا مـــا تناوله الكتاب من مباحث فكرية تتصل بالعقـــل ، أو بالفكـــر الدينى ، أو الفلسفى ، أو مباحث علمية تتصل باللغة العربية : قيمتها ، ومفرداتها ، وفنونها ، وغيرذلك .

والمقالة العلمية تنقسم إلى نوعين :

---

(١) المقالة فى الأدب السعودى ، د / محمد العوين : ١ / ٢٠٨ .

(٢) انظر المقالة فى أدب العقاد ، د / عبد القادر رزق الطويل .

(أ) مقالـــة علمــية بحــتة : وهى التى " تعنى بمعالجة قضية من قضــايا العلم ، كأن تتحدث عن نظرية فى الطب ، أو فى الجبــر ، أو الهندســة ، أو الكيمياء ، أو الفيزياء ، أو الطبيعيات ، أو تعرض مــا توصــلت إليه هذه العلوم ، أو تعرف الناس بالمكتشفات العلمية الحديــثة ، أو تحــاول توضيح المعطيات التى ترتكز عليها الأبحاث العلمية عامة " (١) .

والمقالــة بهــذا المعنى تمتاز بدقة الألفاظ ، وجفاف الفكرة ، وكثــرة المصــطلحات العلمية ، والبعد عن العاطفة ، والموضوعية الصرفة .

(ب) مقالــة علمية متأدبة ، ومن خصائصها (٢) تناول الموضوعات العلمــية ، ودقــة اللغــة ، وتحديد الألفاظ ، واستخدام بعض الألفاظ العلمــية والأرقام الحسابية ، والبعد عن الجفاف العلمى ، وذلك عن طــريق الاستعانة بمؤثرات فنــية كالصــور التوضيحية ، وجاذبية العــرض ، يضــاف إلــى ذلك أن هــذه المــقالة تجمع بين الإفادة والتأثير .

والكاتــب فى المقالة العلمية يسعى إلى إثبات أكبر قدر ممكن مــن المعــارف ، وزيادة معلومات الناس وتوسيع ثقافتهم ، وتنمية

---

(١) البلاغة والتحليل الأدبى ، د / أحمد أبو حاقه ص ٢٢٩ . دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

(٢) انظر : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، د / السيد مرسى أبو ذكرى ص ٨٢ .

عقـولهم ومـنطقهم ، وتعـريفهم بما يجهلون ، وتقوية معرفتهم بما يعرفونه معرفة ناقصة .

وتكـاد تكـون المقالة العلمية هى المقالة الموضوعية ، من حـيث التـزامها بالتقسيم المتبع فى الكتابة المقالية عن أى موضوع علمـى لـتكون قضاياه متواصلة ، بحيث تكون كل قضية نتيجة لما قبلها مقدمة لما بعدها حتى تنتهى جميعا إلى الغاية المقصودة ..[1] .

وقـد خصصـت بعـض المجـلات قسما منها فى كل عدد للمـقالـة العلمية ، ومن هذه المجلات : (المقتطف) و (العربى) الكويتـية و(الفيصـل) و (المجلـة العـربية) و (القـافلة) السـعوديـة و (الثـقافة) السـورية و (الدوحة) القطريـة و (الثقافة العربية) الليبية و (البحرين الثقافية) فى البحرين .

ومـن كـتاب المقالـة العلمـية فـى الأدب العربى الحديث والمعاصـر : أحمد أمين ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، والعقاد ، وفـؤاد صـروف ، ويعقوب صروف ، وأحمد زكى ، وعبد الحليم منتصـر ، ومحمد حسن كتبى ، ومحمد سعيد عبد المقصود خوجه ، وغيرهم .

وكتاب المقالة العلمية يكتبون فى مسائل شتى ، ويسهمون فى التذكيـر بألـوان مـن المعارف العامة فى تراثنا الأدبى والفكرى ، كالحـديث عن العرب ومنازلهم ، والفصحى والعامية ، والأنساب ،

---

(١) المقالة فى الأدب السعودى ، د / محمد العوين : ١ / ٢١٩ .

والشعر والنثر ، والتأريخ ، وصلة الذوق باللغة ، ومدارس الأدب ، ونحو ذلك .

ومن الأساليب الأدبية العلمية فى هذا اللون من المقال ما كتبه مصطفى لطفى المنفلوطى حول ادعاء المتشاعرين ، وأثر ذلك على الأدب ، يكشف فيه عن حقيقتهم ، يقول فيه [1] :

" مــا لهــؤلاء النظامين لا يهدأون ساعة واحدة عن تصديع رؤوســنا ، وتمزيق أفئدتنا بهذه الصواعق التى يمطرونها علينا كل يــوم من سماء الصحف حتى صرنا كلما فتحنا صحيفة ، ورأينا فى وســطها جدولا أبيض مستطيلا تخيلناه حية رقطاء ، ففزعنا وألقينا الصحيفة كما ألقاها الشاعر المتلمس لينجو بنفسه ويسلم بحياته .

مــن لــى بــذلك القلــم العريض الذى يكتب كتاب الصحف السياسية عناوين مقالاتهم فى معرض التهويل والتفخيم ، فأكتب إلى هؤلاء المساكين هذه الكلمة الآتية :

أيهــا القوم : إن علماء الضاد الذين عرفوا الشعر بأنه الكلام الموزون المقفى لم يكونوا شعراء ولا أدباء ، ولا يعرفون من الشعر أكثــر من إعرابه ، وبنائه ، واشتقاقه ، وتصريفه ، وإنما جروا فى ذلــك التعــريف مجرى علماء العروض الذين لا مناص لهم من أن يقفــوا فى تعريف الشعر عند هذا القدر ما دام لا يتعلق لهم غرض منه بغير أوزانه ، وقوافيه ، وعلله ، وزحافاته .

---

(١) انظرها فى : النظرات : ١ / ٩٦ ، ٩٧ .

لا تظـــنوا أن الشعر كما تظنون ، وإلا لاستطاع كل قارئ بل كـــل ناطـــق أن يكـــون شاعرا ، لأنه لا يوجد فى الناس من يعجزه تصور النغمة الموسيقية والتوقيع عليها من أخصر طريق .

أيها القوم : ما الشعر إلا روح يودعها الله فطرة الإنسان من مبدأ نشأته ، ولاتزال كامنة فيه كمون النار فى الزند ، حتى إذا اشتد فاضت على أسلات أقلامه كما تفيض الكهرباء على أسلاكها . فمن أحس منكم بهذه الروح فى نفسه فليعلم أنه شاعر ، أولا فليكف نفسه مـــؤونة التخطـــيط والتسطير ، وليصرفها إلى معاناة ما يلائم طبعه ويناســـب فطرته من أعمال الحياة ، فوالله للمحراث فى يد الفلاح ، والقـــدوم فـــى يد النجار ، والمسبر فى يد الحداد ، أشرف وأنفع من القلم فى يد النظام .

فـــإن غم عليكم الأمر ، وأعجزكم أن تعلموا مكان تلك الروح الشـــعرية مـــن نفوســـكم فاعرضوا أنفسكم على من يرشدكم إليكم ، ويدلكم عليكم ، حتى تكونوا على بينة من أمركم .. " .

ومهمـــا يكـــن مـــن قيمة هـــذه المقالة من الناحية العلمية ، فلـــيس يخفى علـــى القارئ أن أسلوبها مثال الوضوح الناشئ عـــن دقة الكلمات ، وسهولة التراكيب ، وتواصل الفقرات لفظيا ومعنويا ، فكانـــت العـــبارة واضحة إن شئت فقل عـــلى الرغم مـــن الإطار العلمى .

ومـــن كتاب المقالة العلمية الأستاذ أحمد أمين [١] ، فهو كاتب أفكـــار فـــى المقـــام الأول [٢] وليس صاحب ديباجة بيانية ، تحتفل بالتعبير المؤنق ، وبالموسيقى ، وبالصور الجمالية ، وقد تيسرت له هذه المقالة لتوفر حسن الاستعداد عنده ، من معرفة بأدوات البحث ، وأساليبه ومناهجه .

ولعـــل كثـــرة مقالات الأستاذ أحمد أمين العلمية ، واشتهاره بالتألـــيف العلمـــى الـــرائع البالغ حد الريادة والتوجيه هو الذى حدا بـــبعض الباحثـــين إلـــى أن يعدوه كاتب مقالة علمية لا كاتب مقالة أدبية [٣] ، مع ما فى هذا الرأى من تجاوز ، وهو السبب نفسه الذى جعـــل الدكـــتور زكى مبارك " ينكر أن لأحمد أمين أسلوبا متميزا ، ويعده باحثا لا يجيد تحليل الخواطر ، وتصوير النزعات " [٤] ، وإن تراجع الدكتور بعد عن هذا الرأى .

---

(١) انظر كتابه : (فيض الخاطر) ، وانظر مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) انظر : أحمد أمين مؤرخ الفكر الإسلامى ، د / محمد رجب البيومى ، ص ٩٥ .

(٣) انظر : فصول فـــى الأدب والنقد ، د / طه حسين ، ص ١٣ وما بعدها . دار المعارف ، مصر .

(٤) أحمد أمين مؤرخ الفكر الإسلامى ، د / محمد رجب البيومى ، ص ٩٩ .

(٤) المقالة الفلسفية :

وهـــى المقالـــة التـــى تعرض لشئون الفكر والفلسفة بالتحليل والتفســـير ، فتحلل قضاياها ، وتفسر غامضها بلغة الأدب وأسلوب الأدباء [١] .

والحقيقة أن مهمة الكاتب فى هذا اللون المقالى صعبة للغاية ؛ إذ علـــيه أن ينقب عن الأسس الحقيقية للموضوع الذى يتناوله ، كما أن علـــيه أن يعرض مادته بدقة ووضوح حتى لا يضل القارئ فى متاهات الموضوع الذى يسير فى سياق علمى موضوعى .

ومـــن كتابـــنا الـــذين لهم إسهام فى المقالة الفلسفية المتصلة بالمقالـــة الأدبية : أحمد لطفى السيد ، وأحمد حسن الزيات ، وعلى أدهم ، وأحمد أمين ، وأحمد فؤاد الأهوانى ، وزكى نجيب محمود ، وفـــؤاد زكـــريا ، وحســـن حنفـــى ، ومحمد عبد الواحد حجازى ، وغيرهم . فقد كتب كل هؤلاء حول الفلسفة ، وكتبوا فى منازع شتى مـــن المنازع الفلسفية التى تهم الإنسان أيا كان بما يكتنفه من تاريخ وعلى وجه الخصوص التاريخ العقائدى ، وتراكم حضارى .

كمـــا كتـــبوا عن الخلافات فى الرأى ، وكيف يكون الخلاف ضرورة من ضرورات الحياة ، ويأتى الواحد منهم بالدليل تلو الدليل لكـــى يثبت أن الخلاف رحمة ونعمة من الله سبحانه ، وأنه لا يفسد للود قضية ، فهو مدعاة للاطمئنان والتفاؤل .

---

(١) انظر : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، د / السيد مرسى أبو ذكرى ص ٧٧ .

والحقيقة أن الغرض العلمى المجرد الذى قد تقوم عليه بعض المقـالات الفلسفية ، وما يصحب هذه المقالات من كتابة علمية جافة أمر لا شأن لنا به ، فهذا الأمر لا يوصلنا إلى جديد فى الحديث عن المقالة الفلسفية الأدبية .

وقـد كـتب أحمـد أمين مقالة فلسفية عنوانها : " جزيرة بلا سياسيين " وفيها يقول [١] :

" كـان الشـيخ محمد عبده يقول : " لعن الله السياسة وساس ويسـوس وسـائس ومسوس ، وكل ما اشتق من السياسة ، فإنها ما دخلت شيئا إلا أفسدته " .

كل شىء فى العالم يتغير حتى الأهرام ، عريت بعد أن كانت مكسـوة ، وحتـى أبو الهول كسرت الأيام أنفه وعلته بالرمال ، إلا السياسـة الاسـتعمارية فإنهـا لم تتغير بوجه من الوجوه . وعقلية الساسـة فـى القرن الثامن عشر هى عقليتهم فى القرن العشرين ، يظـنون أن الـتهديد والوعيد يرعب الأمم ، ويقضى عليها ، وينفذ رغـبة المسـتعمرين ، فـبعد ضرب الإسكندرية بسبعين عاما ظلوا يفهمـون أيضـا أن ضرب الإسماعيلية أيضا ينتج نفس النتيجة مع اختلاف المقدمات اختلافا كبيرا .

---

(١) مجلة الهلال ص١٥ عدد فبراير ١٩٥٢ م . نقلا عن كتاب " التحرير الأدبى " ، د / حسين على محمد ص ١٨٦ ، ١٨٧ . نشر مكتبة العبيكان ، الرياض ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

فقــد كان الرعب يستولى على النفوس ، ولم يكن وعى قومى يفهم ألاعيب السياسة ولاشىء من ذلك ، ولكن عقلية الإنجليز فهمت أن ما جرب بالأمس ونجح يجرب اليوم وينجح ، أما الفوارق الكبيرة وخصوصا الفوارق النفسية فقد أغمضوا أعينهم عنها .

ثــم أود أن أعيش فى جزيرة مطمئنة هادئة ليس فيها ساسة ، ولكــن مــع الأسف لا يمكن أن يعيش الإنسان من غير حكومة ومن غير ساسة يسوسون الناس .

فكــل مجتمع لا بد فيه مــن مجرميــن وأشرار ، وطامعين ونهابــين ، فما لــم تأخذ الحكومة علــى يدهم عاثوا فــى الأرض فســادا ، فــلا يمكـــن لجزيرة أن تعيش مــن غير حكومة ، وكل كــتاب " اليوتوبــيا " (أو بعــبارة أخــرى " المــدن الفاضلة ") ، وأفلاطــون نفسه فى " جمهوريته " لم يخلوا بلادهم التى عدوها مثلا أعلى من ساسة ومن حكومة .

غاية الأمر أنهم أملوا أن تكون الحكومة فيها حكومة عادلة ، حكــومة ترعــى الأمة ، ولا تستبد بها ، وتأخذ بيدها ولا تمحقها ، حكــومة متســعة العقل ، مرنة ، تتطور مع الأحداث ، وتعلم أن ما صــلح أمــس لا يصــلح اليوم ، لا كساسة الإنجليز والفرنسيين لا يتحولون عما فى أذهانهم مهما تغيرت الظروف " .

خصائص المقالة الفلسفية [1]

– تمـــيل المقالة الفلسفية إلى التحليل الدقيق ، سواء أكان ذلك للنفس والمشاعر ، أو للكون وغيره .

– يتوافـــر فى المقالة الفلسفية الكثير مما يثير نهم الناقد إلى التحليل والاستشهاد .

– تهدف المقالة الفلسفية إلى توضيح مغزى ما ، أو فلسفة ما .

– تعنى المقالة الفلسفية بالكشف عن الحقيقة .

– تجنح إلى التفكير ، واستبانة المنهج الفلسفى والعقلى .

– قـــد تنطلق المقالة الفلسفية من الواقع وأحداثه ومعطياته ، لتتأمل مـــن ثـــم حـــدثا ما ، أو قضية فكرية ، وهذا ما فعله أحمد أمين فى مقالته السابقة ، فقد انطلق من الواقع (لا يمكن أن يعيش الناس من غير حكومة ، ومن غير ساسة يسوسون الناس) ليناقش هذه الفكرة الجديـــرة بالـــنقاش ، ويوضـــح مغزى (أو فلسفة) أن يكون للناس حكومة وساسة ، ذلك أمر ضرورى فى حياتنا .

---

(١) انظر : المقالة فى أدب العقاد ، د / عبد القادر الطويل ، ص ٢٥٨ وما بعدها .

(٥) مقالات أخرى :

والحقيقة أن فى أدبنا العربى ألوانا أخرى مختلفة ومتعددة من المقـالات ، لا يمكن حصرها ولا عدها ، ويتأتى هذا من أن المقالة موكلة بكل مواضيع الحياة ، فمن الصعب على الباحث أن يحصرها أو يقسمها .

وسأكتفى هنا بالإشارة إلى ما تفرق من هذه الألوان ، ومنها :

(أ) المقالة الانطباعية : [١]

وهـى المقالة التى تصور انطباعات الكاتب تجاه موقف من المواقف ، أو مشهد من المشاهد التى رآها ووقع نظره عليها .

وهـذا اللون مـن الكتابة يحتاج إلـى بصيرة نافذة ، وعقل لاقـط ، قـادر على الاكتشاف والرؤية ، ولم لا وهذه المقالة فـى صـميمها اجتـزاء لفكرة عابرة يريد الكاتب مـن خلالها أن يسجل انطباعه .

ومـن كـتاب هـذه المقالة : عبـد العزيز البشرى ، وأحمد أمـين ، والعقـاد ، وميخائيل نعيمة ، ومصطفى أمين ، ومصطفى محمـود ، ومحمـد فهمـى عـبد اللطيف ، وأحمد بهجت ، وأنيس منصور ، وغيرهم .

---

(١) انظر : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، د / السيد مرسى أبو ذكرى ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

(ب) الخاطرة : [١]

وهـــى لـــون مقالى يقوم على اللمحة الذهنية ، يلتقط صورة خاطفة مرت بالذهن مصادفة ، ليس فيها عمق ، ولا فكرة ناضجة ، ويأخذ الكاتب هذه الخاطرة فيحيلها إلى قطعة فنية ، هى فى صميمها مقالـــة أدبـــية من اللون الذاتى ، كما قد تكون من اللون العلمى ، أو الاجتماعى .

وفـــى أدبنا العربى الحديث ألوان كثيرة من أدب الخاطرة هى قمة فى النثر الفنى مـــن حيث القيم الجمالية والفكرية ، ومـــن ذلك ما كتبه إبراهيم عبـــد القادر المازنى فـــى كتابه : (صندوق الدنيا) ، ومصـــطفى صـــادق الرافعى فى كتابه : (السحاب الأحمر) ، و المنفلوطـــى فـــى كتابيه : (العبرات) و (النظرات) ، والدكتور / زكـــى مـــبارك فـــى كتابه : (الحديث ذو شجون) ، وجبران خليل جبـــران فـــى كـــتابه : (دمعة وابتسامة) ، وأحمد أمين بمقالاته التـــى نشرها بمجلة الثقافة تحت عنوان : (مدرسة جديدة) [٢] .

ويمكـــن أن نشير إلى أن خواطر المنفلوطى التى أوردها فى كتابـــيه قـــد تســـربت إليها الروح القصصية ، وقد حاول جاهدا أن يضـــفى علـــى هـــذه الخواطر جو القصة ، كوسيلة منه لتجسيم تلك الخواطر التى ينشد معالجتها .

---

(١) انظر : أحمد أمين مؤرخ الفكر الإسلامى ، د / محمد رجب البيومى ، ص ٩٩ .

(٢) انظر له : فيض الخاطر : ٩ / ٢٤٩ وما بعدها ، الطبعة الأولى ١٩٥٥ م .

ومن يقرأ هذه الخواطر يرى فيها من روح القصة : السرد ، بيد أنه سرد عادى لا فنية فيه ، والكاتب يخلق من نفسه شخصية قصصية ، ويجعلها محورا للحدث فى الخاطرة التى هى صيد اللحظة .

ومن الواضح أن الصحافة كانت على رأس العوامل الرئيسة التى ساعدت على نشأة الخاطرة ، فلقد أولتها اهتماما خاصا ، وأفردت لها أبوابا ثابتة فى أعدادها المختلفة ، لدرجة أنه لا تكاد تخلو مجلة من المجلات ، أو صحيفة من الصحف من زاوية أو زوايا خاصة بالخاطرة ، تلك التى عنت للكاتب ، وانبعثت لمرأى ، أو مشهد ، أو حادث ، أو ذكرى .

ومن كتاب هذا اللون فى صحافتنا المصرية : أنيس منصور ، وأحمد الصاوى محمد ، ومختار الوكيل ، ومحمد زكى عبد القادر ، ومحسن محمد ، وعبد السلام داود ، وصلاح منتصر ، وإبراهيم سعدة ، وعبد الرحمن فهمى .

<u>(ج) الرسالة :</u>

والرسالة فن أدبى يكتبه الناثرون فى أغراض شتى ، منها الإخوانى ، والإدارى ، والوصايا ، ورسائل المسائل العلمية ، ونحو ذلك .ومن ينظر التاريخ الأدبى العربى يرى أن الرسالة تعد من

الأصول الأولى لفن المقالة الأدبية ، والجذور التى نمت هذه الألوان المختلفة من النثر الفنى [١] .

وفـــى أدبـــنا العربى نصوص كثيرة من الرسائل التى تجمع خصائص المقالة والخاطرة ، وإن لم تأخذ حظها من الجمع والدراسة والتأمل ، وانظر على سبيل المثال ما كتبه عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع ، وأبو حيان التوحيدى ، والجاحظ ، وابن زيدون [٢] .

ومـــن أهم مميزات الرسالة أنها نص سهل ، ينثر الكاتب فيه ذاتـــه ، ويســـتقرئ دخيلة نفسه ، وينطلق فيه على سجيته وطبعه ، دون اتكاء على أسلوبه الأدبى المتقن .

ومـــن نماذج الرسالة رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط سنة ست من الهجرة ، وهذا نصها :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظـــيم القـــبط ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما علـــيك إثـــم القـــبط . و " يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا

---

(١) **المقالة فى الأدب السعودى** ، د / محمد العوين : ١ / ٢٤١ .

(٢) انظر الفصل الأول : (ملامح المقال فى الأدب العربى القديم) من كتاب الدكتور / السيد مرسى أبو ذكرى : (المقال وتطوره فى الأدب المعاصر) .

وبيــنكم ألا نعــبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " [١] .

(د) ألوان أخرى :

ويمكن أن نضيف إلى هذه الألوان السابقة عشرات النصوص المقالــية الأخــرى المتعددة الأغراض ، مثال ذلك : المقالة الرمزية الســاخرة ، والمقالــة القصصــية ، والمقالة الساخرة ، والفكاهة ، والسيرة الذاتية ، ومقالة الحوار والمناقشة [٢] .

وفى مقالة السيرة الذاتية يترجم الكاتب لسيرة إنسان ، ويعكس فــيها انطباعه عنه ، ومدى تأثره به ، كل ذلك فى تعبير جيد لائق ، وحســن تنســيق ، وذلــك كما فعل أحمد أمين فى كتابه : (فيض الخاطر) .

---

(١) جمهرة رسائل العرب فى عصور العربية الزاهرة ، أحمد زكى صفوت : ١ / ٤٢ . المكتبة العلمية ، بيروت .

(٢) انظر : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، د / السيد مرسى أبو ذكرى ، ص ٧٣ وما بعدها .

من كتاب السيرة الذاتية

أحمد أميـــن

يعــد أحمد أمين من أعظم الكتاب الذين ترجموا لأنفسهم فى العصــر الحــديث ، ولــه كــتاب بعنوان " حياتى " وهو من الكتب العظــيمة فـــى مجال الترجمة الشخصية ، وليس أدل على ذلك من طباعة هذا الكتاب أكثر من خمس طبعات .

ولد أحمد أمين فى مدينة القاهرة فى أكتوبر عام ١٨٨٦ م فى وسط مثقف ، إذ كان والده مصححا بالمطبعة الأميرية ببولاق (حى مـــن أحـــياء القاهرة) أحيانا ومدرسا فى المدارس الحكومية أحيانا أخرى .

وكـــان والده مولعا بجمع الكتب فى مختلف العلوم وفى جميع التخصصـــات ، فى الفقه والحديث والتفسير واللغة والأدب والتاريخ والصـــرف والبلاغة ، ولعل عمله الذى كان يقوم به (وهو مصحح بالمطــبعة الأميرية) قد مكنه من أن يقتنى كثيرا من مطبوعات هذه المطــبعة ، ولا شك أن هذه الكتب كانت أطيب غذاء لأحمد أمين ، ولـــيس أدل على ذلك من أنه كان يمضى الساعات بل الليالى والأيام يقرأ هذه الكتب ويستفيد من دورها ، وقد صارت هذه الكتب بمرور الأيام نواة لمكتبة أحمد أمين نفسه .

ورث أحمد أمين عن أمه قصر النظر ، ولقى بسبب هذا عناء كبيرا فى حياته ، يقول فى ذلك :

" فــإذا تقدمت للدخول فى دار العلوم حرمت من ذلك لقصر نظرى ، وإذا تقدمت للدخول فى مدرسة القضاء فكذلك إلا أن تحدث معجــزة ، وإذا أريد تثبيتى فى وظيفة سقطت فى امتحان النظر ولم أثبت إلا بمعجزة أخرى ، وتحدث أحداث كثيرة مخجلة وغير مخجلة نتــيجة لقصر نظرى ، فقد لا أسلم على أحد يجلس بعيدا عنى فيظن بــى الكبــر ، وقــد أكون على موعد فى مقهى فأدخل ولا أرى من وعــدتهم إلا أن يرونى ، وقد أمر فى الشارع على من أنا فى حاجة إليه فلا أراه .

وقــد أحــب أن أذهب إلى السينما أو التمثيل للاسترواح فلا أذهــب ، وهكذا من أحداث سيئة لا تحصى صادفتنى فى حياتى إلى أن اضــطررت مــنذ شــبابى إلى لبس نظارة ، وكنت من سنة إلى أخرى أغير النظارة بأخرى أسمك منها حتى صارت فى آخر الأمر نظــارة ســميكة ، واعــتادت عينى هذه النظارة ، وكانت لها كذلك ســيئات ، فإذا كسرت أو نسيتها فى البيت صرت كأنى أعمى ، وقد رأيتنــى فيما بعد أحتاج إلى نظارتين ، نظارة للقراءة ونظارة للسير والعمــل ، ولا تســأل عن متاعب ذلك ، ومع قصر النظر هذا كان النظر القصير نعمة كبيرة إذا قارنت بينه وبين العمى ، فكل الأشياء الجوهــرية من رؤية أشخاص ورؤية مناظر جميلة كان يكفى قصر نظرى فى إدراكها " (١) .

---

(١) حياتى ، أحمد أمين ، ص ٢٥ ، ٢٦ . مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السادسة .

أدخلـــه والـــده الكتاتيب ، ولبث فى هذه الكتاتيب نحو خمس ســـنوات حفظ على أثرها القرآن الكريم ، وتعلم القراءة والكتابة ، ثم أدخلـــه مدرســـة ابتدائية نموذجية هى الآن مدرسة " بنبا قادن " وقد تعلـــم فى هذه المدرسة اللغة العربية وبعض مبادئ الحساب وبعض اللغات الأجنبية .

ولم يلبث والده أن يختار له الأزهر الشريف ليدرس فيه الفقه الحنفـــى بجانب العلوم الدينية الأخرى ، ولكنه لم يصبر على دراسة الأزهـــر ، لأنـــه لم يتقبل طريقة هذه الدراسة فى الحواشى ، وإنما صـــبر علـــى تدريس والده له وبخاصة فى الأجازات ، ولا شك أن والده كان شيخا عظيما وكان قادرا على الإفهام ، وقد قرأ لابنه كتب " قطـــر الندى " و " شذور الذهب " و " شرح ابن عقيل " ولقى أحمد بســـبب من هذا نجاحا كبيرا ، لدرجة أن بعض زملائه كانوا يطلبون منه أن يقرأ لهم شرح ابن عقيل فى بعض أوقات الفراغ وكان يفعل ذلك .

عين مدرسا للغة العربية فى مدرسة راتب باشا بالإسكندرية ، ثـــم لم يلبث بعد سنتين أن عين فى مدرسة والده عباس باشا الأول ، وهى المدرسة التى تعلم فيها صغيرا والتى كان يحن إليها أيام تعليمه بالأزهر .

والـــتحق بمدرســـة القضـــاء ، وتلقى فيها التفسير والحديث والتوحيد وأصول الفقه ونحو ذلك ، فكان أن تثقف ثقافة لغوية أدبية

مــن نحــو وصــرف وأدب ، وثقافــة قانونية عصرية مثل أصول القوانــين الحديثة ونظام القضاء والإدارة وغير ذلك ، وثقافة أخرى فى الجغرافيا والتاريخ والطبيعة والكيمياء وما إلى ذلك .

والــتحق آنــذاك بالجامعــة المصرية الأهلية ، واستمع إلى محاضــرات فــى الفلســفة الإسلامية ، ومحاضرات فى الجغرافية العــربية ، وكان يحضر هذه المحاضرات لماما فى غير التزام ولا انــتظام .. وعلى كل حال فإنه استفاد من الجامعة فى عملية البحث والاستقصاء والرجوع إلى المراجع وغير ذلك .

عمــل قاضيا فى " قويسنا " ثم فى محكمة " الأزبكية " وحين طلب منه الدكتور طه حسين أن يعمل مدرسا فى كلية الآداب قبل ، لأنــه كان ينفر من وظيفة القضاء ، وكانت هذه فرصة كبيرة ينطلق بسببها فى ميدان اللغة والأدب .

واشترك فى مشروع بحثى واسع وضعه هو وزميلاه الدكتور طــه حســين والأستاذ عبد الحميد العبادى ، وخلاصة هذا المشروع كانــت تــدور حول دراسة الحياة الإسلامية من نواحيها الثلاث فى العصــور المتعاقــبة من أول ظهور الإسلام ، فاختص الدكتور طه حســين بالحياة الأدبية ، واختص الأستاذ العبادى بالحياة التاريخية ، واختص الأستاذ أحمد أمين بالحياة العقلية .

أخــذ يترقى فى مجال التأليف ، فألف فى سنتين كتاب " فجر الإسلام " عام ١٩٢٨ م ، وسافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج عام

١٩٣٧ م مع بعثة الجامعة المصرية ، ثم أتيحت له فرص للسفر إلى أوربا للاطلاع على العلوم والآداب الأوربية .

ترقى فى كلية الآداب من مدرس إلى أستاذ مساعد ، ثم صار عضـــوا فـــى مجلس إدارة الكلية ، ولكنه حيل بينه وبين الترقية إلى درجة أستاذ بحجة أنه لم يحصل على درجة الدكتوراه ، فتقدم بكتابيه : فجـــر الإسلام " و " ضحى الإسلام " لينال بهما درجة الدكتوراه ، لكن إصرار وزير المعارف على رفض ذلك حال بينه وبين رغبته .

أقام له زملاؤه من أساتذة الجامعة وأعضاء لجنة التأليف حفلا تكـــريميا عام ١٩٢٥ م حضرها أعضاء لجنة التأليف وكبار رجال المعـــارف ، وكبار رجال السياسة من مختلف الأحزاب ، وكان من بـــين الحاضـــرين مدير الجامعة آنذاك / أحمد لطفى السيد ، وأحمد ماهـــر ، والدكتور على إبراهيم ، والدكتور إبراهيم الهلباوى ، وعبد العزيز فهمى ، والشيخ محمد مصطفى المراغى .

وحـــين خـــلا مركز عميد كلية الآداب فى أبريل عام ١٩٣٩ عيـــنه محمـــود فهمـــى النقراشى عميدا لها ، ومكث عميدا لها لمدة عامـــين ، تـــرك العمادة بعدها وعاد ليعمل أستاذا فى الكلية ، وظل يكتب المقالات ويؤلف الكتب ، وكان يكتب فى مجلات " الرسالة " و " الهـــلال " و " المصـــور " وغيـــرها ، ولما كثرت مقالاته جمعها وأودعها ثمانية أجزاء من كتبه وسماها " فيض الخاطر " .

انـــتدب وهو أستاذ بكلية الآداب ليعمل مديرا للإدارة الثقافية بـــوزارة المعـــارف ، وكـــان وزير المعارف إذ ذاك الدكتور / عبد الـــرازق الســـنهوري ، وعنـــي وهو في هذا العمل بتشجيع ترجمة أمهـــات الكـــتب الغـــربية إلى اللغة العربية ، وكان هذا العمل نواة توسعت فيها الوزارة فيما بعد .

وحـــين ألـــم به المرض استقال من رياسة الإدارة الثقافية ، وأخذ يتخفف من الكثير من أعماله ، ثم أحيل إلى التقاعد بعد أن بلغ ســـن الستين ، وفي عام ١٩٤٨ م قرر مجلس كلية الآداب ومجلس جامعـــة فـــؤاد الأول مـــنحه الدكـــتوراه الفخرية ، ولقب من وقتها بالدكتور / أحمد أمين .

ولـــه مؤلفات كثيرة منها : فجر الإسلام ، وضحى الإسلام ، وظهـــر الإســـلام ، وفيض الخاطر ، وزعماء الإصلاح ، والشرق والغـــرب ، ويـــوم الإســـلام ، ومبادئ الفلسفة ، والأخلاق ، والنقد الأدبي ، وقصة الفلسفة اليونانية ، وقصة الفلسفة الحديثة .

ويكفـــي أحمـــد أمـــين أنه أهدى إلينا كنوزا من أقوم الكنوز وأعظمهـــا ، فسلسلة " فجر الإسلام وضحاه وظهره " من أروع ما يحلل الحياة العقلية للعرب والمسلمين ، ومن يقرأ هذه المؤلفات يلمح أنهـــا نقلت من أصح المصادر ، واشتملت على أدق الآراء العلمية ، وحللـــت الحـــياة العقلية تحليلا جعلها تظفر بالذيوع والانتشار حتى

أصـــبحت مرجعا لكل باحث أو دارس ، وستظل هذه الكتب الخالدة شاهدة على صبر أحمد أمين على القراءة والكتابة .

" حيـــاتى " لأحمد أمين :

يعـــد كـــتاب " حياتى " من الكتب التى ظفرت بحظ كبير من الذيوع والانتشار فى مجال الترجمة الشخصية ، وقد صدرت الطبعة الأولى له عام ١٩٥٢ م ، وما يزال الكتاب يواصل طبعاته المختلفة ، والكاتـــب فـــى بعـــض الطبعات كان يعيد القراءة فيزيد فى بعض المواقف زيادة يراها ضرورية .

والكتاب يدل على صراحة أحمد أمين وصدقه ، وإن كان قد عبـــر فـــى مقدمـــته عن تهيبه من هذه الترجمة وإخراجه لمثل هذا الكتاب ، يقول :

" لم أتهيب شيئا من تأليف ما تهيبت من إخراج هذا الكتاب ، فإن كل ما أخرجته كان غيرى المعروض وأنا العارض ، أو غيرى الموصـــوف وأنـــا الواصـــف ، وأمـــا هـــذا الكتاب فأنا العارض والمعـــروض والواصـــف والموصـــوف ، والعين لا ترى نفسها إلا بمـــرآة ، والشـــىء إذا زاد قـــربه صعبت رؤيته ، والنفس لا ترى شخصها إلا من قول عدو أو صديق ، أو بمحاولة للتجرد ثم توزيعها علـــى شخصيتين : ناظرة ومنظورة ، وحاكمة ومحكومة ، وما أشق ذلك وأضناه .

ومـــع هذا فكيف يكون الإنصاف ؟ إن النفس إما أن تغلو فى تقديـــر ذاتهـــا فتنسب إليها ما ليس لها ، أو تبالغ فى تقدير ما صدر عـــنها ، أو تبرر ما ساء من تصرفها ، وإما تغمطها حقها ويحملها حـــب العدالـــة علـــى تهويل شأنها فتلبها ما لها ، أو تقلل من قيمة أعمالها ، أو تنظر بمنظار أسود لكل ما يأتى منها ، أما أن تقف من نفسها موقف القاضى العادل والحكم النزيه فطلب عز على الفلاسفة والحكماء [١] .

ومع أن أحمد أمين قد بذل كل جهده فى هذا الكتاب ، وتحرى فيه الصدق والأمانة ، مع هذا كله فقدَ تهيب من نشره ، يقول :

" وتـــرددت ـــ أيضـــا ـــ فى نشره : ما للناس و " حياتى " ؟ لســـت بالسياســـى العظيم ، ولا ذى المنصب الخطير الذى إذا نشر مذكـــراته أو ترجم لحياته أبان عن غوامض لم تعرف أو مخبآت لم تظهر ، فجلى الحق وأكمل التاريخ ، ولا أنا بالمغامر الذى استكشف مجهولا من حقائق العالم ، فحال وصفه وأضاف ثروة إلى العلم ، أو مجهـــولا من العواطف ـــ كالحب والبطولة أو نحوهما فجلاه ، وزاد بعلمـــه فـــى ثـــروة الأدب وتاريخ الفن ـــ ولا أنا بالزعيم المصلح المجاهد ناضل وحارب وانتصر وانهزم ، وقاوم الكبراء والأمراء ، أو الشـــعوب والجماهير فرضوا عنه أحيانا ، وغضبوا عليه أحيانا ، وســـعد وشـــقى ، وعذب وكرم ، فهو يرى أحداثه لتكون عبـــرة ،

---

(١) مقدمة الطبعة الأولى " من حياتى " ص ٣ .

وينشر مذكراته لتكون درسا . لست بشيء من ذلك ولا قريب من ذلك ففيم أنشر حياتى "[١] ؟ .

على كل حال فكرة الترجمة للنفس قد راودت الأستاذ أحمد أمين وهو فى أول عهده بالشباب ، فقد دون مذكرات يومية عن حياته وعن رحلاته وأهم الأحداث التى تمر عليه ، وأهم الأحداث السنوية ، ما يسر منها وما يسوء .

يقول فى مقدمة كتابه : " فلماذا — إذن — لا أؤرخ " حياتى " لعلها تصور جانبا من جوانب جيلنا ، وتصف نمطا من أنماط حياتنا ، ولعلها تفيد اليوم قارئا ، وتعين غدا مؤرخا ، فقد عنيت أن أصف ما حولى مؤثرا فى نفسى ونفسى متأثرة بما حولى .

نبتت عندى فكرة تاريخ حياتى منذ أول عهد شبابى ، فقد رأيتنى أدون مذكرات يومية عن رحلاتى ، وعن حياتى فى الأسرة أيام زواجى ، ووجدتنى أسجل فى المفكرات السنوية أهم أحداث السنة ، وما يسوء منها وما يسر ، ولكن لم يكن كل ذلك عملا منظما متواصلا ، بل كان يحدث فى فترات متقطعة — ثم نمت الفكرة وشغلت بالى فى العام الماضى ، فكنت أعصر ذاكرتى لأستقطر منها ما اختزنته منذ أيام طفولتى إلى شيخوختى ، وكلما ذكرت حادثة دونتها فى إيجاز ومن غير ترتيب — فلما فرغت من ذلك ضممته إلى مذكراتى اليومية ثم عمدت فى الأشهر القريبة إلى ترتيبه وكتابته

---

(١) مقدمة الطبعة الأولى " من حياتى " ص ٥ .

من جديد على النحو الذى يراه القارئ من غير تصنع ولا تأنق [١] " .

وأحمد أمين – على ما قال ووضح – يعود إلى أيامه الماضية فيستبطنها ويكشف نفسه من خلالها ، ويقف على أيام طفولته وصباه ، كما يشرح بيئته ، ودخوله الكتاتيب بغرض حفظ القرآن الكريم .

وتحدث كذلك عن دخوله المدارس الابتدائية ، كما تناول الأيام التى قضاها بالأزهر ، وعرض للمصاعب والمعوقات التى كانت تواجهه كما تواجه غيره ، وأبان عن مشاعره تجاه والده الذى كان بمثابة أزهر آخر والذى كان يعكف على الشرح لابنه فى فترات الأجازات الصيفية .

وأشار الكاتب إلى أسرة أبيه الأسرة الفلاحة ، التى هى من بلدة " سمخراط " من أعماق البحيرة ، كما أشار إلى أسرة والدته التى هى من " تلا " من أعماق المنوفية ، ثم ذكر هجرتهما إلى حى من أحياء القاهرة بسبب الظلم أو لأسباب أخرى لم يذكرها .

ثم أشار إلى آلام أسرته لوفاة أخت له محروقة ، وكان ذلك وهو ما يزال حملا . يقول عن ذلك : " وكان ذلك وأنا حمل فى بطن أمى فتغذيت دما حزينا ورضعت بعد ولادتى لبنا حزينا ، واستقبلت عند ولادتى استقبالا حزينا ، فهل كان لذلك أثر فيما غلب

---

(١) مقدمة حياتى ص ٦ ، ٧ .

علـــى مـــن الحزن فى حياتى فلا أفرح كما يفرح الناس ، ولا أبتهج بالحياة كما يبتهجون ؟ علم ذلك عند الله والراسخين فى العلم " . [١]

وتحـــدث عن قصر نظره ، وعما لقيه من عناء حيال ذلك ، وأشار إلى أن هذا الذى أصيب به إنما كان السبب فى إيثاره للعزلة حتـــى لا يقـــع فـــى مثل هذه الأغلاط التى يقع فيها أمثال هؤلاء ، ونظـــره مـــع قصره هذا كان سليما ، فقد احتمله على كثرة قراءته ومداومته للنظر فى الكتب .

منذ ذلك الوقت تكونت معالم شخصيته ، وهى شخصية نشأت فـــى بيت تغمره النزعة الدينية . يقول : " فإن رأيت فى إفراطا فى جانـــب الجد وتفريطا معيبا فى جانب المرح ، أو رأيت صبرا على العمل وجلدا فى تحمل المشقات ، واستجابة لعوامل الحزن أكثر من الاســـتجابة لعوامل السرور ، فاعلم أن ذلك كله صدى لتعاليم البيت ومبادئه .

وإن رأيـــت دينا يسكن فى أعماق قلبى وإيمانا بالله لا يزلزله الفلسفة ولا تشكك فيه مطالعاتى فى كتب الملحدين ، أو رأيتنى أكثر مـــن ذكـــر الموت وأخافه ، ولا أتطلع إلى ما يعده الناس مجدا ولا أحـــاول شـــهرة ، وأذكر فى أسعد الأوقات وأبهجها أن كل ذلك ظل زائل وعرض عارض ، أو رأيت بساطتى فى العيش وعدم احتفائى بمأكـــل أو مشـــرب أو ملـــبس ، وبســـاطتى فـــى حديثى وإلقائى ،

---

(١) حياتى ــ ص ١٩ .

وبساطتى فى أسلوبى وعدم تعمدى الزينة والزخرف فيه وكراهيتى الشديدة لكل تكلف وتصنع فى أساليب الحياة ، فمرجعه إلى تعاليم أبى وما شاهدته فى بيتى " . (١)

وقد حفظ فى طفولته القرآن الكريم ، وتحدث عن الكتاب الذى حفظ فيه آيات القرآن الكريم فقال : " كتاب يكاد يكون على باب حارتى ، هو حجرة متصلة بالمسجد ، وبجانبها دورة مياهه ، وأثاث هذه الحجرة حصير كبير بال ، قد انسلت منه بعض عيدانه ، وزير فيه ماء يكاد يسود من الوسخ ، عليه غطاء من الخشب ، قد ثبت فى الغطاء حبل طويل ربط فيه كوز ليستقى منه الشارب ويتناول الكوز ليشرب منه النظيف والقذر والمريض والصحيح ، وصندوق صغير من صناديق الجاز وضعت فيه ألواح بعضها صفيح قد صدئ وبعضها خشب قد زال طلاؤه ، وكتب عليها بعض آيات القرآن بالحبر الأسود فلا تكاد ترى ، وشيخ قد لبس العمامة وقباء من غير جبة وبيده عصا طويلة ، ومسمار كبير فى الحائط علقت فيه "الفلقة" وهى عصا غليظة تزيد قليلا عن المتر ، ثقب فيها ثقبان ثبت فيهما حبل ، فإذا أراد سيدنا ضرب ولد أدخلت رجلاه فى هذا الحبل ولويت عليهما الخشبة ، فلا تستطيع القدمان حركة " . (٢)

---

(١) المصدر السابق ـــ ص ٢٧ .

(٢) حياتى ـــ ص ٤٥ .

وقــد صنع موازنة بين كتاتيب أيامه التى يحفظ الأطفال فيها القرآن ويتعلمون القراءة والكتابة ، وبين ما عليه أطفال اليوم فقال : أيــن ذلك مما نحن فيه الآن ، لأطفال فى مثل طبقتى ، إنهم يذهبون إلـــى ريـــاض الأطفال فتعلمهم سيدات مهذبات أو آنسات ظريفات ، يعلمـــن علـــى أحدث طراز ، ويتدرجن بهم من اللعب إلى القراءة ، ويتحايلن على تشويق الطفل إلى الألف والباء ، ويسرقن التعليم عن طريق الصور أو القصص أو نحو ذلك ، ويقلبن ما كنا فيه من عيش جاف إلى حلوى ، وأكثر أوقات النهار مرح ولعب ، ودروس كأنها لعب ، وأناشيد ظريفة وموسيقى لطيفة ، وطبيب يزور المدرسة كل يـــوم ، ومـــريض لا يأتى إلى المدرسة إلا بعد أن يأتى بشهادة أنه صحيح ، والعلم يعطى كما يعطى كوب من الشربات وبسكويت ولبن وشـــاى بـــدل الفـــول النابت والمخلل ، وضرب على " البيان " بدل الضـــرب على الأبدان ، ونحو ذلك من ضروب النعيم . ولكن على كـــل حـــال أخشى أن نكون أفرطنا أيامى فى الخشونة وأفرطنا أيام أبنائـــى فى النعومة ، والحياة ليست جدا محضا ولا نعيما صرفا ولا شقاء صرفا ، وخير أنواع التعليم ما صور صنوف الحياة " . [١]

ويصـــاب أحمـــد أمين بمرض التيفود وذلك بعد أن نقل من الإسكندرية إلى القاهرة ، وعن هذه الصدمة يقول : " مرضت بحمى التيفود مرضا شديدا حتى أشرفت على الهلاك ، ولم يكن هناك عناية

---

(١) حياتى ـــ ص ٤٨ ، ٤٩ .

بالمرض كما يعنى اليوم ، ولا يرضى الأهالى عن إرسال المريض إلى مستشفى الحميات كما يرسل اليوم ولا عزل له عن سائر من فى البيت حتى لا تنتشر العدوى ، ولا استدعاء طبيب مختص يشرف إشرافا دائما على العلاج ـ لا شئ من ذلك ـ ولكن فرشت لى حشية على الحصير ، فى وسط الغرفة وترك أمرى لله ، فلم يدع أهلى طبيبا ، وكل ما فى الأمر أن نفسى عافت الأكل . ومن حين لآخر تأتى عجائز الحارة فتصف لأمى وصفات بلدية للشفاء من المرض ، فأقبلها حينا وأرفضها أحيانا ، ويزورنى أبى قبل خروجه إلى عمله ، فيجلس على رأسى ، ويضع يده على جبهتى ، ويقرأ الفاتحة ، وآية الكرسى ، والمعوذتين ويختم ذلك بقوله : " حصنتك بالحى القيوم الذى لا يموت أبدا ، ودفعت عنك السوء بألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . " ثم ينفث فى وجهى ، وإذا عاد من عمله فى المساء كرر هذا الدعاء . ونجوت منها بأعجوبة بعد أن كان الموت أقرب إلى من حبل الوريد ، ومكثت بعد ذلك مدة طويلة فى دور النقاهة " . (١)

كان يعيش فى بيت هادئ ، يخلو فى كل أوقاته من الضجيج ، وكان لحب والده للعزلة وعكوفه على القراءة أكثر وقته هو السبب فى خلو بيتهم من مرح الحياة ، وكان يعيش فى البيت معه أبواه وأخ وأخت يكبرانه ، وأخ وأخت يصغرانه .

---

(١) حياتى ـ ص ٩٢ ، ٩٣ .

يقـــول عـــن أخيه الأصغر : " كان أخى الأصغر شابا مرحا ذكـــيا مملوءا بالحياة ، كثيرا ما يثور على تقاليد البيت التى وضعها أبـــى ، فهـــو يتأخـــر عـــن موعد العودة ، وهو يذاكر ويلعب ويجد ويهـــزل ، وكان ذلك يغيظ أبى فيكثر بينهما الجدال والخصام ويزداد ذلـــك فيصـــل إلـــى حد الضرب ــ علمه أبى كما علمنى ، والتحق بمدرسة تابعة للأوقاف تجمع فى تعليمها بين العلوم الدينية والمدنية ، ثـــم تخرج منها والتحق بمدرسة القضاء فى القسم الأول ، إذ كانت مدرسة القضاء تنقسم إلى قسمين ، فقسم أول ومدته خمس سنوات ، وقسم عال ومدته أربع سنوات ، وهذا الأخير هو الذى التحقت أنا به ، وكان أخى فى السادسة عشرة من عمره ، وقضى السنة الأولى فى الدراسة بنجاح . وتفوق فى الرياضة فنال جائزتها " .[١]

وقـــد حدث فى بيته حادث غير طعم الحياة ، فقد مرض أخوه الأصـــغر هذا وارتفعت حرارته ارتفاعا شديدا ، وكل من فى البيت قلق على هذا الشاب لقد أصيب بالحمى التيفودية تلك التى كان أحمد أمين قد أصيب بها ، لكن حالته كانت أخطر من أحمد ، واستدعوا له الطبـــيب ، ولكـــن المـــرض قد اشتد على أخيه الصغير ، ولم يغن الطبيب ولم يغن الدواء ، وأخيرا وبعد سوء حال لفظ أخوه أنفاسه ، وقامت قيامة البيت .

---

(١) حياتى ــ ص ١٢٢ .

يصف أحمد أمين الحال بعد وفاة أخيه وكأنه يصف نمطا من أنمـــاط حياة المصريين فيقول : " فأما أمى فتلطم وجهها حتى تسقط مغشيا عليها ، وأما أبى فيحترق قلبه فى الباطن ويتجلد فى الظاهر ، وتعــد العــدة لدفنه وتسير جنازته إلى الأمام حيث أعد أبى مدفنه ، ويـــرفض أن يقيم مأتما ، وأن يقابل أحدا ، فأقيم المأتم وأقابل الناس ويـــنقلب بيتنا محزنة ، وكل خميس يجتمع النساء للعويل والصراخ وتدعـــى (المعددة) تغنى غناء حزينا بكلام يثير الشجون ، ويقطع القلوب ، فلما فرغت (خمساننا) التزمت أمى أن تذهب كل خميس إلـــى بـــيت مأتم ، تعرف أهله أو تعرفهم ، فكل المآتم سواء ، وكل الحزانـــى أصدقاء ، وتنفرد بنفسها (فتعدد) كالمعددة ، وكل شيء يلهمها البكاء ، ـــ حجرته التى كان ينام فيها ، وأصدقاؤه الذين كان يلقـــاهم ، وكل شيء يذكرها بـــه موعد الأكل ، وموعد الخروج إلى المدرســـة ، ومـــوعد العودة منـــها ، فأما أبى فقد صبر على حزن دفين ، حتى أبى إلا أن يغسله بيده ويدفنه بيده وكانت سلواه أن يكثر من تلاوة القرآن ويهب ما يقرؤه إلى روحه ، وسمع بكتاب للسيوطى " فضل الجلد عند فقد الولد " فنسخه بيده ، يتصبر بقراءته وكتابته .

وأما أنا فقد وضع هذا الحادث على عينى منظارا أسود ، فلا أرى فـــى الدنـــيا إلا السواد ، ولا أحب أن أسمع من الأصوات إلا صـــوت البكاء ، فالشجرة الناضرة إلى ذبول ، والحياة المبتهجة إلى فـــناء ، والحمامة إذا غنت فإنما تبكى ، والسعيد إنما يسعد ليشقى ،

وانقلــبت فى عينى قيم الأشياء ، فهذا الذى يكسب المال لم يكسبه ؟ وهذا الذى يعمل لم يعمل ؟ والناس مجانين إذا تخاصموا ، ومجانين إذا لهــوا أو ضحكوا ، فالدنيا لا تزن جناح بعوضة وخير للناس أن يقضــوا حياتهم من غير اكتراث حتى يدركهم الموت ، واستولى هذا الحــزن علــى أســابيع بل أشهرا حتى سميت فى مدرستى (بمالك الحــزين) فــإذا نسيت الحزن بعض الوقت فى مدرستى ذكرته فى بيتــى من منظر أمى ، ولا تسل عن موقف دقيق وقفته وحرت فى التصــرف فــيه ، فقـــد أتى موعد صرف مكافآت المسابقات فى المدرسة ، وكان أخى هذا الذى مات يستحق مكافأة الرياضة وهى لا تصـــرف إلا بإمضاء مستحقها فإذا لم يكن فإمضاء أبيه ، وأنا واثق أنـــى إذا أخبرت أبى فإنما أشعل فى قلبه نارا جديدة وأعيد عليه يوم مأتمه من جديد ، ففضلت أن أترك المكافأة وألا أخبر بها أبى " . [١]

وأحمد أمين بهذا يجيد تصوير البيت الذى كان يسكنه ، وكان حديـــثه فـــى كـــل ما مر حديث الواعى البصير ، فوصف كل هذه الأحـــوال وتلـــك الظـــروف وكأنه يعيشها من جديد ، أو كأنه يراها ويشاهدها .

ثم تضاعف حزن البيت ، وكثر همه حين أصيب أخوه الكبير بانفجـــار فى المخ نشأ عنه شلل فى النصف الأيسر ، وتبع ذلك كله

---

(١) حياتى ـــ ١٢٣ ـــ ١٢٥ .

وفاتـــه ، وظلـــت الأسرة تعيش فى قلق لا يوصف وبكاء لا ينقطع وحزن يذكر بحزنهم على ابنهم الذى مات قبل . [١]

وحـــين صدر مرسوم لتعيين أحمد أمين قاضيا ، كان المكان الـــذى عين فيه هو " الواحات الخارجية " وهو مكان بعيد يحتاج إلى ســفر طويل وإلى غربة عن الأهل والأصحاب ، وسافر أحمد أمين إلـــى الواحات وقضى فيها مدة ثلاثة أشهر ، ودون أثناءها مذكرات يومية نقلها بنصها فى كتابه " حياتى " . [٢]

وهـــذه اليومـــيات استمرت ثلاثة أشهر ، وكانت هذه الأشهر الـــثلاثة تمـــثل فـــراغا كبيـــرا فـــى حياة أحمد أمين ، لأن القضايا المعروضـــة فى هذه المدة كانت قليلة جدا ، فلم تزد عن تسع قضايا وكانت جميعها من القضايا البسيطة التى لا تضيع الوقت ولا تحتاج إلى إعمال فكر .

يقول الكاتب : " فملأت فراغى بشيئين : الرحلات إلى الآثار الموجـــودة بالخارجـــة ، وقـــراءة الكتب . فأما شغفى بالآثار فكان عجيـــبا ، لأن الآثـــار الموجودة آثار قديمة وثقافتى فيها محدودة أو معدومـــة ، وربما كان السبب فى شغفى بها ما تولد عندى من حب الآثـــار والإعجـــاب بها يوم كنت أزور الآثار الإسلامية مع صديقى أحمد بك أمين ، وقد كنت فى كثير من الأحيان أصحب مفتش الآثار

---

(١) حياتى ـــ ١٢٥ ـــ ١٢٧ .

(٢) حياتى ـــ ١٣٥ ـــ ١٤٥ .

ليدلى إلى بمعلوماته عنها ، وقد كنت أدون يومياتى وأصف كل أثر رأيته وما تركه فى نفس من أثر ، وكانت هذه الآثار بعضها فارسية من عهد احتلال الفرس لمصر ، وبعضها من آثار قدماء المصريين ، وبعضها رومانية ، وبعضها مقابر مسيحية لا تزال تحتفظ بجثث الموتى وأكفانها ، بل لا يزال بعضها محتفظا بشعر الرأس والذقن من جودة التحنيط ، وبعضها أسود الوجه غائر الجبهة بارز الأسنان . وبعضها ــ وهو الأكثر ــ أبيض الوجه منفرج زاوية الوجه " .(١)

ثم يتحدث عن السيدة الإنجليزية (مس بور) تلك التى كان لها فى نفس أحمد أمين وعقله أكبر الأثر ، ودرس على يديها اللغة الإنجليزية ، ودرس على يديها أيضا الجزء الثالث من كتب (بيرليتز) وكتبا أخرى فى الأخلاق والاجتماع ، كما قرأ معها فصولا من جمهورية أفلاطون الإنجليزية ، وظل أحمد أمين يلازم هذه السيدة لمدة أربع سنوات ، واستفاد كثيرا من عقلها ومن كثرة تجاربها .

وهكذا يسير الكتاب (حياتى) فيصور حياة أحمد أمين طفلا وشابا ، حياة ملئت بالكد الدائب والسعى المتواصل فى طلب العلم ، فقل أن يفارقه الكتاب ، ورزقه كان فى كل أطوار حياته متصلا بعلمه من درس يدرسه أو كتاب يصححه أو نحو ذلك ، لا يمنعه عن

---

(١) حياتى ــ ص ١٤٦ ــ ١٤٧ .

ذلـــك مرضه ولا قصر نظره الذى لازمه منذ طفولته ، ولقد من الله علـــيه بالتوفيق فى كل أعماله التى أسندت إليه سواء فى التدريس أو فـــى القضـــاء أو فـــى لجنة التأليف أو فى الجامعة الشعبية ، أو فى عمادة كلية الآداب .

وقد نعته كثير من أعلام العصر نعتا يعد شاهدا على أثره فى الحياة العقلية والعملية [1] .

يقـــول الدكتور طه حسين : " لقد أهدى أحمد أمين إلى العالم الحـــديث بتألـــيف (فجـــر الإسلام وضحاه وظهره) كنزا من أقوم الكـــنوز حفظـــا مـــن الفنـــى وأقدرها على البقاء ومطاولة الزمان والأصراح .

ويقـــول الأمير مصطفى الشهابى : " إن السلسلة الرائعة من تـــاريخ الأدب العربـــى التـــى تبدأ بفجر الإسلام وتنتقل إلى ضحى الإسلام فإلى ظهر الإسلام ، كنوز من المعرفة كتبت بأسهل لسان ، ونقلت من أصح مصادر ، واشتملت على أدق الآراء العلمية .

يقـــول الأســـتاذ أحمد حسن الزيات : " حسب أحمد أمين أنه حلل الحياة العقلية للعرب والمسلمين فى كتبه : فجر الإسلام وضحاه وظهـــره ، تحليلا لم يتهيأ لأحد من قبله ، وستظل هذه الكتب الخالدة شـــاهدة على الجهد الذى لم يكل ، والعقل الذى لم يضل ، والبصيرة

---

(١) حياتى ــ ص ٣٦١ وما بعدها .

التـــى نفــذت إلى الحق من حجب صفيقة ، واهتدت إليها فى مسالك متشعبة . "

ويقــول الأســتاذ محمــود تيمور : " اقرأ كتاب فجر الإسلام وصــنويه الضحى والظهر تلمح خلف مظاهر البحث والدرس لوامع الــروح الأصــلية التى تميط الغبار عن معالم الفكر العربى وتريك الضوء من مصابيحه . "

الفصل الثامن

المقالة والبحوث والدراسات المنهجية

تمهيد

اتضح من الفصول السابقة أن المقالة العربية تكاد تحتل مقام السيادة على سائر الفنون النثرية الأخرى من خطبة ، أو قصة ، أو رسالة ، أو مسرحية ، أو غير ذلك ، لسبب جوهرى وهو أننا لو استعرضنا الألوان المقالية ، ونظرنا ما تتميز به من سمات فى طبيعتها لوجدناها تخولها هذه المكانة ، فجوهر المقالة يقوم على فكرة ما تشغل ذهن الكاتب ، وتدور هذه الفكرة فى ذهنه مفصلة عن غيرها ، مرسومة الحدود ، موضحة المعالم ، وأخيرا يقوم الكاتب بتسجيلها كتابة فى الصور الملائمة ، ويأخذ يدعمها بالحجج والبراهين ، وبما يؤيد رأيه ويتفق مع مذهبه ، حتى إذا ما انتهى من توفيتها حقها ختمها بالخاتمة التى تناسب .

فالمقالة إذن مطية ذلول للأغراض ، والاتجاهات والمذاهب ، وهى الأداة المناسبة لتلك الأصوات والميول الكثيرة التى تملأ الساحة العربية ، ولا أدل على رسوخ تلك الحقيقة من النظر فى النتاج النثرى ــ على اختلاف فنونه ــ أو على البحوث والدراسات المنهجية ، فإن كل واحدة من هذه تعلن أن وراءها أديبا يدرك قيمة

المقالـــة وحقيقتها وأهميتها ، ويدرك صلتها بالغايات التى يقصدها ، والتى وقف نفسه على تجليتها والدفاع عنها .

وخلاصـــة القول أن فن المقالة قد استطاع أن يؤدى رسالة ، وأن يقـــدم نفعـــا كثيرا ، لذا راجت سوق الكتابة ، وتركت أثرا فى المجـــتمع والحياة ، ودفعت بكثير من العلوم والفنون — وعلى وجه الخصـــوص الأدب — إلى الدقة والتركيز ، واستقامة العبارة ، حتى نسجت من ثم أبحاث عامة لكل الأدباء ، متنوعة الأساليب ، متفاوتة فى طرائق التعبير .

وأبـــرز مثال على ذلك الكتب التى كانت فى الأصل مقالات والتـــى صال فيها وجال أصحابها [١] ، لقد كشفت عن مدى إدراكهم للحـــياة العامة بمؤثراتها ، كما كشفت عن مدى إدراكهم للاتجاهات الفنـــية التى سلكها الأدباء على اختلافهم ، وما كان بينهم من فروق إبداعـــية ، وليس من شك فى أن بعض هذه الكتب كانت تعد تجديدا فى الدراسات الأدبية ، وعملا جديدا فى التأليف الأدبى .

وهـــذه هي أهم المحاور التي دارت فيها البحوث والدراسات المقالية :

أولا : المحاور الأدبية والنقدية :

إن نظـــرة شـــاملة إلى مجموع ما ألف من كتب مقالية توحى إليـــنا بـــأن معظم الجهد يكاد ينحصر فى المرتبة الأولى فى الأدب

---

(١) انظر على سبيل المثال : العبرات ، المنفلوطى .

والـــنقد بمعناهما الواسع العريض ، ويخيل إلينا أن انحصار الجهود علـــى هذا المحور يبرز فكرة شبه واضحة عن المعارك الأدبية التى ســـادت العصر ، ويبرز كذلك صورة من صور التباين والاختلاف التـــى كان يسلكها المؤلفون والدارسون ، إن فى الاتجاهات ، أو فى المـــناهج والطـــرق ، علـــى أن دراســـة هذا المحور قد تنطبق كل الانطـــباق أو بعضه على الفنون الأخرى ، وتمكن من قياس الأمور بنظائرها ، وتسمح بتكوين فكرة عامة عن هذه المؤلفات وقيمتها [١].

لقـــد انطلـــق الكـــتاب فـــــى هـــذه المقالات التى ألفت كتبا يسجلون فيها أروع الصفحات ، وأبلغها فى الأدب والنقد ، والثقافة ، تـــدفعهم فـــى ذلك غايات حميدة ، وإنتاج فنى رائع فى مختلف فنون الأدب .

إن معظـــم الـــناس لا يقبلون على قراءة مـــا تذيعه الصحف وتنشـــره المجـــلات ، وكأنهم يلزمون الكتاب أن يجمعوا مـــا نشر مفرقا ، حتى تشعر الأجيال الناشئة بوجوده ، لدرجة أن شهدت هذه الفتـــرة ظهـــور كـــتب جديدة تنسب لكبار الأدباء كانت فـــى أصلها مقـــالات ، وأخذت هذه الكتب تتداول فى مجتمعات المثقفين فى كل أنحاء العالم العربى .

ولكى نكون على بينة من هذه الكتب لا بد مـــن التعرف على بعضها ، والإشارة إليها ، ومن أشهرها :

---

(١) انظر : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، د / السيد مرسى أبو ذكرى .

١ – النظرات ، لمصطفى لطفي المنفلوطي .

٢ – زكي مبارك ناقدا ، مقالات لزكي مبارك .

٣ – ثورة الأدب ، لمحمد حسين هيكل .

٤ – في أوقات الفراغ ، لمحمد حسين هيكل .

٥ – تراجم مصرية وغربية ، لمحمد حسين هيكل .

٦ – حديث الأربعاء ، لطه حسين .

٧ – حافظ وشوقي ، لطه حسين .

٨ – فصول في الأدب والنقد ، لطه حسين .

٩ – وحي القلم ، للرافعي .

١٠ – على السفود ، للرافعي .

١١ – في المرآة ، عبد العزيز البشري .

١٢ – المختار ، عبد العزيز البشري .

١٣ – ساعات بين الكتب ، للعقاد .

١٤ – مطالعات في الكتب والحياة للعقاد .

١٥ – شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، للعقاد .

١٦ – اليوميات ، للعقاد .

١٧ – وحي الرسالة ، أحمد حسن الزيات .

١٨ – حصاد الهشيم ، للمازني .

١٩ – في الميزان الجديد ، لمحمد مندور .

وهـذه هى أهم المحاور اللغوية والأدبية التى فرضت نفسها على كتاب هذه الكتب المقالية :

(أ) الدعوات الإصلاحية .

(ب) الاتجاهات الفنية المتعددة .

(ج) الأدب العربى لماذا ؟

(د) الغزو الفكرى .

(هـ) الدعوات العصرية .

(و) تفسير العمل الأدبى .

(ز) آراء فى شعراء العصر .

(ح) الإبداع النثرى .

(ط) القضايا النقدية .

(ى) دراسة الشخصيات .

(ك) التعريف بالكتب .

(ل) طرح القضايا الأدبية .

ثانيا : المحاور الاجتماعية والسياسية :

تضـاف إلـى المحـاور السابقة محاور أخرى اجتماعية وسياسـية ، وكلهـا محاور يعمد الكاتب فيها إلى إثارة العواطف ، وتبصـير الجمهور بما يحيط بالبلاد من مخاطر قد تكون خارجية ، وقد تكون داخلية .

ودور الكـــتاب فـــى إبراز هذه المحاور يقوم على الملاحظة الدقيقة ، والعمق والتأمل ، والبراعة فى التهكم والسخرية من الأشياء المرفوضة التى تضر بالمجتمع .

وهذه هى أهم المحاور الاجتماعية والسياسية :

(أ) المشاكل الاجتماعية .

(ب) المشاكل الحزبية .

(ج) الأفكار السياسية والوطنية .

(د) التربية والتهذيب .

(هـ) تحرير المرأة .

(و) نظرات فى الحياة .

(ز) أحوال المجتمع .

ومـــن أشـــهر الكتاب الذين تناولوا هذه المحاور: جمال الدين الأفغانى ، وعبد الرحمن الكواكبى ، وقاسم أمين ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، والشيخ على يوسف ، ومصطفى كامل ، وغيرهم .

ثالثا : المحـــاور الدينيـــة :

وهناك محاور أخرى غاية فى الأهمية وهى المحاور الدينية ، وقـــد فرضـــت هـــذه المحاور الظروف والمؤثرات الخارجية التى تعـــرض لها العالم العربى فى العصر الحديث ، فعلى الرغم من أن الـــيقظة الفكرية والثقافية أخذت تسرى فى أرجاء العالم الإسلامى ــ ومنه العالم العربى ــ نحن نجد ضغطا خارجيا يتمثل فى الاستعمار

والتبشـــير ، وغير ذلك من الدعوات العصرية ، وكلها تفرض على كـــتاب العـــالم الإسلامى أن يهبوا للدفاع عن الإسلام ، والذود عن حياضه ، وملاحقة كل أولئك الذين يريدون تشويه صورة الإسلام ، أو يشهرون التشكيك والحملات التبشيرية (١) .

والنتيجة الطبيعية والمنطقية لكل هذه الظروف والمؤثرات أن تفاعـــل رد الفعـــل فى النفوس والأذهان ، وصارت له آثاره البعيدة علـــى الفكـــر والنشاط الثقافى والدينى ، وراحت نوعية الاتجاهات الأدبية كلها ـــ ومنها المقالة ـــ تتأثر ، وصار كل أديب على وعى تام ، وفهم راشد لوظيفة الأدب وأثره فى مسار الأمة .

أما أهم المحاور الدينية فكانت تدور حول (٢) :

(أ) المناسبات الإسلامية .

(ب) المقتضى الإسلامى .

(ج) مواجهة حرب القيم الإسلامية .

(د) الروح الإسلامية .

(هـ) السيرة النبوية .

(و) الإصلاح الدينى .

(ز) الدفاع عن الإسلام .

(ح) عالمية الإسلام .

---

(١) انظر : المقالة فى أدب العقاد ، د / عبد القادر رزق الطويل ، ص ٩٥ وما بعدها .

(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ١٠٨ وما بعدها .

(ط) مستقبل الإسلام .

(ى) لماذا تأخر المسلمون ؟

ومـــن أشـــهر الكـــتاب الذين عالجوا هذه الهموم : مصطفى صادق الرافعى ، وطه حسين ، والعقاد ، وشكيب أرسلان ، ومحمد حسين هيكل ، وعبد العزيز البشرى ، وأحمد حسن الزيات ، وأحمد أمين ، وغيرهم .

إن المحـــاور الدينية فى البحوث والدراسات المقالية للأستاذ أحمـــد أمـــين مثلا فوق أن تحصر ، وهى بمجموعها تعطى تصورا قـــويا وصـــحيحا عـــن الإسلام فى حقيقته ، وانظر إن شئت كتاب الدكتور / رجب البيومى : (أحمد أمين مؤرخ الفكر الإسلامى) [١] لترى كيف كانت آراء الرجل فى : أسباب تأخر المسلمين ، ووسائل ارتقاء الأمة الإسلامية ، والإلحاد وأسبابه ، وأثر الدين فـــى الحياة ، وتحذيـــره مـــن المـــدارس التبشـــيرية ، ودعوته إلى الاجتهاد فـــى التشريع [٢] .

---

(١) دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـــ ـــ ٢٠٠١ م .

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٢٥ وما بعدها .

من كتاب المقالة في الجزيرة العربية

محمد بن سعد بن حسين

مولده ونشأته [١] :

ولد ابن حسين عام ١٣٥٢ هـ ، وبزغ فجره في بيت علم له شـأنه فـي الإرشـاد والتوجيه ، وفي كنف أسرة تشتهر بالصلاح والتقوى ، ومن هنا كان حبه للعلم والعلماء ، وكان كل ما في حياته سيرة طالب علم .

التحق بحلقات العلم بالرياض ، ولازم أشهر علمائها ، وأتم دراسته في المعهد العلمي بها ، ثم في كلية اللغة العربية ، وذلك من عـام ١٣٧٣ هـ حتى عام ١٣٧٨ هـ ، ثم عمل في المعهد العلمي ومـن بعـده فـي كلـية اللغة العربية ، ثم سافر إلى مصر والتحق بالدراسات العليا في كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، وهو الآن يعمل أستاذا متفرغا للدراسات العليا في كلية اللغة العربية — جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض .

وهـا هو ابن حسين ما يزال على قيد الحياة تتفتح أمامه آفاق الأدب والشـعر ، وتفـتح له وسائل الإعلام – من صحف ومجلات وإذاعـة وتلفاز وغيرها – أبوابها لينشر كل مايعن له في مناسبات ، وفي غير مناسبات .

---

(١) انظر للمؤلف : ابن حسين بين التراث والمعاصرة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

إبداعه النثرى :

لـــم يكن نثر ابن حسين موضع اهتمام من الدارسين الذين كتـــبوا عنه ، وإذا تناولنا ما وصل إلينا من شواهد نثره لتأكد لنا أنه ذو موهبة نثرية ، وأن براعته فى نثره لا تقل درجة عن براعته فى شعره .

ويمكـــن تقســـيم نثـــره إلى : (مقدمات لمؤلفاته ودراساته ، والمذكرات والذكريات ، والمقالات ، وشرح القصائد ، والمراسلات ، والقصة) لكنه لا يزال بحرا متلاحق الأمواج فى كتابة المقالة بكل فـــنونها ، ومن يطالع صحف ومجلات الجزيرة العربية بصفة عامة والمملكـــة العـــربية الســـعودية بصـــفة خاصة يراه يبدع العديد من المقالات التى يصعب حصرها ، كما يرى أن موضوعاتها كلها تدور حول شتى أمور الحياة من عقيدة إسلامية ، وأدب ، واجتماع ، ونقد ، وغير ذلك .

والواقع أنه مع ما بين مقالات ابن حسين من تداخل فإننا نرى أن أهم ما كتبه فى هذا اللون ينقسم إلى ما يأتى :

المقالة الذاتية :

وهـــى الألـــوان المقالية التى اهتم فيها بالتصوير والوصف ، وغايـــته فى هذا اللون المقالى هو تصوير البيئة المكانية التى يعيش فيها كما تتراءى له كأديب دقيق الملاحظة عميق الإحساس .

وله مقالات وجدانية أخرجها فى صور ولوحات رائعة ، وهو فـيها يصـطحبنا إلـى أعماق نفسه وما يضطرب فيها من انفعال ، وكأنـه أراد أن يقـدم لنا صورة من إحساساته ووجدانه ، وكل هذه المقالات تعتمد على قوة العاطفة الوجدانية ، كما تعتمد على وضوح الأفكـار والتعبيـرات ، سـاعد على ذلك حسن اختياره للكلمات ، وبراعته فى وضعها فى المكان اللائق بها .

المقالة الموضوعية :

وهى تلك التي كان يهتم فيها بنشر أفكاره ونظرياته فى الأدب والنقد ، وما إلى ذلك من أهداف وغايات متعددة ، وهذا اللون يتوزع عـنده إلـى الموضـوعات التالية : (المقتضى الإسلامى ، والتأمل الفكـرى ، والتعـريف بالكـتب ، ودراسة الشخصيات ، والبحوث العلمية ، وطرح القضايا الأدبية) .

وهـناك مقالات لا حصر لها كتبها ابن حسين حول القضايا الأدبـية ، والقيم الفنية المختلفة فى سائر الأعمال الأدبية ، وقد يعمد فـى مـثل هذه المقالات إلى الموازنة بين أديب وآخر ، أو الموازنة بـين عمل أدبى وعمل أدبى آخر من جنسه ؛ ليستبين فضل أحدهما علـى الآخر فى النواحى الموضوعية ، والقيم الفنية المختلفة ؛ ومن ثـم يكـون حكمه على الأدب من جهة ، وعلى الأديب بالأصالة أو بالتقليد من جهة أخرى .

ومما كتبه في مقدمة ديوانه (أصداء وأنداء) يعرف فيه بشعره وطبيعته ، ويكشف عن مذهبه في الشعر ، ورأيه بين الشعر والنثر ، يقول [١] :

" ... أما عن الشعر نفسه فيكفيك أنك تعلم أنه صورة إحساس شاعر وقبس شعوره ، ونخالة فكره ، وخلاصة تفكيره أودعه نبضات قلبه ، واستودعه خياله وإلهامه ، في قالب اختاره لفنه وارتضاه له ، قد يوافقه عليه الآخرون وقد يخالفونه ، ولكنه به راض على أي حال ، وطبيعي ألا يفصل فيه القالب عن المحتوى وذلك ما لا جدال فيه .

وإنما حصل الخلاف عند المتأخرين على نوع الشكل وأسلوب تشكيله ، وهذه مسألة فرغنا من الحديث فيها في غير هذا المقام .

على أني أذكر بأن الشعر شيء والنثر شيء آخر ، ولا مجال للخلط بينهما إلا عند غير المحققين الذين يريدون أن يجعلوا من الشمس قمرا ومن القمر شمسا ، ولله في خلقه شئون ، على أن للشعر العربي طبيعة متميزة وكيان متميز أيضا ، وإنما يحس ذلك ويعرفه أولئك الذين تجردوا من الهوى النفسي ، وقويت صلتهم بتراث الأسلاف ، وما مر به في حياته الطويلة من تغيير أو ثبات ... " .

---

(١) أصداء وأنداء ص ٦ ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م .

ومـــن يقرأ هذه المقدمة جميعها يحس أنها إضاءة جيدة تعين القـــارئ والناقد على السواء فى قراءة الأشعار وفى تفسير كثير من الجـــوانب الأخرى المهمة ، كما تظهر هذه المقدمة ثقافة ابن حسين الأدبية والنقدية ، وتظهر كذلك تواضعه ولينه كعالم ، وكيف أنه كان يعتمد فى كل ما يصدر عنه على أنه وجهة نظر قابلة للأخذ والرد .

وفـــى تقديمـــه لكـــتاب (أدب عـــبد العزيز الرفاعى دراسة موضوعية وفنية ـــ لإبراهيم بن محمد الشتوى) نراه يعلل للاهتمام بأدب الرفاعى فيقول [١] :

"فـــإن خدمـــة أى واحد من هذه الأمة تحمل ضمنا خدمة فكر هـــذه الأمة عن طريق اشتمالها على الإشارات والإيحاءات المباشرة وغيـــر المباشـــرة ، وذلك لكون الأديب واحدا من هذه الجماعة التى تربطه بها روابط غير محدودة ، فتجعل مشكلاتها مشكلاته .

ومن هذا المنطلق تاتى دراسته أدب الرفاعى الذى حمل كثيرا جـــدا مـــن خصائص هذه الأمة ، وكثيرا جدا من منطلقات مكوناتها التاريخـــية والفكـــرية والأدبية والاجتماعية بوجه عام ، وبخاصة أن الرفاعـــى لـــم يكـــن شخصـــا عاديا بل ولا مثقفا عاديا ، وإنما كان أنمـــوذجا متميـــزا ، تلمس هذا التميز منبثا فى تضاعيف أدبه الذى

---

(١) أدب عبد العزيزالرفاعى دراسة موضوعية وفنية ، إبراهيم بن محمد الشـــتوى ص ٩ . دار الرفاعى للنـــشر والطبـــاعة والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـــ ١٩٩٩م .

شـــمل هذا البحث كثيرا منه على نحو لا يحوجك الوصول إليه إلى مـــزيد من تأمل ، ومزيد من تفكير ، وتلك سمة أعمال الأصلاء من أهل الفكر والإبداع فى كل ميدان من ميادين الحياة الرحبة " .

ومن ذكرياته عن الكتاب وصلته به نراه يقول [١] :

" وحـــين ألقى على هذا السؤال : كيف أنت والكتاب ؟ أخذت الذكريات تتداعى : ما الكتب التى قرأتها ؟ وما الذى استفدته منها ؟ وهـــل احتفظت بها على حالها أم أن كثيرا منها قد فقد ؟ وكيف كان ذلـــك ؟ ومتى بدأت صلتى بالكتاب ؟ وما آثرها عندى ؟ وكيف كان تعاملى مع الكتاب شراء وقراءة وصيانة وتأليفا ؟ .

كـــل ذلـــك وأكثـــر منه ورد على ذهنى عندما ألقى على هذا الســـؤال ، فلقـــد [illegible] تلك الأيام [illegible] كنت فيها أقضى وقتا ليس باليسير فى تقليب [illegible] وعمى فأصفها حسب مقاساتها ، وأتمنى لـــو عرفت كل ما اشتملت عليه ، وما أكثر ما مررت أصابعى على حروفها حيث كانت تأتى شبه بارزة فى الطباعة القديمة ، حتى إننى كـــنت أميـــز بعـــض الحـــروف فى كثير منها ، ولكن هل كان فى مقـــدورى قراءتها ؟ إن ذلك كان مستحيلا كل الاستحالة ، ومع ذلك اتصلت صحبتى لها أقضى معها أحلى الساعات حتى صرت أعرف

---

(١) مجلة الحرس الوطنى (السعودية) العدد ٢٠١ ـــ السنة العشرون ـــ ذو الحجة ١٤١٩ هـــ ـــ مارس ١٩٩٩م ص ٨٤ ، ٨٥ .

هــذا من ذاك ، بل إنى كنت أميز أجزاء الكتاب الواحد بعضها من بعض ، وما أزال أذكر كثيرا من سماتها " .

أمــا عن المقالة الدينية عند ابن حسين فيمكن القول إنه كانت لــه اهــتمامات مبكــرة فــى حقول الدعوة الإسلامية ، لقد أفاد من الجو الإســلامى الــذى تعيشــه المملكة ، وتوثقت بينه وبين مشائخه الــروابط منذ بدايات تلمذته الأولى ، كل ما فى الأمر أن هذه المقالة إنما تأتى فى الوقت الحالى — من حيث الكم والكيف — بعد كتاباته الأدبية والنقدية .

يقول بعنوان " مظهر آخر من الحرب ضد الإسلام " [١] .

" إذا كانــت محاربة الإسلام هى الهدف الأول للحملات التنصيرية ، لكــونه — كمــا يــرون — العــدو الأول لهــم ، فإن جماعات من المستشــرقين قد فتحوا جبهة أخرى فى الحرب ضد الإسلام ، وهى حــرب ضــد الكتاب العزيز ، والحديث الشريف ، ومحمد — عليه الصلاة والسلام — وتراث الأمة الإسلامية .

ولــم تكن جديدة فى حقيقتها وواقعها ، ولكنهم جدوا فيها فى العصر الحديث ، وهى محاربة اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن الكــريم والسنة النبوية المطهرة ، وتراث الأمة الإسلامية ، وإحدى الروابط الوثيقة التى تلتقى عليها الأمة .

---

(١) الرسالة والرسوف ، ابن حسين ص ٩٩ ، ١٠٠ . مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ — ١٩٩٢ م . دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع .

وهــم فى حربهم اللغة العربية كانوا يعملون على نجاح واحد من أمرين :

أولهمــا : أن تحل اللغة الإنجليزية أو الفرنسية محل اللغة العربية ، فإن لم يكن ذلك فالأمر الثانى :

وهو إحلال العامية محل اللغة العربية الفصحى ، وغرضهم من ذلك يمكن تلخيصه فى ثلاثة أهداف :

الأول : محاربة الإسلام .

والثانى : تمزيق أمة القرآن .

والــثالث : فــرض اللغة الإنجليزية ، أو الفرنسية ، وثقافتهما على الأمـــة العربية لتصبح بلادنا جزءا من بلادهم ، أو على الأقل تصير الأمة العربية من البلدان الناطقة بالإنجليزية أو الفرنسية .

وآثار تلك الحرب الفكرية والثقافية لا تزال مشهودة فى بعض البلدان العربية التى منيت بالاستعمار الإنجليزى أو الفرنسى .

وكان طبيعيا بالنسبة لدعوتهم أن تكون محاربة القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وتراث الأمة جزء مــن عملهم . . ولما كنت قد تحدثت عن ذلك فى بعض مما ألفت لم أر من المناسب إعادة الحديث عن هذه الموضوعات فى بحث أردته مختصرا " .

الفصل التاسع

الخصائص الفنية العامة للمقالة

دراسة وموازنة

تلــك هى الأنواع التى كانت تنتظم المقالات ، بقى علينا إذن أن نعــرف المقومات والخصائص الفنية للمقالة ، لأن المقال — أى مقال — ليس حشدا من المعلومات ، وليس كل هدفه أن ينقل المعرفة بــل لا بــد إلى جانب ذلك أن يكون مشوقا ، ولا يكون المقال كذلك حتــى يعطيــنا من شخصية الكاتب بمقدار ما يعطينا من الموضوع ذاته ، فشخصية الكاتب لا بد أن تبرز فى مقاله لا فى أسلوبه فحسب بــل فـــى طريقة تناوله للموضوع وعرضه إياه ، ثم فى العنصــر الذاتى الذى يضيفه الكاتب من خبرتــه الشخصية وممارسته للحيــاة العامة [١] .

الخصائص العامـــة :

وهـــذه بعــض المقومات العامة التى ينبغى أن تتوفر فى كل نوع من أنواع المقال :

١ – لابــد أن يكون المقال قصيرا ، ومن ثم فيجب البعد عن المقدمات والأخذ فى عرض الفكرة مباشرة .

---

(١) الأدب وفنونه ، د / عز الدين إسماعيل ص ٢٨٩ .

٢ – تحديـد موضوع المقالة ، وتشخيص الفكرة المعروضة وتجليـتها بألفاظ واضحة وأسلوب مرسل يفهمه القارئ ، لأن المقالة قضايا عامة تتصل بالفكر وبالأدب ، كما تتصل بالحياة ، وهذه أمور يخاطب بها العامة كما يخاطب بها الخاصة .

٣ – الأخـذ برح القصة القصيرة فى القصر من ناحية وفى قـوة الـربط مـن ناحية أخرى ، ثم فى إظهار عنصر التشويق من ناحية ثالثة ، لأن الكاتب يعرض فى مقاله ثقافته الشخصية وتجاربه في الحياة ، فلا بد وأن يختار لمقاله منهجا فنيا يعرف به .

٤ – التزام الألفاظ والأساليب العربية ، لأن الالتزام بذلك هو الـذى يجعـل لمقالة الكاتب قيمة ، وإن كان كثير من الكتاب الكبار يسـتطيعون بفضـل عبقـريتهم أن يخلقوا من المادة البسيطة ومن التراكيب العامة مقالا أدبيا ممتازا .

٥ – وإذا كان من المتعارف أن الهدف من المقال هو إيصال فكرة محددة إلى المتلقى غالبا ، إلا أنه ينبغى أن يكون لكل نوع من المقـال أسـلوبه المتميز ، فالمقال السياسى مثلا يجب أن تتوفر فيه الأناقة والبساطة والصراحة ، والمقال الاجتماعى يحتاج إلى الصدق فـى العاطفة ، والدقة فى التصوير ، والسلاسة فى التعبير ، وإقامة البراهين والأدلةعلى الفكرة التى يريد الكاتب إيصالها ، وفى كل هذا ينبغـى أن تبرز شخصية الكاتب من خلال عرضه لأسلوبه وطرحه لفكـرته . وإذا كان هذا مهما فى المقالات ذات الصبغة الموضوعية

التـــى تتصل والتاريخ والحقائق العلمية فإنه أشد أهمية فى المقالات التى تكون موضوعاتها ذاتية .

هـــذه هـــى الخصائص العامة لفن المقالة التى يدركها القارئ لأول وهلـــة تقـــريبا ، وليس يخفى أن هناك خصائص أخرى دقيقة تـــرتبط بطبـــيعة كل كاتب ، وبطبيعة الموضع المتناول ، مثل قول الدكـــتور / عـــبد القادر رزق الطويل فى الخصائص الفكرية لأدب المقال عند العقاد [١] :

" – مقال العقاد فى كل أغراضه حافل بالفكر ، ملئ بالمعانى الشرقى منها والغربى ...

– اعتداده بمذهب الحرية ، والحفاظ على كرامة الإنسان ..

– عمـــق الفكـــرة ، مـــع قـــدرة كبيرة على التحليل والتعليل واستيعاب جوانب الفكرة .. "

<u>خطة المقالـــــة</u>

تطلـــق المقـــالـــة على الموضـــوع المكتـــوب الذى يوضح فكرة ما [٢] ، تدور حولها مجموعة من المعانى التى يقصدها الكاتب ويفصـــلها عـــن غيرها ، ويرسم حدودها ومعالمها ، وقد تطلق على قضـــية علمـــية أو اقتصـــادية أو اجتماعية تشغل الكاتب فيشرحها

---

(١) المقالة فى أدب العقاد ، ص ٢٩٢ وما بعدها .

(٢) الفكرة هى مضمون القالب .

ويعرضـــها فـــى الصـــورة الملائمـــة [١] ، مؤيدا عرضه بالحجج والبراهين حتى إذا انتهى من العرض كانت الخاتمة .

ومن هنا ينبغى أن نذكر أن خطة المقال هى تصميمه وهيكله العـــام الذى يؤدى من خلاله مضمون المقال [٢] ، وهذه الخطة تقوم على عناصر ثلاثة :

أولا : المقدمـــة :

والمقدمـــة بمـــثابة تمهـــيد يدخل من خلاله الكاتب إلى صلب المقـــال ، ومـــن ثم ينبغى أن تكون مدخلا طبيعيا يهيئ القارئ لتلقى المقـــال حتـــى تـــتم الغاية المرجوة ، ولذلك تقوم المقدمة غالبا على مســـلمات لا تحتمل المناقشة أو الجدال ، وهذه المسلمات والمعارف تتصل بالموضوع غاية الاتصال .

وإذا كـــان المقال ككل يتجنب الطول الممل فينبغى أن تكون المقدمـــة قصيرة حتى يتم عرض الفكرة مباشرة والانتهاء إلى الغاية المقصودة .

---

(١) أى القالب ، والقالب هو تصميم المقالة ، وهو الهيكل العام الذى تؤدى من خلاله الأفكار والمعانى .

(٢) انظر فى ذلك : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، د / السيد مرسى أبو ذكرى ص ٧٠ وما بعدها .

ثانيـــا : العرض(صلب الموضوع) :

والعـــرض هـــو الـــنقطة الرئيسية أو النقاط التى تشغل ذهن الكاتـــب ، ويقوم بعرضها وبرسم حدودها ، ويمهد لها قبل عرضها بالمقدمـــة المناســبة ، ويســـوق خلال عرضها الحجج والبراهين ، ويكـــون العـــرض منطقيا إذا كانت القضايا مرتبة متواصلة ، بحيث تكون كل قضية نتيجة لما قبلها مقدمة لما بعدها ، وبحيث يتقدم الأهم على المهم ، حتى تسلم إلى الختام المناسب وتكون النتيجة والغاية .

وبراعة كاتب على آخر تعتمد على حسن عرض الموضوع ، وعلى الأسلوب الذى اتبعه فى هذا العرض ، وفى قدرته على تحليل الحوادث وتفسير ظواهرها ، وردها إلى أسبابها الحقيقية ، اجتماعية كانت أم سياسية أم دينية ، فإذا تحقق ذلك أمكن أن ننتقل إلى الخاتمة لأنها نهاية المطاف وهى ثمرة المقال .

ثالثا : الختـــــام:

وهـــو النتـــيجة الطبيعية التى تكون للمقدمة والعرض ، وفى الخاتمـــة يعمـــد الكاتـــب إلى الوضوح والصراحة ليلخص العناصر الرئيسية المراد إثباتها ، وهذه النتائج طبيعية تدل على اقتناع ويقين، وهى لا تحتاج إلى شىء آخر يقويها أو يثبتها لم يرد فى المقال .

وإذا مـــا نظرنا بعين التطبيق إلى مقالة الأستاذ أحمد أمين [١] " أكاذيب المدنية " لنتبين عليها خطة المقالة وعلام تقوم ؟ فإننا نرى المقدمـــة التـــى تكشـــف عـــن الجانب المادى والجانب الروحى فى المدنـــية ، وتلا ذلك صلب الموضوع ، وقد أخذ الكاتب يؤيد بالأدلة والبراهين ما أبداه من رأى فى هذا الموضوع ، وانتهى به الأمر إلى أن المدنية تعتمد على الجانب المادى وتفتقد الجانب الروحى .

ثم يأتى إلى الخاتمة فيدعو إلى أن تكون الإنسانية هى العالم الذى يكتنف كل الناس ويظلهم ويخضع له كل ما فى الحياة ، وحينئذ يسلم الناس من خداع المدنية ويعيشون فى سعادة الإنسانية .

وهـــذه المقالـــة تمتاز بالهدوء وبالاعتماد على الإقناع ، وهى مليئة بالأفكار الوفيرة ، وقد ساعد الكاتب على ذلك ما لديه من ثقافة واسعة .

موازنة بين أنواع المقالة :

لســـنا نـــريد بالموازنة تلك التى يمكن أن ينتظرها القارئ ، وهـــى المـــوازنة بـــين أنواع المقالات عامة ، لأن ذلك أمر صعب يـــتطلب الوقـــوف على الخصائص الفنية – العامة والخاصة – لكل لون من ألوان المقالة ، هذا فضلا عن وجوب تتبع عدد كبير جدا من

---

(١) انظرها فى فيض الخاطر : الجزء الأول ص ١٣١ . مطبعة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٥٨ م .

الكتاب المختلفين في الموضوعات والأشكال الفنية ، وهذا مالا نريده .

إن الموازنة التى نحن بسبيلها إنما هى بمثابة عرض لألوان المقالات التى درسناها على المدارس الأدبية الحديثة ، من اتباعية ، وواقعية ، ورومانسية ، وغيرها ، وليس من شك فى أن هذه المقالات تنتمى فى كثير من خصائصها غالبا إلى مدارس : (الاتباعية) ، و(الرومانسية) ، و (الواقعية) : الاتباعية فى مقالات التأسيس ، والرومانسية فى المقالة الذاتية ، والمقالة الوصفية ، والواقعية فى المقالة الاجتماعية ، والمقالة النقدية .

إن تيارى (الاتباعية ، والتجديد) بخصائصهما ، لهما سلطان قوى على كتاب المقالة الفنية ، ونحن بدورنا نريد أن نتلمس تلك الـ [illegible] ن خلال موازنات فى الموضوع ، أو فى الشكل ، وأن نقف عى مجالات الالتقاء أو الافتراق ، وما يتبع كل ذلك من تأثر وغيره .

<u>أولا : فى الموضوعات :</u>

ومن ينظر موضوعات الفن المقالى بصفة عامة يلمس إحساسا بأهمية صلة الأدب بالحياة ، كما يلمس إيمانا بغايات الأدب النبيلة ، وكأن جل هم الكتاب هو ارتباط الأدب بالحياة ، وبالواقع نقدا وإصلاحا ، وهنا نلاحظ ما يأتى :

١ – إن كـــتاب التـــيار الابتداعـــى (الرومانسى) يهربون بموضـــوعاتهم مـــن الواقـــع إلى الطبيعة ، فيتحدثون عن أحاسيسهم النفســـية ، ومشاعرهم الوجدانية . أما كتاب التيار الواقعى فيلتزمون بالواقع ، بل ويسرفون فى الحديث عن هذا الواقع .

٢– الكاتب الواقعى أقوى عنفوانا فى موضوعاته من الكاتب الرومانسى ، وليس يخفى علينا ذلك الذى أشرنا إليه سابقا ، وهو أن مـــن قضايا الكتاب الواقعيين ذات الأهمية – وعلى وجه الخصوص فـــى المقالات الأدبية والنقدية – تلك المعارك العنيفة التى خاضوها مـــن أجـــل فرض الواقع ، وضرورة فهمه ، بمعنى أن يكون للأدب غاية ، فلا ينفصل الأثر الأدبى عن البيئة ، بل يتواصل مع الناس ، ويرتبط بمسارح تفكيرهم ، ومدار نقاشاتهم .

٣– وتـــرتب على هذا أن تشا[illegible] كتاب المقالة الرومانسية فى نظـــرتهم إلـــى الإنســـان وال[illegible] ، وأسرف كتاب المقالة الواقعـــية فى تسخير الأدب لخدمه [illegible] فى مباشرة التعبير عن مشكلات الإنسان فى مجتمعه .

وفـــى رأيـــنا أن المـــواءمة بـــين الأمـــرين : (الداخلى ، والخارجـــى) واجـــبة ، فلا يسرف المتأثر بالجمال فى تأثره ، ولا يهمـــل الواقعـــى الجانب المعنوى فى حياته ، لأن الاعتدال والتوسط إنمـــا هـــو خيـــر على المجتمع من حيث قضاياه من ناحية ، وعلى النص الأدبى من حيث الفنية من ناحية أخرى .

٤ – إن عـــالم الكاتب الرومانسى يستسلم لخيال الأدب أكثر من ميله إلى الحس ، وكثيرا ما يعتمد على الرمز كسبيل للتعبير عن قضــاياه ، بيــنما يظل الكاتب الواقعى متمسكا بالمباشرة ، وبالإبانة الواضــحة البعيدة عن إعمال الذهن ، والجرى وراء الخيال . وفى سياق ذلك يمكننا أن نقول إن الكتابة الرومانسية أقرب إلى روح الفن وأبقى فى وجدان المتلقى .

ثانيا : الأساليب

وكمـــا اختلف كتاب الاتجاهين فى الموضوعات اختلفوا كذلك فى الأساليب ، ويمكن إجمال ذلك فيما يلى :

١ – يميل الكاتب الرومانسى إلى الاحتفال بالشكل ، لأن هذا ينســجم مع نظرته للفن ، وإيمانه بوظيفته الأدبية ، إنه يكتب بوحى مــن عاطفته ، فمن المهم عنده التفنن فى الإطار الشكلى ، والابتكار فى الصورة .

علــى حــين يغــض الواقعيون النظر عن الاحتفال بالشكل والصــورة الأدبية ، ويتوجه الاهتمام عندهم إلى التعبير الخالى من أدوات الــزينة غالــبا ، فكل همهم هو إيضاح الفكرة ليس إلا ، ولا يكون ذلك إلا بواقعية التعبير .

٢ – يتــناول الرومانســيون قضــاياهم فى أسلوب بعيد عن المباشــرة ، وذلــك لأنهــم على قناعة من أن العاطفة الصادقة هى

أســـاس الأدب ، وأن الابـــتكار والفـــن فى التصوير إنما يكمنان فى إيصـال الفكرة وليس فى الفكرة نفسها .

٣ – يمـــيل الكتاب الرومانسيون إلى الجرس والإيقاع ، ومن ثـــم أولـــوا اهتماما بالغا باللفظة وموقعها من الجملة ، ولعل هذا هو السبب الذى جعل مقالاتهم الأدبية الذاتية والوصفية أكثر إمتاعا ، بل أكثر تأثيرا .

أمـــا الواقعيون فلا يولون النص شيئا من هذا الاهتمام ، وكل الـــذى يعنيهم هو قوة الفكرة ، واستنباطها من الواقع ، وحين تصل الفكـــرة إلى المتلقى فى سهولة ودون أدنى تكلف أو إسراف ، فذلك مبلغ الجودة والتوفيق عندهم .

ولعـــل فـــيما قدمناه من حديث عن الموازنة بين المقالات من خلال النظرة إلى المدارس الأدبية ، لعل فى ذلك ما يسهم فى تجلية واقـــع المقالة الأدبية . واعتقادى أنه من الصعب على أى دارس أن يشير إلى تيار واحد ينتظم طبيعة التجربة عند أديب أو كاتب بعينه ؛ ذلـــك لأن المـــذاهب الأدبية التى تردد صداها فى أدبنا العربى على اخـــتلافها ليســـت مستقلة كل الاستقلال ، ومن الصعب إيجاد حدود فاصلة بينها ، لأنها تتداخل كل التداخل .

ثـــم إنه ليس مـــن المحتم أن يدين أديب بعينه ، أو كاتب من الكـــتاب بمـــذهب واحـــد فحســـب ، فقد تجتمع فى أدبه جملة من

المـذاهب ، وقـد تتداخل وعلى وجـه الخصوص إذا كان الأديب موفور الإنتاج .

ومـن يدقـق النظـر فى التيارات والمذاهب الأدبية والفنية الموجـودة فـى أدبنا العربى يجدها قـد تلتقى فى نقاط قد تقل وقد تكثـر ، كمـا أنه قد يوفق أديب معين بين التيارات ، فيأخذ من هذا وذاك ، وقـد يكـون من بيـن الأدباء من لايمكن لباحث ــ أيا كان شـأنه ــ أن يميـز إنتاجه تمييزا على وجه يقال فيه إن هذا الأديب تسـير أعمالـه الأدبـية وفق المذهب الابتداعى مثلا جانحا بها عن المـذاهب الأدبية الأخرى ، اتباعية كانت أم واقعية ، أم رومانسية ، أم غيرها ، فالأديب الابتداعى قد يستعين بالمذهب الواقعى فى بعض الأحـيان ، وقـد يعنى الأديب الرمزى بتسجيل المشاعر والتأملات الفـردية كما فى الاتجاه العاطفى وإن خالفه فى طريقة التعبير ، وقد يسـتعين الأديـب المحـافظ بالاتجاه الرمزى فى بعض الأحيان من ناحية الموضوع .

وقـد تحقق هذا بوضوح عند كثير من كتاب المقالة فى أدبنا العربى ، وهذا يؤكد دون أدنى شك أن التجديد فى الأدب العربى لم يكـن له مرحلة زمنية تبدأ بنهاية الاتجاه المحافظ ، بل واكب التيار المجدد التيار المحافظ ، وإن غلب عليه وشكل سلطانا وهيمنة أقوى من سلطان وهيمنة المحافظة والتقليد .

وعلى هذا الأساس فما قلناه قبل فى الخصائص والموازنة إن هــو إلا كــلام تقريبى ، ذلك لأن بعض المذاهب الأدبية الحديثة لم تشكل فــى النثر تيارا مستقلا له معالمه وسماته كالمذهب البرناسى (مــذهب الفــن للفن) ، ومذهب ما وراء الطبيعة (السريالية) ، والمــذهب الوجودى ، وغير ذلك من المذاهب التى تسربت إلى أدبنا العربى ، وإن تدخل بعض الأدباء بالتغيير فى طبيعة هذه المذاهب ، حتى صارت تغاير المذاهب الغربية فى أصولها ومقوماتها .

ثم إن ملامح هذه التيارات وتلك المذاهب كانت أسرع ظهورا فــى شــعر الشعراء منه فى أدب الكتاب ، وتفسير ذلك أن الشعراء العــرب فى العصر الحديث هم الذين بادروا بتمهيد الطريق للتجديد والأخــذ بملامــح التيارات الأدبية الحديثة ، فهم فى الحقيقة كشعراء أســبق مــنهم ككــتاب فــى التفاعل مع الثقافات الحديثة ، والأفكار الجديدة ، والاطلاع على المدارس الشعرية المستحدثة ، والتأثر بها .

وختام القول أن الذى يعنينا من كل تلك الجوانب الفنية للمقالة إنمــا هو ذلك المدخل الذى يكشف عن أسباب ومظاهر تفوق كاتب المقالــة فى كتابته ، وأنها تقوم أول ما تقوم على تمثيل روح العصر الذى يعيشه الكاتب ، وخروج هذه المقالات مرآة صادقة تتجلى فيها صــورة ناطقــة لحياة الكتاب ، وهذه الصفة هى التى نتحراها حين نبحث عن صدق الشعور الذى يعبر عنه الكاتب تعبيرا موافقا لطبعه لا تكلف فيه ولا اختلاف .

في تقويم المقالة :

والحـــق أنه ليخيل إلينا أن أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ بعد قراءة هذا الكتاب سؤال تقليدى وهو : ما الحكم العام على فن المقالة فى أدبنا العربى ؟

ومـــن الإنصـــاف أن نقول إن كتاب المقالة قد استطاعوا أن يحلقـــوا فـــى أسمى أفق الكتابة العربية ، ونحن نقف قليلا لنحكم فى إيجـــاز شـــديد علـــى هذا الفن الكتابى ، وما يستوعبه من تكلف فى طرف وضروب جمال فى أطراف أخرى :

١ – إن تصـــدى المقالة لمعالجة الواقع جعلها لا تخرج عن المفهـــوم التقلـــيدى للمقالة ، وهذا أمر قد حد ولو مؤقتا من انطلاق المقالـــة ، ويبقى إلى الآن بعض الكتاب يتحركون ضمن إطار البيئة المحلية ، وهذا من شأنه يبقى المقالة محدودة دون انطلاق .

٢ – وفـــيما يتعلق بمشكلة لغة الكتابة نلاحظ أن اتجاه بعض الكتاب فى الفترة الأخيرة إلى المعالجة الرومانسية أمر جعل البعض مـــنهم يستخدمون فى بعض الأحيان اللغة العامية ، وهذا التنازل فى اللغـــة يجعلنا لا نتسامح مع هؤلاء الكتاب ، لأنهم يصدمون القارئ فضـــلا عـــن أهل اللغة من ذلك التباين ، ومن الانتقال من لغة إلى أخرى ، هذا فضلا عن أن العامية لا يعد أدبها رسميا [١] .

---

(١) الأدب الشعبى ، أحمد رشدى صالح ص ٣٠ . مطبعة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٧١ م .

٣ – إن اعــتماد بعض الكتاب على الواقعية دون تطعيم ذلك بالأصــول والقواعد المتبعة عند الواقعيين كمذهب أمر أحد أثره فى السرد الواقعى ، فخرجت بعض المقالات ـــ نتيجة لارتباطها الشديد بالواقــع ـــ تمــثل ذكــريات فحسب ، وهذا أمر أضفى على بعض المقالات صفة المذكرات الشخصية .

وقد فات هؤلاء الكتاب أن الواقعية كأسلوب فى التعبير تعنى نظــرة الكاتب الشاملة إلى جميع عناصر تجربته ، بمعنى أن الكاتب الواقعـــى لا يكتفـــى فـــى تجـــربته بلم أجزائها المتناثرة من الواقع المبعثـــر ، بـــل لا بـــد أن يضيف إليها من خياله ما يبرز وجودها ويجعل الواقع فى الفن أكثر غنى وكمالا .

٤ – إن اهتمام بعض كتاب المقالة الوصفية بواقع الحياة جعل المقالـــة تكـــتظ بالوصـــف المكانى الدقيق ، وخصوصا فيما يتعلق بالبيـــئات الشعبية المحلية ، وجعلها كذلك تعنى بوصف مواد تشكل مـــادة أساسية للسرد فحسب ، والكاتب يغفل ـــ تحت وطأة الوصف التفصـــيلى ـــ عن تسجيل أثر هذا الواقع الخارجى على نفسه ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أن الكاتب غير قادر على الاستفادة من المناهج الفنية الحديثة .

٥ – ويمكـــن أن نلاحـــظ فـــى المقالة النسوية أنها تدور فى الغالـــب الأعم حول قضايا محددة تتصل بطبيعة المرأة ، وهذه فيما نرى دائرة تقليدية .

علـــى أن بعــض الــتجارب النسوية فى مجال الكتابة كانت خصـــبة ، تستمد قوتها من واقع وصميم الحياة ، وقد أحدثت بعض هـــذه الكتابات ضجة كبيرة فى عالم الأدب بما تناولته من مواضيع رائعة .

وعلى كل حال فالمقالة العربية قد استطاعت أن تشق طريقها إلى الأفكار والقلوب والأذواق ، وأن تتخطى كل العقبات ، وخرجت فـــى معظم مراحلها تمثل الصدق : صدق الإحساس ، والصدق فى التعبيـــر ، وأخـــذ فـــن الكتابة يتسع عند عدد غير قليل من الكتاب لنـــزعات إنسانية رفيعة ، فضلا عن توفر العناصر الفنية ، وأسس البناء .

نحو مذهب إسلامى فى المقالة

يحســـن بـــنا قبل الحديث عن هذا الموضوع أن نتبين موقف الدين الإسلامى من الأدب ، لأن تحديد هذا الموقف هو الأساس الذى أقـــام علـــيه منظرو الأدب الإسلامى نظرياتهم ، وهو الأساس نفسه الذى يدعونا إلى إقامة مذهب إسلامى فى المقالة .

وليس من شك فى أن الإسلام يتقبل الأدب ــ شعرا ونثرا ــ ويفســـح لـــه فى رحابه مكانا مرموقا ، ويدخله فى رحابه من أوسع أبـــوابه ، طالمـــا أنه يسير فى إطار الإسلام ، ويغدو سلاحا فى يد الدعـــوة الإسلامية والدعاة ، ويتحول إلى لسان صدق يدعو إلى الله سبحانه بالحسنى ، ويحض على الخير ، وينهى عن الشر .

ومهمـــا ذكرنا عن الجو الدينى الذى ينشأ فيه الأديب فإننا لا ننسى أبدا ما أحدثه الإسلام من تغيير خطير فى وظيفة الأدب ، وما أحدثـــه من تبديل فى نظرة الناس إليه ، فهو لم يبقه عند حد المتنفس الـــذى ينفس به الإنسان عن أحزانه وأشواقه ، أو المتعة التى يتمتع بهـــا الـــناس فى المجالس والنوادى ، وإنما راح يرقى به حتى جعله ضربا من ضروب الدعوة إلى الله سبحانه والجهاد فى سبيله .

وفـــى الـــتاريخ الإسلامى ما يفيد أن ولاة الأمر فى المجتمع الإســـلامى قـــد جندوا أصحاب المواهب الأدبية للدفاع عن قيم الأمة الإسلامية ومثلها العليا وفق منهج مدروس ومعد سلفا ، وفى هذا فى الحقـــيقة وســـام فخر وشرف يضعه الإسلام على صدور الأدباء ،

ومسئولية كبرى كذلك يلقيها على عواتقهم ، وإشارة واضحة تشير بشكل أوبآخر إلى مهمة الأديب الإسلامى فى بناء المجتمع .

وإذا عرفنا أن الإسلام والمسلمين فى معركة دائمة ومتواصلة أدركنا الحاجة إلى الأدب كسلاح ، وقيمته فى حياة المسلمين ، وأهميته فى بناء مجتمعهم البناء الذى يحقق الغاية التى يهدف إليها دون أن يترك آثارا جانبية ضارة فى منحى من المناحى أو مجال من المجالات .

إن سمو غاية الأدب ، وشرف بواعثه تجعله جديرا أن يفزع إليه المسلمون فى ساعات الشدة ، ويستروحوا به فى أوقات المحن ، فتقوى به القلوب ، وتهتز له المشاعر ، ويمكن أن يرتقى ويرتقى حتى يغدو مما يمكن أن يروى فى الدعوة إلى الله سبحانه ، ولا ريب فقد حدث هذا فى أول عهد الإسلام وفى المواقف العصيبة التى مر بها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، بل إنه صلى الله عليه وسلم قد شهد للأدب ممثلا فى الشعر بأن بعضه حكمة ، كما شهد للبيان بأنه سحر .

هذا هو موقف الإسلام من الأدب ، لا يحاربه لذاته ، وإنما يحارب الفاسد من مناهج الأدباء ، وما يقال عن الأدب يقال عن المقالة ، كما يقال عن غيرها من فنون الأدب الأخرى من أقصوصة ، وقصة ، وخطابة ، وشعر ، وغير ذلك . فالإسلام يريد أن ينهض بهذه الفنون إلى المستوى الذى يليق به ، كما يريد أن

يــوجه الأدبــاء الوجهة الصالحة ، ويأخذ بأياديهم لأداء رسالتهم فى الحــياة ، كذلك يريد أن ينتشل فئة خاصة من الأدباء مما غرقوا فيه من أدب رخيص .

نظرة إسلامية فى المذاهب الأدبية (١)

وعلى هذا فبين الإسلام والمذاهب الأدبية فروق جذرية عميقة نوضحها فيما يلى :

١ – إذا كــان الكلاســيكيون يقصرون أعمالهم الأدبية على الجوانب المادية من حياة الإنسان ، وما يدور حول هذه الجوانب من العواطف والمشاعر ، ويغفلون أو يكادون يغفلون الجوانب الروحية ومــا فــيها من تألق وصفاء – فإن الأدب الإسلامى يعطى للجوانب المادية حقها ، كما يعطى للجوانب الروحية حقها كذلك .

بمعنــى أن الأدب الإســلامى أدب واقعــى عملــى ، يعالج مشــكلات المجــتمع وقضــاياه المختلفة ، كما يعالج أشواق النفس الإنســانية ومطامحها ، وهو أدب يصور الخير والشر ، ويهدف من وراء ذلــك على الدوام الترغيب فى الخير والحض عليه ، والتنديد بالشــر وتــرهيب النفوس منه ، أى أن الأدب الإسلامى للناس كل الناس يصور أفراحهم وأتراحهم ، ويعالج قضاياهم ومشكلاتهم .

---

(١) انظر : الأدب ومذاهبه ، وفى الأدب والنقد ، ومحاضرات فى الأدب ومذاهبه ، للدكتور / محمد مندور .

٢ – والأدب الإسلامى يقوم على الالتزام ويدعو إليه ، ويتمسك به ولا يخرج عليه ، ومن ثم فهو لا يتفق مع غاية الأدب الرومانسى التى هى المتعة النفسية ، والتى تقوم فى الأساس على التحلل من جميع القواعد والقيود ، وعليه فلا بد من أن تتوافلر فيه الفائدة العملية والمتعة النفسية ، بمعنى أن يكون نافعا وممتعا فى وقت معا .

٣ – أما موقف الإسلام من المذهب الطبيعى أو المذهب الفلسفى الذى لا يؤمن بما وراء الطبيعة فإنه موقف يرفع من شأن الإنسان ، ويكرمه ويعلى من قدره ، ويفتح الأبواب رحبة واسعة أمام الأدباء من بنى الإنسان ، ويعبد لهم المسالك ، ويوسع لهم الآفاق ليتناولوا الإنسان بعواطفه وأشواقه ، وآماله وآلامه ، وخيره وشره ودنياه وآخرته ، ولا داعى لإفساد الأدب بالنظريات الفلسفية التى أقحمت فيه .

٤ – أما عن نظرة الإسلام لمذهب " الفن للفن " فإنها تقوم على أساس من أن الأدب الإسلامى أدب هادف ، وأدب أخلاقى ، وجميع فنون هذا الأدب تقوم فى الأساس على الانتفاع المقرون بالإمتاع ، لأن المتعة وحدها تقضى على رسالة الأديب ، وتهبط بقيمة الأدب ، وتحول الأديب إلى إنسان غير ملتزم لا فائدة ترجى منه .

٥ – وعن الرمزية ونظرياتها يمكن القول إن الإسلام يرفضها ، لاحتفالها بعقل الإنسان غير الواعى ، إنه يحتفل أشد الاحتفال بالعقل الواعى ، ويدعو الأدباء الإسلاميين إلى أن يجعلوا أدبهم رحب الآفاق .

٦ – وعن نظرة الإسلام لمذهب الوجودية الذى يطلق العنان لرغبات الإنسان ، ويفسح المجال أمام شهواته – يمكن أن نقول إن الإسلام دين يوجه الفرد وجهة تنفعه من جهة ، وتنهض بالمجتمع من جهة أخرى .

وبعد فتلك خلاصة موجزة لموقف الإسلام من أهم المذاهب الأدبية عند الغرب ، أما المذهب الأدبى الذى نسعى إليه ونتطلبه لكتاب المقالة بصفة خاصة ، وللأدباء بصفة عامة فهذا ما سنتكلم عليه فيما بعد .

حاجة كتابنا إلى مذهب أدبى :

اتضح مما سبق أن العالم الذى نعيش فيه تتصارعه تيارات ومذاهب ، واتجاهات مختلفة ، يسعى كل تيار منها إلى بسط نفوذه ومقاومة نفوذ التيارات الأخرى ، وأن هذه التيارات قد قصدت الأدب وسعت إليه ، واتخذته سلاحا تناضل به عن نفسها ، واتخذته كذلك منبرا تعلن من فوقه المبادئ والأهداف التى تطيب لها وتنادى بها ، الأمر الذى يؤكد بما لا يدع مجالا للشك ما للأدب من سلطان وهيمنة .

ومـــن يمعـــن النظر فى هذه التيارات وتلك المذاهب يراها – على اختلافها – إنما تنبثق عن نظرة أصحابها إلى الإنسان والحياة ، الأمر الذى يجعلنا نبحث عن مذهب أدبى متميز ينبغى أن ينتمى إليه الكاتـــب المسلم ، ويقدم من خلاله أدبا نافعا يقاوم به الغزو الفكرى ، ويقـــف فى وجه التيارات الجارفة التى كثيرا ما نتعرض لها فى هذا العصر .

إن أدباءنـــا فى العصر الحالى بحاجة ماسة إلى أدب إسلامى معاصر يواكب حياتنا ويعبر عنها ، ويعالج أوضاعنا الحاضرة ، ولا شـــك أن هـــذه الدعوة قد دعا بها وتبناها نخبة من أعلام المسلمين وأدبـــائهم النابهـــين ، وأملنا كبير فى أن تلقى هذه الدعوة صدى فى نفوس كتاب المقالة بصفة خاصة والأدباء بصفة عامة .

إن الأدب الإسلامى ليس مقصورا على الموضوعات الدينية ، وإنما هو تعبير فنى هادف ينطلق من واقع الحياة والكون ، وينبع من التصـــور الإســـلامى للكـــون ، وهـــو تصوير يهز مشاعر الأدباء والشعراء ، ويفتح أمامهم الآفاق لإبداع ألوان من الأدب نعتمد عليها فى أدبنا الإسلامى المنشود .

<u>الخصائص العامة للأدب الإسلامى :</u>

لـــلأدب الإســـلامى خصائص تميزه عن غيره من الآداب ، ويمكن تحديد هذه الخصائص فيما يلى :

أولهـــا : أنه أدب أصيل ، بمعنى أن أدب الأديب إنما ينصب على الأصيل من خصائص أمته .

ثانـــيا :الأدب الإسلامى أدب ملتزم [١] ، وهو التزام ينبع من أعمـــاق الأديـــب نفسه ، ويعد مقوما من مقومات وجوده ، والأديب الإســـلامى الملتزم اليوم لا يختلف من حيث اتجاهاته الفكرية ومثله الأخلاقية ، ومقاييسه الجمالية عن الأديب الإسلامى الملتزم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والصحابة رضوان الله عليهم .

ومـــناط الالتـــزام فى الأدب الإسلامى ليس الموضوع فقط ، وإنمـــا هو الدوافع والبواعث التى بعثت على تبنى موضوع معين ، والغايـــة التـــى يرنو إليها الأديب من معالجته ، ومن هنا ففى وسع الأديـــب المســـلم أن يجـــند طاقاتـــه الفنية لتصوير حالاته النفسية وانفعالاتـــه الوجدانية ، كما أن فى وسعه أن يجند هذه الطاقات لنفع المجتمع .

ثالـــثها : أن الأدب الإســـلامى أدب هادف ، لا يجعل الأدب غاية لذاته كما يدعو أصحاب نظرية " الفن للفن " .

رابعهـــا : أنـــه أدب متكامل تتآزر فيه عناصر المضمون مع عناصـــر الشكل ، فلا يستطيع المضمون وحده أن يبدع أدبا إسلاميا رفيعا ، ولا كذلك الشكل .

---

(١) انظر : مجلة الأدب الإسلامى ، العدد الرابع والعشرون ١٤٢٠ هـــ ص ١٢ وما بعدها .

خامسها : أنه أدب يتميز باستقلال الشخصية الأدبية لصاحبه ومبدعه ، وعلى هذا فهو أدب فعال ومؤثر ، ينبغى أن يقدره الدعاة إلى الله سبحانه حق قدره ، وأن يعطوه ما يستحق من اهتمام .

إنــه لـيس فى وسع أى أحد مهما كان شأنه ، ولا فى وسع غيـره أن يعزل المقالة الإسلامية عن الحياة بعد أن أصبحت تجرى مع الأثير ، وتطلع علينا ليل نهار فى الصحف والمجلات والكتب .

إن الـذين يقرأون المجلات الإسلامية ، ويستعرضون الآثار الفكـرية والأدبية التى ينتجها الأدباء الإسلاميون يجدونها تقوم على المـباحث الفكـرية البحتة ، ويجدونها كذلك توجه شطرا كبيرا من جهدها للرد على الدعوات العصرية التى هى الشغل الشاغل لأعداء الإسلام .

إن كـتاب المقالة الإسلامية قد آمنوا بمقالاتهم كسلاح فعال ، فأولوها ما تستحق من اهتمام ، وقدروا آثارها الخطيرة ، كما قدروا كذلك الأضرار البالغة التى تنجم عن إهمال هذا السلاح .

أهداف المقالة الإسلاميـة :

المقالــة الإسلامية فرع من دوحة الأدب الإسلامى ، والأدب الإســلامى الـذى ندعو إليه له أهداف عامة تلتزم بها المقالة ، كما تلتزم بها سائر فنون هذا الأدب .

وهـذه جملــة من أهداف وغايات المقالة الإسلامية ووظائفها التى ترمى إلى تحقيقها :

١ – تحـرص المقالـة الإسـلامية علـى ترسـيخ العقيدة الإسـلامية ، أى تقديم فلسفة إيمانية ترسخ عقيدة الإيمان بالله ، وما يتفـرع عـنها من إيمان بالملائكة ، والكتب ، والرسل ، والغيب ، والبعث ، والثواب والعقاب ..

٢ – ثـم إن مـن وظائف المقالة الإسلامية أيضا الانتصار للخيـر فـى صراعه الدائم مع الشر ، ومعالجة الأمراض الخلقية ، والانحرافات الاجتماعية التى تجتاح بعض المجتمعات .

٣ – ومـن وظائفها كذلك معالجة مشكلات الشباب العصرية وعلـى رأسـها الفراغ والقلق ، وذلك بالتوجيه وببث الطمأنينة فى نفوسـهم إلى الثقة بالله سبحانه ، وحكمته البالغة ، والإيمان المطلق بالقضاء والقدر ، خيره وشره ، حلوه ومره .

٤ – وإن مـن أهـداف المقالـة الإسـلامية كـذلك ترهيب المنحرفين الضالين وتخويفهم من مغبة الانحراف والضلال ، والقيام مع كل هذا بتوضيح العواقب لهم .

٥ – والمقالـة الإسـلامية تنفذ إلى أغوار النفس الإنسانية ، وتكشـف مكـامن القـوة والعنف فيها ، ونوازع الخير والشر التى تـتداولها ، والغـرض من ذلك كله إنما هو توجيه الإنسان وإرشاده لكل ما فيه الخير والصلاح .

الخاتمـــــة

بســـــم الله الرحمن الرحـــيم

الحمـــد لله والصـــلاة والســـلام علـــى رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه ، وبعد :

فإنه بعد هذا العرض الذى قدمناه عن المقالة هناك سؤال لابد مـــن طرحه فى خاتمة الكتاب ، ولا محيد من الإجابة عليه وهو: ما هـــى الآثار التى يمكن أن يتركها الكتاب الجدد فى فن المقالة ، وما دورهم فى الحياة الثقافية بعد ؟ ما دامت كتاباتهم نفسها امتدادا للفترة السابقة ، وقد مثلت فى نفس الوقت نواحى جديدة لم تطرق قبل .

والحقيقة أنه لا يشك أحد فى أن كتاب المقالة قد تخلصوا شيئا فشيئا من عيوب الكتابة التى سبقتهم ، وأصبحت المقالة تكتب الآن لا يراعى فيها المتلقى ، وإنما الذى يراعى هو ظروف الكاتب وأحواله النفسية ، وصدق انعكاس ذلك من الواقع .

والواقـــع أن كتابا هذا شأنهم ، وتلك طبيعتهم إنما يدلون دلالة واضـــحة علـــى مـــدى الوعى الفنى الذى وصلوا إليه ، وأصبح كل كاتـــب يـــتلمس ما يعتور كتابته من عيوب فنية أو أسلوبية ، لدرجة تجعلنا نقول إنه من المتوقع أن يتسع فن المقالة عما هو عليه الآن ، وأن يكتمل نضجه واستواؤه ، وأن يتسع للنزعات الإنسانية الرفيعة ، ويصـــبح كل كاتب للمقالة بذلك هو الفنان الذى تتوفر عنده عناصر

الشـــكل الفنـــى الدقيق ، ويكتمل له بشكل أوبآخر المضمون العالمى بكل ما للكلمة من معان .

وهكـــذا يمكن أن يصبح فن المقال - بما توفر فيه من أسس ومقـــومات - قادرا على أن ينتقل من مجاله الإقليمى الضيق ، ومن بيئته المحلية المحدودة إلى مجالات أخرى أرحب وأوسع .

ونحـــن وقد انتهينا من هذه الدراسة ولمسنا ما قد ظهر لنا من مشـــكلات فـــى الميدان البحثى ، لنأمل أن نسهم بها فى الكشف عن زاوية من زوايا أدبنا العربى الحديث ، عل القارئ الكريم يقف على مقدار ما أسداه كتاب المقالة إلى الحياة الفكرية والأدبية ، وما قدموه لفن المقالة من أهداف وغايات ، ومقومات فنية .

والله ولـــى التوفيق ، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله وآلـــه وصحبه فى الأولين ، والآخرين ، وفى الملأ الأعلى إلى يوم الدين .

الأستـــاذ الدكتـــور / طلعت صبح الســـيد

أهم المــــراجع والمصـــــادر

١- القرآن الكريم .

٢- آمــاس وأطــلاس ، محمــد حسن عواد . مطابع دار الكشاف، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـــ ١٩٥٢م .

٣- ابـــن حسين بين التراث والمعاصرة د/ طلعت صبح السيد، نشر دار عبد العزيز آل حسين ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـــ ٢٠٠١م .

٤- أحمد أمين مؤرخ الفكر الإسلامي ، د / محمد رجب البيومي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـــ ٢٠٠١م .

٥- أحمــد حســن الزيات بين البلاغة والنقد د / محمد رجب البيومي ، دار الأصالة للثقافة والنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـــ ١٩٨٥م .

٦- الأدب الحجــازى الحــديث بــين التقليد والتجديد د / إبراهيم الفوزان : (ثلاثـــة أجــزاء) . مكتــبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـــ ١٩٨١ م .

٧- الأدب الحــديث تــاريخ ودراســات د / محمد بن حسين ، نشر دار عبد العزيز آل حسين ، الرياض ، الطبعة السادسة ١٤١٨ هـــ ١٩٩٧ م .

٨- الأدب الشــعبى ، أحمــد رشــدى صالح . مطبعة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٧١ م .

٩- أدب عــبد العزيز الرفاعى دراسة موضوعية وفنية ، إبراهيم الشتوى ، دار الرفاعى للنشر والطبع ، الرياض ، الطبعة الأولى١٤١٩ هـــ ١٩٩٩ م .

١٠- الأدب العربى المعاصر فى مصر ، د/ شوقى ضيف ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، والطبعة السادسة .

١١- أدب المازنى د/ نعمات أحمد فؤاد ، نشر مكتبة الخانجى ، القاهرة .

١٢- أدب المقالة الصحفية فى مصر ، د/ عبد اللطيف حمزة :

* الجزء الأول . عالم الفكر ١٩٦٤ م .

١٣- الأدب وفنونه ، د/ عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربى ، الطبعة الخامسة ١٩٧٣ م .

١٤- أصداء وأنداء ، د/ محمد بن حسين ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .

١٥- أضواء على الأدب الحديث ، د/ أحمد الحوفى ، دا المعارف بمصر .

١٦- البلاغة والتحليل الأدبى ، د/ أحمد أبو حاقة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٨ م .

١٧- تأملات فى الأدب والحياة ، محمد حسن عواد ، مطبعة العالم العربى ، القاهرة .

١٨- تاريخ الأدب العربى ، أحمد حسن الزيات ، مطبعة الرسالة ، الطبعة الثالثة والعشرون .

١٩- تاريخ المسألة المصرية ، ترجمة عبد الحميد العبادى ، ومحمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، والطبعة الثالثة ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م .

٢٠- تحت راية القرآن ، مصطفى صادق الرافعى ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م .

٢١- التحرير الأدبى ، د/ حسين على محمد ، نشر مكتبة العبيكان ، الرياض ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .

٢٢- تطور الأدب الحديث فى مصر ، د/ أحمد هيكل ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م .

٢٣- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، المكتبة التجارية ، القاهرة .

٢٤- جمهـرة رسـائل العـرب فـى عصور العربية الزاهرة ، أحمد زكى صفوت :

* الجزء الأول . المكتبة العلمية ، بيروت .

٢٥- جـنة العبـيط ، د/ زكى نجيب محمود . دار الشروق ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .

٢٦- حـياة الرافعـى ، محمد العريان ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٥٥ م .

٢٧- حياتى ، أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السادسة .

٢٨- خواطر مصرحة ، محمد حسن عواد . مطبعة المدنى ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦١ م .

٢٩- دائـرة المعـارف الإسـلامية ، دار الشـعب ، مصـر (المجلد الحادى عشر) .

٣٠- الرسـالة والرسول ، د/ محمد بن حسين ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .

٣١- زعمـاء الإصـلاح فـى العصـر الحديث ، أحمد أمين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م .

٣٢- شـعراء الحجـاز المعاصـرون ، عـبد السلام الساسى . دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٣٧٠ هـ .

٣٣- صبح الأعشى ، القلقشندى :

* الجزء الأول . مطبعة كوستاتوماس ، القاهرة .

٣٤- الصـناعتين ، أبو هلال العسكرى ، تحقيق البجاوى وأبى الفضل ، دار الفكر ، الطبعة الثانية .

٣٥- العامــل الدينى فى الشعر المصرى الحديث ، د/ سعد الدين الجيزاوى ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، القاهرة ١٣٨٤ هـــ ١٩٦٤ م .

٣٦- عــباس العقاد ناقدا ، عبد الحى دياب ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـــ ١٩٦٥ م .

٣٧- العبــرات ، مصطفى لطفى المنفلوطى ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب (مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥ م) .

٣٨- عمالقــة عــند مطلــع القرن ، د/ عبد العزيز المقالح . دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـــ ١٩٨٤م .

٣٩- فصول فى الأدب والنقد ، د/ طه حسين ، دار المعارف بمصر .

٤٠- الفكر العربى المعاصر ، أنور الجندى ، مطبعة الرسالة .

٤١- فــن البحث والمقال د / فخرى الخضراوى ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٣٩٠هـــ ١٩٧١ م .

٤٢ – فن المقالة ، د / محمد يوسف نجم ، دار الثقافة بيروت .

٤٣ – الفــنون الأدبية وأعلامها فى النهضة العربية الحديثة ، أنيس المقدسى، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٨٤ م .

٤٤ – فــى الأدب العربى المعاصر ، د/ إبراهيم عوضين (الجزء الأول) مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٦ م .

٤٥ – فــى أعقاب الثورة المصرية ، عبد الرحمن الرافعى (الجزء الأول) مطبعة الفــكر ، القاهــرة ، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـــ ١٩٤٩م .

٤٦ – فيض الخاطر ، أحمد أمين :

* الجزء الأول ، مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٩٥٨م .

* الجزء التاسع ، الطبعة الأولى ١٩٥٥ م .

٤٧- فى محيط النقد الأدبى ، د / إبراهيم أبو الخشب ، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٨ م .

٤٨- القاموس المحيط ، الفيروز آبادى (الجزء الرابع) دار الجيل .

٤٩- لسان العرب ، ابن منظور ، دار المعارف ، مصر .

٥٠- اللسان والإنسان ، د / حسن ظاظا ، الإسكندرية ١٩٧١ م .

٥١- محاضـــرات فـــى فن المقالة الأدبية ، د / محمد عوض محمد ، معهد الدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٥٩م .

٥٢- محمـــد حســـين هيكل الأديب السياسى المؤرخ ورائد الكتابة فى السيرة الذاتية ، د / محمد رجب البيومى ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـــ ٢٠٠١ م .

٥٣- مختـــار الصحاح ، الرازى ، دار الفكر العربى ١٣٩٨ هـــ .

٥٤- المـــدخل لدراســـة الفنون الأدبية (من إصدار قسم اللغة العربية - كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية) دار قطرى بن الفجاءة للنشر ، قطر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـــ .

٥٥- مذكرات أحمد عرابى ، أحمد عرابى ، دار الهلال ، مصر ١٩٣٥ م .

٥٦- المرصـــاد ، إبـــراهيم هاشم الفلالى (الجزء الثانى) المطبعة المنيرية بمصـــر ، الطبعة الثانية ١٩٥٦ م ، ومطبعة النادى الأدبى بالزياض ، كتاب الشهر (٢٣) .

٥٧- المزهـــر فـــى علـــوم اللغـــة وأنواعها ، السيوطى ، نشر محمد سعيد الرافعى ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٢٥ هـــ .

٥٨- مصـــطفى صادق الرافعى أديبا إسلاميا ، د / إبراهيم عوضين ، مطبعة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤١١هـــ ١٩٩٠م (أعلام الأدب الإسلامى) .

٥٩- مصطفى صادق الرافعي حياتـه وأدبـه ، حسنين حسن مخلوف ، دار الهلال (سلسلة كتاب الهلال) مايو ١٩٧٦ م .

٦٠- مصـطفى صـادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن ، د / محمد رجـب البيومـي ، دار القلـم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م (أعلام المسلمين ٦٥) .

٦١- مصـطفى صـادق الرافعي كاتبا عربيا ومفكرا إسلاميا ، د / مصطفى الشكعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٠م ، والطبعة الثانية ١٩٧٨م .

٦٢- المعارك الأدبية ، أنور الجندى ، مطبعة الرسالة ، مصر ١٩٥٨ م .

٦٣ - المعـارك الأدبية بين زكى مبارك ومعاصريه ، د / محمد جاد البنا ، دار الكتاب السعودى ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

٦٤- المقالـة فـى الأدب السـعودى الحديث ، د / محمد بن عبد الله العوين (جـزءان) مطابـع الشرق الأوسط ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م .

٦٥- المقالـة فى أدب العقاد ، د / عبد القادر رزق الطويل ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٧٨م .

٦٦- المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، د / السيد مرسى أبو ذكرى ، دار المعارف ١٩٨١- ١٩٨٢م .

٦٧- مقدمـة فـى الـنقد الأدبى ، د / على جواد الطاهر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ .

٦٨- من رسائل الرافعي ، دار المعارف بمصر .

٦٩- الـنديم الأديـب ، د / محمد السعدى فرهود ، المكتبة السعدية ، القاهرة ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م .

٧٠- نشـــأة النثـــر الحـــديث وتطوره ، عمر الدسوقى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٦م .

٧١- النظـــرات ، المنفلوطـــى ، منشورات محسون الثقافية ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـــ .

٧٢- الـــنقد الأدبـــى أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٦٦م .

٧٣- وحى الرســـالة ، أحمد حســـن الزيات ، القاهرة ١٩٣٧م .

٧٤- وحـــى القلم ،الرافعى(الجزءان : الثانى والثالث) مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، الطبعة السابعة .

الدوريات

٧٥- أخبار اليوم ، الجمعة أول أبريل ١٩٨٦ م .

٧٦- الرسالة عدد ٣٥٠ فى ٩ صفر ١٣٥٩ هـــ ١٨ مارس ١٩٤٠م .

٧٧- مجلة الأدب الإسلامى ، العدد الرابع والعشرون ١٤٢٠هـــ .

٧٨- مجلة الثقافة ، عدد ٦٠٤ .

٧٩- مجلة الحرس الوطنى (السعودية) العدد ٢٠١ - السنة العشرون ، ذو الحجة ١٤١٩هـــ مارس١٩٩٩م .

٨٠- مجلة الهلال ، عدد فبراير ١٩٥٢ م .

٨١- المقتطف مارس ١٩٠٥ م .

٨٢- الوقائع المصرية عدد ٦٠٣ - الخميس غرة ربيع الثانى ١٣٥٨ هـــ .

فهرس تفصيلي الموضوعات